المركز القومى للترجمة

المشروع القومى للترجمة

الخرافة والحكايات الشعبية فى أفريقيا

الجزء الثاني



ترجمة وتقديم

عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسي

1933

يضم هذا الكتاب مختارات من الخرافات والحكايات الشعبية السائدة لدى مجتمعات أفريقيا وشعوبها وقبائلها، والتى تعكس نظرة تلك الشعوب إلى العالم الخارجى، وتصوراتها حول شتى مظاهر الحياة والموت، وحول خلق العالم وأصل الكون، والنجوم المتلألئة فى السماء، ومنبت البشر والحيوانات، الخبيث منها والمخادع، وأيضًا الحكايات التى تفسر سلوك كل منها، وتوضح السمات الخاصة بكل حيوان، وغيرها من الخيرات والمنافع. وتتبلور الفنون الشفهية لدى الشعوب الأفريقية فى أشكال عتيقة من فنون الفلكلور، لتمنح الفرصة بمادتها الرائعة لدراسة نشوء تطور الإبداع الشفهى واتجاهاته. كما أن قدم الفلكلور الأفريقى يعد أحد ملامحه المميزة. وفى هذه الحكايات نلمس الطبيعة الرائعة الثرية لأفريقيا بأحراشها المتفردة وحيواناتها المتنوعة، كما نرى الصلة الوطيدة بين شعوب القارة وتلك الطبيعة النزقة التى تقسو تارة، وتحنو تارة أخرى، لكنها تظل دائمًا الموطن والأرض الأم لشعوبها وقبائلها المختلفة.

الخرافة والحكايات الشعبية فى أفريقيا

(الجزء الثانى)

المركز القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: 1933
- الخرافة والحكايات الشعبية فى أفريقيا: الجزء الثانى
- عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى
- الطبعة الأولى 2012

هذه ترجمة مختارات باللغة الروسية
لمجموعة من حكايات شعبية أفريقية
(الجزء الثانى)

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: egyptcouncil@yahoo.com Tel: 27354524 Fax: 27354554

الخرافة والحكايات الشعبية في أفريقيا

(الجزء الثاني)

ترجمة وتقديم:

عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسي

2012

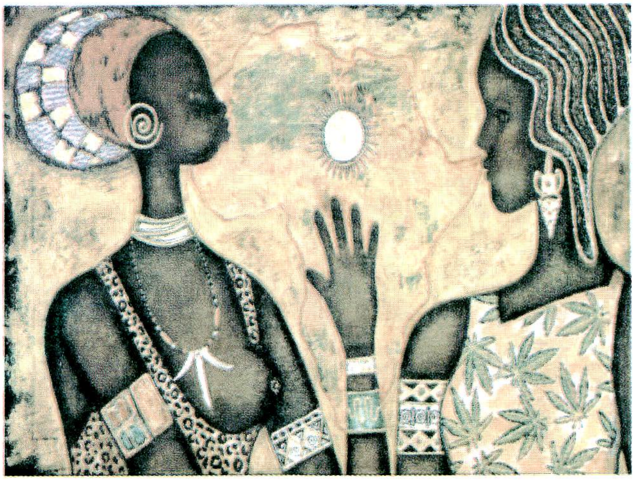
بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الخرافة والحكايات الشعبية في أفريقيا (ج٢) / ترجمة وتقديم:
عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسي؛
ط ١ - القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢
٥١٦ ص، ٢٤ سم
١ - القصص الأفريقية
٢ - القصص الشعبية
(أ) الخميسي، عبد الرحمن عبد الرحمن (مُترجم ومقدم)
٢ - العنوان ٨٩٢,٣

رقم الإيداع: ٢٠١١/٧٢٥٣
الترقيم الدولي: I.S.B.N - 978 - 977 - 704 - 594 - 0
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

مقدمة المترجم



يضم هذا الجزء القسمين الثالث والرابع من كتاب الحكايات الشعبية في أفريقيا. ويضم القسم الأول من "الحكايات حول السحر والسحرة"، حكايات متنوعة تفيض بالخيال الرائع الذى أبدعته الشعوب الأفريقية وقبائلها المختلفة، والتى تعكس الكثير من تصورات وعادات تلك الشعوب التى ما زالت تحتفظ بالكثير منها حتى الآن. فمن الوحش الذى يمكنه ابتلاع قرى بأكملها مع مواشيها وأشجارها، حتى يأتى المنقذ والمخلص الجبار الذى ينقذ الناس من شره ويقتله، إلى بونيا البطل الخارق الذى لا يقف شىء فى طريقه، وغيرهم من الأبطال الأسطوريين الذين يشبهون أحيانا أبطال الملاحم الإغريقية. كما أن معظم الحكايات تكاد لا تخلو من حكمة أو عظة أخلاقية تعكس المُثل والثقافات الخاصة السائدة لدى شعوب القارة. وتعكس بعض الحكايات أيضا مشاعر الحقد والحسد والطمع التى تدفع إلى ارتكاب الشرور والمساوئ، وتؤدى دائما إلى هروب الأبطال الأسطوريين والآلهة من البشر وابتعادهم عنهم. أما فى القسم الثانى (الرابع) من هذا الجزء "أقدم الوقائع

والأساطير"، فيمكن للقارئ التعرف على العديد من الأنماط البشرية الطريفة، وعلى طبيعة الزوجة الصالحة والطالحة من وجهة نظر شعوب القارة. وتفيض بعض الحكايات بالفكاهة الرائعة الأصيلة النابعة من حياة القبائل والشعوب الأفريقية، والتى تأثر بعضها بأبطال الفكاهة فى التراث الإسلامى، مثل حكايات "أبو نواس" وهارون الرشيد. وفى النهاية يستطيع القارئ عبر تلك الحكايات أن يرتحل بين جنبات الطبيعة الخاصة للقارة البديعة، بأشجارها وحيواناتها، وأن يتلمس العلاقة الحميمة التى ما زالت قائمة بين شعوب القارة والطبيعة المحيطة بهم.

وفى النهاية أرجو أن يستمتع القارئ بهذه الحكايات الشعبية شديدة الخصوصية والتميز والاختلاف عن التراث الفلكلورى لقارات العالم الأخرى.

* * *

الحكايات حول السحر والسحرة



١. المارد والبحيرة العظيمة

كان ياما كان صبى يرعى الغنم والماعز. وذات مرة اصطحبه والده إلـى مكان ينمو به العشب الكثيف، وذلك كى يسوق قطيعه إليه. فساق الـصبى غنمـه ليرعى فى المكان الجديد.

وفى اليوم التالى ذهب ثانية إلى نفس المكان. ولكنه فى اليوم الثالث صادف ماردا ظهر له. وكان المارد هو صاحب المرعى، فسأله:

ــ لماذا تطعم أغنامك من عُشبى؟.

رد الصبى:

ــ أنا لست مذنبا، بل إن والدى هو الذى طلب منى الحضور إلى هنا.

قال المارد:

ــ سوف أحضر مساء اليوم إلى بيت والدك وأتحدث معه.

كان المارد يُدعى موكونجا مبورا[١]. وعند حلول المساء وصل إلـى بيـت الصبى وسأل والده:

ــ لماذا تأكل أغنامك من عشبى؟ ألا تعرف أن هذا المرعى ليس ملكا لك؟.

---

(١) موكونجا مبورا- تعنى "ثعبان المطر"، أى قوس قزح، وهو من الشخصيات الأسطورية المميزة فى الفلكلور البدائى الذى يسود فيه التصور حول "سيد الماء"، والخصوبة.

أجاب الوالد:

ـ إن هذا شأن خاص بى.

عندئذ صاح موكونجا مبورا:

ـ بما أنك تسلك هذا المسلك، فسوف ألتهمك أنت وجميع شعبك.

رد الوالد على قول المارد:

ـ لن تفعل هذا الأمر.

وفى هذه اللحظة أخذ الفتيان يشحذون سيوفهم ويعدون رماحهم، لكن موكونجا مبورا أظهر تفوقه وقوته عليهم، واستطاع التهام الوالد والفتيان، والنساء والأطفال، والثيران والأغنام، كما التهم البيت والعنابر. ولم ينج سوى الصبى الصغير الذى فر واختبأ بين الأعشاب، حيث لم يلحظه موكونجا مبورا.



صنع الصبى قوسا ومضى يصيد به الطرائد. وأصبح قويا شديد المـــراس. وبنى لنفسه بيتا. وعندما كبر واشتد عوده قال:

ـ ليس هناك ما يبقينى هنا. لقد صرت بالغا وقويا، ومــا زال موكونجـــا مبورا حيا، وهو الذى قتل والدى وجميع شعبى.

حمل الفتى سيفه وشحذه حتى صار بتارا، ثم انطلق صوب المكان الـــذى يعيش به موكونجا مبورا. وعندما اقترب من المكان، شاهد المارد يخرج من قلـــب بحيرة هائلة يعيش فيها. فضربه الفتى بسيفه وهتف:

ـ سوف آتى غدا وأقتلك.

وعاد إلى مقره، وظل يأكل الكثير والكثير من اللحم كـــى يـــصبح أقـــوى وأشد.

فى اليوم التالى جاء مرة أخرى، لكنه لم ير موكونجا مبورا. وفى اليـــوم الثالث شاهده الفتى، فقال له:

ـ لقد قتلت جميع أفراد شعبى، ولهذا سوف أقتلك.

خاف موكونجا مبورا وقال للفتى:

ـ لا تطعننى بسيفك فى القلب، بل اقطع إصبعى الأوسط.

وعندما قطع الفتى إصبعه صاح موكونجا مبورا قائلا:

ـ احفر حفرة فى الأرض، ولتكن حفرة كبيرة وليست صغيرة.

قام الفتى بحفر حفرة كبيرة، فخرج منها والده أولا؛ والذى كان قـــد ابتلعـــه موكونجا مبورا؛ ثم خرج من بعده الفتيان والنساء والأبقـــار والمـــاعز والبيـــوت وخزائن الطعام. وعاد كل شىء إلى ما كان عليه فى السابق.

هتف الفتى قائلا:

ـــ سوف أعفو عنك؛ لأنك أعدت والدى وجميع الناس والأملاك، ولكن عليك ألا تحاول التهامهم ثانية.

رد المارد:

ـــ لن أتعرض لهم بسوء، ولن يتهددهم شىء.

عاد الفتى مع قومه، وقاموا ببناء قريتهم مرة أخرى، لكن المحارب فكر فى نفسه: "رغم ما جرى، إلا أن موكونجا مبورا هائل الحجم وشديد البأس وسيئ الطباع. وقد التهم العديد من الناس، وربما يعود مرة أخرى لالتهام أبى".

لذلك، نادى على الفتيان وطلب منهم الذهاب معه للقتال ضد موكونجا مبورا. فلبوا جميعا دعوته، وجهزوا أنفسهم بالسلاح والعتاد، وذهبوا إلى بيت موكونجا مبورا الذى ما إن رآهم قادمين حتى صاح قائلا:

ـــ لماذا أتيتم؟ ألتقتلونى؟ ألم أعد إليك كل شعبك؟.

رد الفتى المحارب:

ـــ لأنك شرير للغاية، وقد التهمت العديد من الناس، ولذلك ينبغى قتلك.

وهنا انقض الجميع على المارد حتى قتلوه، ثم قطعوا رأسه ومزقوا جسمه إلى أشلاء عديدة. لكن إحدى ساقى موكونجا مبورا انفصلت عن الجسد الميت من تلقاء نفسها وعادت إلى الماء.

عاد المحارب إلى بيته، وحكى لشقيقه عن قتله موكونجا مبورا وعن الساق التى بقيت منه، ثم أضاف قائلا:

ـــ فى الغد سوف أجلب الساق من الماء وأقوم بحرقها.



توسلت الأم إليه ألا يذهب، لكنه رحل فى اليوم التالى حتى وصل إلى ذلــك المكان. ولم ير هناك ماء، بل قطيعا ضخما من الماشية والماعز يقف مكان الماء. فقد جمع أبناء موكونجا مبورا أشلاءه، وحملوا كل الماء معهم، ورحلوا بعيدا بعيدا عن المكان. لكنهم تركوا قطيع الماشية هناك.

عاد المحارب إلى قريته، وأحضر جميع الناس إلى المكان. وقام شعبه بجمع قطيع المواشى والماعز، وساقوها إلى قريتهم.

٢. نتسونو سارق الشمس

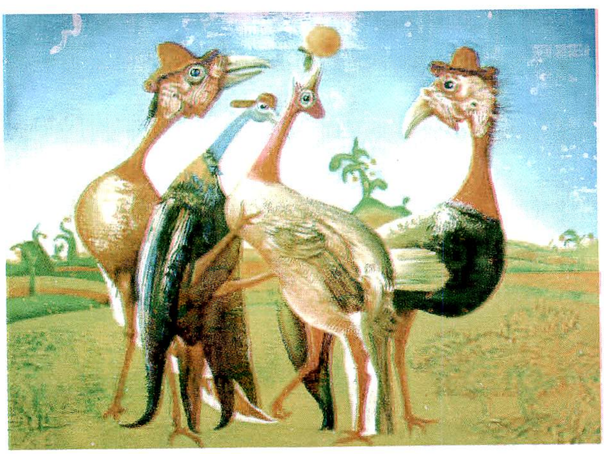
ذات مرة تزوج أحد الرجال، ووضعت زوجته وليدا. واشتهت الزوجة اللحم، لكن الرجل لم يستطع الخروج إلى الصيد. فقالت له:

– سوف أذهب بنفسى إلى الصيد بدلا منك.

خرجت المرأة مع طفلها الذى وضعته داخل سلة من الخوص، وتركتها عند طرف الغابة والطفل بداخلها، ثم قامت بالاختباء فى ركن قريب ومضت فى الغناء:

يا طيور الغرغر المحلقة فى السماء.. هيا اهبطوا وخذوا طفلى بلا عناء

يا طيور الغرغر المحلقة فى السماء.. هيا اهبطوا وخذوا طفلى بلا عناء



سرعان ما حلقت بعض طيور الغرغر من فوق الأشجار العالية، ثم هبطت فوق السلة كى تأخذ الطفل. لكن المرأة قفزت مسرعة من مخبئها وأمسكت بها. بعد ذلك عادت إلى البيت، وقام الزوج بنزع ريش طيور الغرغر، وسلقتها الزوجة، وأكلوا حتى شبعوا.

فى اليوم التالى انطلقت الزوجة لصيد طيور الغرغر مرة أخرى. فتركت السلة عند طرف الغابة والطفل بداخلها، ومضت فى الغناء:

يا طيور الغرغر المحلقة فى السماء.. هيا اهبطوا وخذوا طفلى بلا عناء

يا طيور الغرغر المحلقة فى السماء.. هيا اهبطوا وخذوا طفلى بلا عناء

سرعان ما هبط ذكر ضخم من طيور الغرغر نحو السلة، وقبض على الطفل بمخالبه، ثم طار محلقا بسرعة البرق، حتى اختفى معه فى قلب الماء. جرى كل هذا أمام ناظرى المرأة التى لم يسعفها الوقت للحاق بالطائر. فقامت بجمع حزمة من أوراق الشجر، وكومتها فى وشاح وضعته داخل السلة بدلا من الطفل، وحملتها فوق ظهرها.

ذهبت المرأة إلى البيت وهى تحمل حزمة الأوراق على ظهرها، وقالت لزوجها:

ـ لم يحالفنى الحظ اليوم فى الصيد.

رد الزوج قائلا:

ـ ضعى الطفل من فوق ظهرك.

أجابت المرأة:

ـ إن طفلنا اليوم ليس فى حالة جيدة، لذلك سوف أتركه فوق ظهرى.

هبط الليل ورقدوا للنوم. وراحت الزوجة فى سبات عميق، أما الزوج فلـم ينم.

بعد مرور بعض الوقت، شاهد الزوج أوراق الشجر وقد برزت أطرافها من داخل الوشاح. فرفع الوشاح بيديه ونظر بداخله، ولم ير سوى أوراق الشجر. فأيقظ الرجل زوجته وسألها:

ـ أين ذهب طفلى؟.

ردت المرأة:

ـ لقد وضعت الطفل داخل السلة، وصرت أنادى على طيور الغرغر كـى تأخذه. وأردت الإمساك بها بهذه الوسيلة. ولكن ذكرا ضخما مـن الطيـور هـبط وحمل الطفل بسرعة، ولم يسعنى الوقت للحاق به.

نادى الزوج على جميع أفراد القرية وصاح قائلا:

ـ لقد أعطت هذه المرأة طفلى إلى طائر الغرغر، وسوف أقتلها عقابا لها.

لكن الناس نصحوه قائلين:

ـ لا تقتلها، بل اطردها وتزوج من فتاة أخرى.

أرسل الرجل زوجته إلى والدها لتبقى معه. وقام الوالد بإرسال فتاة أخـرى إليه كى يتزوجها.

تزوج الرجل من الفتاة الجديدة التى سرعان ما حملت منه. وظلـت الفتـاة بحملها لمدة عامين ولم تضع بعد. فسألها الزوج:

ـ لماذا لا يمكنك وضع الطفل بعد؟.

ردت الزوجة:

ـ ينبغى علىّ شرب الماء الذى لم يعش به ضفدع واحد أبدا.

اقترح الزوج عليها:

ـ فلنبحث عن مثل هذا الماء.

خرج الاثنان إلى الجبال يبحثان عن الماء الذى لم يعش به ضفدع واحد أبدا.

وأخيرا صاحت المرأة:

ـ أسرع إلى هنا! لقد عثرت على الماء الذى لم يكن به ولا ضفدع واحد أبدا!.

اقترب الرجل من المكان الذى أشارت نحوه الزوجة، وأخذ يشرب من الماء معها. وهنا ظهر أمامه أسدان وسألاه:

ـ لماذا تشربان من مياهنا؟.

رد الرجل:

ـ لأن زوجتى لا تستطيع وضع الطفل بعد عامين من حملها، لهذا بحثنا عن الماء الذى لم يكن به ولا ضفدع واحد.

زأر الأسدان قائلين:

ـ إنك لم تطلب منا أن نسمح لك بالشرب، ونحن لم نأذن لك بالشرب من مياهنا.

انقض الأسدان على الرجل؛ فقتلاه والتهماه، ثم همَ أحدهما بالهجوم على المرأة، غير أن الآخر استوقفه قائلا:

ـ فلنترك هذه المرأة تلد الطفل أولا، وحينئذ سوف يصبح لدينا المزيد من اللحم.

وافق الأسد، وأخذ المرأة ووضعها فى بيت من الحديد، وأغلقه عليها.

مر بعض الوقت حتى وضعت المرأة طفلها. وأطلق الأسد عليه اسم نتسونو (١)، ونادى على الأرنب وأمره قائلا:

ـ عليك رعاية الطفل وإعطاؤه الكثير من الطعام حتى يسمن ويصبح قويا. وعندئذ سوف ألتهمه. وانتبه جيدا حتى لا يصرخ أو يبكى؛ لأن البكاء سوف يجعله هزيلا.

رد الأرنب:

ـ لا تقلق. سوف أهتم بكل شيء.

سرعان ما كبر نتسونو. وذات مرة أخذ فى الصراخ. وعندما سمعه الأسد نادى على الأرنب وسأله:

ـ لماذا يصرخ نتسونو؟.

أجاب الأرنب:

ـ لقد أصبح الطفل كبيرا حتى أنه يحتاج إلى بلطة.

أحضر الأسد إلى نتسونو بلطة صغيرة. وعندما ضرب الطفل جذعا بالبلطة لم ينكسر الجذع، بل أصابته بعض الشقوق فقط. حينئذ مضى نتسونو فى الصراخ ثانية. ولما سمعه الأسد سأل الأرنب:

---

(١) نتسونو – بما أن الطفل قد وُلد بعد حمل طويل بفضل شرب ذلك الماء الخاص، فإن اسم نتسونو يعنى فى الغالب "الروح التى تتغذى على الماء، والتى تقبض على الناس أحيانا وتنزل بهم أسفل الماء، كى تقوم بتعليمهم السحر الذى يستخدمونه بعد عودتهم".

ـ لماذا يصرخ نتسونو؟.

إن الطفل قد كبر كثيرا، ويحتاج إلى بلطة كبيرة.

أحضر الأسد بلطة كبيرة إلى نتسونو. وعندما ضرب نتسونو الجذع بالبلطة، انشطر الجذع وتحطم. وسأل الأسد الأرنب:

ـ ما هذه الجلبة؟.

رد الأرنب:

ـ إن نتسونو يقطع الحطب الذى وضعته له فى البيت.

بعد ذلك صاح الأرنب على المرأة:

ـ هيا اهربى مع نتسونو من هنا بأسرع ما يمكنك الركض، وإلا فإن الأسد سوف يلتهمكما.

فرت المرأة هاربة مع نتسونو.

مر بعض الوقت وقال الأسد للأرنب:

ـ لماذا لا أسمع صوتا لنتسونو؟ ما الذى يفعله الآن؟.

أجاب الأرنب:

ـ لا يفعل شيئا لأن اللحم قد فر من هنا.

انطلق الأسد على الفور يطارد نتسونو وأمه. واستمرت الأم فى الفرار مع ابنها والأسد يركض خلفهما. وهناك حيث كانت المرأة مع ابنها أشرقت الشمس متوهجة بنورها، أما المكان الذى ركض به الأسد فقد كان المطر يهطل عليه طوال الوقت. واقترب الأسد من مكان الأم وابنها. فاختبأ الاثنان داخل السلة، ومضى نتسونو فى الغناء مرددا:

طيرى أيتها السلة طيرى!

طيرى أيتها السلة طيرى!

طارت السلة محلقة فى الهواء، وارتفعت فوق الأرض بسرعة كبيرة. وظل الأسد يركض على الأرض فى أثر السلة الطائرة. ووصلت السلة إلى قرية الزعيم ماكونى، حيث هبطت على الأرض. وعندما رأى الأسد ما جرى، فــر هاربــا لا يلوى على شىء.

قال نتسونو لأمه:

ــ سوف يحضر الناس إلى هنا، فأخبريهم أن عليهم القيام بسحرى.

سألت الأم:

ــ وكيف يمكننى أن أقول هذا؟.

هدد نتسونو قائلا:

ــ إن لم تخبريهم بذلك فسوف أقتلك.

أتى الناس وقالت الأم لهم:

ــ أريد منكم أن تسحروا ابنى!

رد الناس عليها:

ــ يمكننا فعل هذا الأمر، فلدينا هنا رجل يستطيع القيام بأعمال السحر.

قام الرجل الساحر بإعداد الحساء، وأضاف إليه الفول، ثم وضع سُــما فــى الإناء. وقدم الحساء والفول إلى نتسونو، غير أن نتسونو لم يأكــل ســوى الفــول. وأعطى الحساء إلى طفل الساحر الذى مات بعد أن تناوله.

نادت إحدى النسوة على نتسونو:

ــ فلتقض ليلتك عندى!.

ذهب نتسونو إليها، وقالت المرأة:

ــ فلترقد على الفراش خلفى؛ لأن طفلى عليه النوم أمامى.

رقد نتسونو خلف المرأة. وعندما هبط الليل نهض حاملا طفل المرأة ووضعه بدلا منه خلف المرأة، أما هو فانتقل إلى مكان الطفل. ونهضت المرأة فى منتصف الليل، وحملت حجرا ضخما ثقيلا، هوت به فوق رأس الطفل الراقد خلفها. وعندما أشرق الصباح، أدركت أنها قتلت طفلها بدلا من نتسونو.

حكت المرأة للزعيم ماكونى ما جرى فى الليل، فقال الزعيم:

ــ فلندعه يرعى قطيع الماشية!.

خرج نتسونو بالقطيع إلى المرعى، أما ماكونى فبعث خلفه بالأسد الذى كان يطارد نتسونو ليلتهمه. لكن نتسونو تحول إلى حبة فول(١) لدى رؤيته الأسد وهو يقترب منه، ثم حلق طائرا من هناك.

عاد نتسونو إلى البيت سالما معافى. وعندما عرف ماكونى أنه لم يصب بسوء صاح قائلا:

ــ اطردوا نتسونو!.

سمع نتسونو ما قاله الزعيم، فتملك الغضب منه. وانتزع الشمس من كبد السماء وأخفاها. وعندئذ لف الظلام الدامس كافة الأرجاء.

---

(١) اسم حبة الفول هنا يعنى أرواح الموتى الذين يتقمصهم نتسونو.

ارتعد ماكونى من شدة الخوف و أخذ يتوسل:

ـ نتسونو، أعد الشمس إلينا!.

أطلق نتسونو قطعة صغيرة من الشمس.

استمر ماكونى فى الرجاء:

ـ نتسونو، أعد إلينا الشمس، وسوف أمنحك ما تريد من النساء أيا كان عددهن.

أجاب نتسونو:

ـ إذا، فلتصطف أمامى جميع الفتيات فى بلادك، كى أقوم باختيار من تعجبنى منهن لأتزوجها.

أمر ماكونى جميع الفتيات فى البلاد بالمثول أمامه، والوقوف صفا واحدا. وقام نتسونو باختيار عشر فتيات من بينهن كى يتزوجهن. وبعد ذلك حرر الشمس من قبضته و أطلقها ثانية كى تعود إلى السماء.

٣. سوديكا امبابى[١]

هيا بنا أيها الأصدقاء الأحباء نحكى قليلا حول نجانا كيمانا أوزى، الذى أنجب ولدا اسمه نزوا كيمانا أوزى.

قال نجانا كيمانا أوزى لابنه:

ــ يا ولدى نزوا، اذهب إلى لواندا للعمل هناك.

رد الابن:

ــ ولكنى أحضرت زوجتى إلى البيت للتو.

كرر الوالد طلبه بصرامة:

ــ هيا اذهب كما أمرتك!.

انطلق الابن إلى لواندا وبدأ يعمل هناك.

فى ذلك الوقت كان ماكيشى قد جرد بيت أبيه نجانا كيمانا أوزى من كل شىء. وعندما عاد الابن من لواندا إلى البيت لم يجد أحدا هناك. فقال فى نفسه وقد تملكه جوع شديد:

---

(١) تدور الحكاية هنا حول البطل المدهش الذى وُلد وهو يمتلك القدرات السحرية، فما كاد يقطع شجرة واحدة حتى تتهاوى بقية الأشجار من تلقاء نفسها، كما أن البطل "يتنبأ" بما سوف يجرى مع أقرانه ورفاقه، وهو يتمتع بصلة سحرية مع شجرة حياته. أما شقيق البطل فهو الذى سوف يبعثه إلى الحياة ثانية.

ـ ما الذى يمكننى فعله؟ فلأذهب إلى الحقل.

وشاهد امرأة صغيرة لدى وصوله إلى الحقل فنادى عليها.

عاش الاثنان معا، وأنجبت له المرأة أبناءً.

قال الابن الأكبر سوديكا امبابى لأمه:

ـ اغرسى لى شجرة حياتى كوليمبا خلف البيت.

قالت الأم:

ـ إننى فى دهشة من أمرى يا ولدى، فقد أنجبتك للتو، وهأنت تتحدث وتنطق بالكلام!.

رد الطفل قائلا:

ـ لا تندهشى، فسوف ترين ما سأقدر عليه. وسوف أقوم مع شقيقى بقطع الأخشاب وبناء بيت لوالدينا.

بعد ذلك حملوا المعاول وخرجوا إلى الأحراش.

وما أن قطع سوديكا امبابى شجرة واحدة، حتى أخذت بقية الأشجار تتهاوى واحدة بعد الأخرى من تلقاء نفسها.

فعل الأخ الأصغر مثلما فعل شقيقه الأكبر، ثم قاما بجمع الأغصان وأعواد الجريد، وعادا بها مع الأخشاب. وبعد ذلك بدأ الاثنان فى بناء البيت. وما إن ثبت سوديكا امبابى عمودا واحدا حتى اكتمل بناء البيت من تلقاء نفسه. وما إن عقد عقدة واحدة بالحبال حتى أخذت العقد كلها تنعقد من تلقاء نفسها. وما إن وضع بعض الأغصان والجريد فوق الأعمدة حتى اندفعت من تلقاء نفسها لتصنع سقف البيت وتغطيه كله.

نادى سوديكا امبابى قائلا:

ـ يا والدتى ويا والدى، هيا ادخلا، فالبيت صار جاهزا!.

وذات يوم قال سوديكا:

ـ سوف أذهب لقتال ماكيشى، أما أنت يا كابوندونجولا يا شقيقى الأصغر فلتظل مع والدى، وعندما ترى كيليمبا شجرة حياتى تذوى وتذبل، فاعلم أنى أموت.

رحل سوديكا امبابى. وعندما قطع نصف الطريق سمع حفيفا صادرا من بين العشب، فصاح سائلا:

ـ من هنا؟.

ـ إنه أنا كيباليندى، الذى شيد البيت فى قلب الجبل!.

قال سوديكا امبابى:

ـ تعال هنا لنذهب معا.

انطلق الاثنان يواصلان السير فى الطريق، ثم صدر صوت حفيف من بين العشب مرة أخرى، فسأل سوديكا امبابى:

ـ من هناك؟.

ـ أنا كيباليندى، الذى يصنع عشر هراوات فى اليوم الواحد!.

صاح عليه سوديكا امبابى:

ـ فلتذهب معنا.

سار الجميع فى الطريق حتى تردد صوت الحفيف من بين العشب. فسأل سوديكا:

ـ من هناك؟.

ـ إنه أنا كيباليندى، جامع الحصاد فى كوادونجا!.

فصاح عليه سوديكا امبابى:

ـ تعال هنا ولنذهب معا.

واصلوا سيرهم على الطريق، حتى تردد صوت الحفيف من بين العشب ثانية.

ـ من هناك؟.

ـ إنه أنا كيباليندى، الذى طالت لحيته حتى وصلت إلى كالونجا[١].

صاح سوديكا امبابى:

ـ هيا اذهب معنا.

مضوا يواصلون سيرهم، وفجأة لاحظ سوديكا امبابى أن أحدا يسير على الضفة الأخرى من النهر، فصاح مناديا عليه:

ـ من أنت؟.

ـ أنا كيدجاندالا ميدى، الذى يلتهم مئة شخص دفعة واحدة.

فقال سوديكا امبابى:

ـ أنا سوديكا امبابى الذى نصب عكازه على الأرض، وحمل الظبى إلى السماء.

---

(١) كالونجا نجومبى هو رب العالم السفلى والسلف المقدس.

عندما سمع كيدجاندالا ميدى ما قاله سوديكا امبابى، فر هاربا حتى اختفى من المكان.

وصلوا بعد ذلك إلى الأدغال الكثيفة، فقال سوديكا امبابى للأربعة كيباليندى:

ـ فلنتوقف هنا كى نقاتل ماكيشى!.

ومضوا فى جمع الأغصان وأعواد الجريد. وقطع سوديكا امبابى شجرة واحدة، فتهاوت على الأرض بقية الأشجار من تلقاء نفسها. وعقد عقدة واحدة من الأغصان، فانعقدت بقية الأغصان من تلقاء نفسها.

بدأوا فى البناء، وأعطى سوديكا امبابى طوقا من الأغصان إلى كيباليندى الذى شيد البيت فى قلب الجبل. فأخذه كيباليندى ووضعه فوق الصخر، لكن الطوق لم ينتصب فى مكانه. وحاول مرة أخرى تثبيته بلا جدوى. فقال سوديكا امبابى:

ـ ألم تقل إنك أنت "الذى شيد البيت فى قلب الجبل"؟.

ظل سوديكا امبابى يبنى البيت طويلا حتى انتهى من بنائه أخيرا.

وبعد ذلك راح الجميع فى سبات عميق.

عندما أشرق الفجر صاح سوديكا امبابى:

ـ فلنرحل لقتال ماكيشى.

واصطحب معه ثلاثة كيباليندى، أما الرابع الذى يصنع عشر هراوات فى اليوم الواحد، فتركه فى المكان. ووصلوا إلى ماكيشى. وبدأوا فى التصويب عليهم.

أما هناك حيث بقى كيباليندى بمفرده، فقد جاءت إليه عجوز مع حفيدتها. وقالت لكيباليندى لدى رؤيتها له:

ـ هيا نتصارع! ولو استطعت هزيمتى فيمكنك الزواج من حفيدتى!.

بدأ الاثنان فى الصراع والنزال حتى انهزم كيباليندى. ورفعت العجوز حجرا ضخما وضعته فوق كيباليندى ورحلت عن المكان.

شاهد سرديكا امبابى كيباليندى والحجر من فوقه يجثم عليه، فصاح على الثلاثة كيباليندى معه:

ـ إن رفيقكم يرزح أسفل الحجر.

رد عليه الثلاثة:

ـ سوديكا امبابى، أنت لا تقول الحق. إننا بعيدون كثيرا، فكيف يمكنك رؤية رفيقنا وهو أسفل الحجر؟.

رد سوديكا امبابى قائلا:

ـ إنى أعلم أن هذه هى الحقيقة.

عندئذ توقفوا عن القتال قائلين:

ـ فلنذهب إلى البيت!.

وعندما عادوا شاهدوا كيباليندى يرزح أسفل الحجر. فقال لهم سوديكا امبابى:

ـ ألم أخبركم بذلك وأنتم لم تصدقونى؟.

أجاب عليه الثلاثة كيباليندى:

ـ لقد كنت محقا.

رفعوا الحجر من فوق رفيقهم وسألوه:

ـ من الذى فعل بك هذا الأمر؟.

رد كيباليندى:

ــ لقد جاءت العجوز مع حفيدتها وقالت لى: "هيا نتصارع، ولو استطعت هزيمتى يمكنك الزواج من حفيدتى!"، وعندما تصارعت معها انتصرت علىّ!.

ضحك الآخرون ساخرين منه، وقالوا:

ــ لقد هزمتك امرأة عجوز أيها البائس!.

بعد ذلك ذهب الجميع للنوم.

فى الصباح نادى سوديكا امبابى عليهم:

ــ فلنذهب للقتال!

وظل فى البيت كيباليندى آخر. ووصل البقية إلى موقع المعركة، وأخذوا فى القتال.

جاءت العجوز مع حفيدتها مرة أخرى إلى البيت الذى بقى فيه كيباليندى، وقالت له:

ــ هيا بنا نتصارع!.

أجاب كيباليندى:

ــ حسنا!.

بدأ الاثنان فى النزال، حتى انتصرت العجوز على كيباليندى، ووضعت فوقه حجرا ضخما.

عرف سوديكا امبابى أن كيباليندى يرزح أسفل الحجر، فصاح على الآخرين:

ـ إن رفيقكم راقد أسفل الحجر! فلنذهب إلى البيت!.

ذهبوا إلى رفيقهم، ورفعوا الحجر من فوقه قائلين:

ـ ما الذى جرى معك؟.

رد عليهم قائلا:

ـ لقد فعلت العجوز معى مثلما فعلت بالأمس مع رفيقنا.

هبط الليل، ونام الجميع. وفى الفجر خرجوا إلى الحرب تاركين بالبيت كيباليندى الثالث.

ومرة أخرى وصلت العجوز إلى حيث بقى كيباليندى بمفرده، وعندما عثرت عليه قالت:

ـ هيا نتصارع! ولو استطعت هزيمتى يمكنك الزواج من حفيدتى!.

بدأ الاثنان فى الصراع، واستطاعت العجوز هزيمة كيباليندى، وغطته بصخرة كبيرة، ثم رحلت من المكان.

أدرك سوديكا امبابى كل ما جرى، فصاح على الآخرين:

ـ فلنعد إلى البيت! إن رفيقكم الثالث واقع تحت الصخر!.

ذهبوا إلى البيت، ورفعوا الصخرة من فوق رفيقهم، وسألوه:

ـ ما الذى حدث معك؟.

رد عليهم:

ـ لقد فعلت العجوز بى مثلما فعلت مع رفيقَى.

حل الظلام فى المكان. وفى الصباح صاح سوديكا امبابى مناديا:

ـ فلنذهب إلى القتال!.

وظل فى البيت كيباليندى بمفرده. أما الآخرون فوصلوا إلى ماكيشى وأخذوا يقاتلونه.

جاءت العجوز ثانية إلى كيباليندى وقالت له:

ـ فلنتصارع! ولو هزمتنى يمكنك الزواج من حفيدتى!.

انتصرت العجوز على كيباليندى وغطته بالحجر.

عرف سوديكا امبابى على الفور بذلك الأمر، وصاح على رفاقه:

ـ فلنذهب إلى البيت، لأن رفيقكم الرابع يرزح تحت الحجر!.

توقفوا عن القتال، ولم يبق فى حوزة ماكيشى سوى قرية واحدة. وذهبوا إلى البيت وحرروا كيباليندى، ثم راحوا فى النوم.

عندما طلع الفجر قال سوديكا امبابى:

ـ لم يبق بالأمس سوى قرية واحدة، فاذهبوا أنتم الأربعة للقتال، وسوف أظل أنا اليوم هنا!.

خرج الأربعة إلى القتال تاركين سوديكا امبابى فى البيت. وجاءت العجوز إليه وقالت:

ـ فلنتصارع! ولو هزمتنى يمكنك الزواج من حفيدتى!.

أخذ الاثنان فى النزال والصراع، حتى انتصر سوديكا امبابى على العجوز. وبعد أن قتلها ظل باقيا مع حفيدتها.

قالت الحفيدة الصغيرة:

ـ لقد صرت اليوم تمتلك حياتى. فقد كانت العجوز تحبسنى فى كهف صخرى لا يمكننى الفكاك منه. واليوم سوف أتزوج منك يا سوديكا امبابى.

وافق سوديكا.

عاد الأربعة كيباليندى وقالوا:

ـ لقد انتهى أمر ماكيشى اليوم!.

رد سوديكا امبابى عليهم:

ـ إنه أمر جيد.

وهكذا عاش الجميع.

لكن الأربعة كيباليندى قرروا قتل سوديكا امبابى قائلين لبعضهم بعضًا:

ـ لقد تفوق الطفل علينا، وينبغى التخلص منه. ولكن كيف نقتله؟.

قاموا بحفر حفرة كبيرة وغطوها بالحصير السميك، ثم وضعوا فوقها حصيرة رقيقة أخرى.

وبعد ذلك نادوا عليه:

ـ تعال إلينا واجلس هنا.

جلس سوديكا فسقط فى قلب الحفرة. وأهالوا التراب عليه، وظلوا يعيشون مع المرأة الشابة.

وفى بيت سوديكا كان يعيش شقيقه الأصغر كابوندو نجولا. وذات مرة عندما كان شقيقه يسير خلف البيت، تطلع إلى كيليمبا شجرة حياة شقيقه الأكبر، فرآها تذبل وتذوى. عندئذ صاح قائلا:

ـ إن شقيقى الأكبر يحتضر الآن.

سقا شجرة كيليمبا بالماء حتى اخضوضرت ثانية.



أما الشقيق الأكبر سوديكا امبابى الذى سقط فى الحفرة، فقد استطاع العثور على طريق للخروج منها. وعندما قطع نصف الطريق شاهد المرأة العجوز التـــى حفرت الأرض، وكان نصف جسمها السفلى راقدا فى الظل.

قام سوديكا امبابى بتحية العجوز وقال:

ـ الجو هنا حار للغاية أيتها الجدة!.

ـ إنه قيظ الظهيرة يا ولدى!.

قال سوديكا امبابى:

ـ ألا ترشديننى إلى الطريق؟.

ردت العجوز:

ـ قم بالحفر بدلا منى قليلا حتى يمكننى إرشادك إلى الطريق!.

أخذ سوديكا معولا، وأخذ يحفر الأرض به. عندئذ صاحت العجوز:

ـ أشكرك، هيا بنا لأرشدك إلى الطريق. عليك أن تسلك ذلك الممر الضيق، وتبتعد عن الطريق الواسع حتى لا تضل. وعندما تصل إلى المكان الذى تنتهى فيه الأرض بكالونجا نجومبى، عليك أن تحمل معك إيدونجا، وإيدونجا هو إناء الفلفل الأحمر وبازلاء الحكمة.

وافق سوديكا امبابى. ومضى فى طريقه حتى وصل إلى تخوم أملاك كالونجا نجومبى.

نبح كلب كالونجا نجومبى على سوديكا. فقام سوديكا بزجره حتى فر عائدا إلى البيت.

ودلف إلى بيت الضيافة، حيث وضعوا له حصيرة مرحبين به.

قال لهم:

ـ لقد أتيت للزواج من ابنة كالونجا نجومبى!

قال كالونجا نجومبى:

ـ حسنا، سوف أزوجك من ابنتى لو كان لديك إيدونجا إناء الفلفل الأحمر وبازلاء الحكمة!.

وقاموا بإعداد العشاء لسوديكا امبابى. وعندما رفع غطاء الإناء ونظر بداخله، رأى ديكا ووعاء الحساء. فحمل الديك وأخفاه أسفل كيتاندو(١)، ثم قطع جزءا من جسمه وأكله مع الحساء. وفى منتصف الليل سمع صوتا يتردد فى القرية:

---

(١) كيتاندو هو الغصن السفلى المجدول.

ـــ من الذى قتل الديك؟ من قتل ديك كالونجا نجومبى؟.

رد الديك من أسفل الغصن:

ـــ كوكا لوكا!.

وعندما أشرق الفجر قال سوديكا امبابى:

ـــ ناه![1] كالونجا نجومبى، والآن امنحنى ابنتك!.

لكن كالونجا نجومبى رد قائلا:

ـــ لقد اختطف كينيوكا ابنتى، فاذهب وحررها منه!.

انطلق سوديكا امبابى حتى وصل إلى ممتلكات كينيوكا، وسأل هناك:

ـــ أين كينيوكا؟ وإلى أين ذهب؟.

قالت زوجة كينيوكا:

ـــ لقد ذهب إلى الصيد!.

جلس سوديكا امبابى فى الانتظار. وفجأة شاهد سربا عملاقا من النمل يزحف حوله. فقام سوديكا امبابى بقتله. عندئذ بدأت أسراب النمل الأحمر فى الزحف عليه، فقام بإبادتها كذلك. وظهرت أسراب ضخمة من النحل والدبابير العملاقة، واستطاع سوديكا أن يطردها جميعا.

حينئذ ظهرت رأس كينيوكا، فقام بقطعها.

وظهرت الرأس الأخرى فقطعها أيضا.

وعندما ظهرت رأس جديدة، اقتلع نخلة كينيوكا وقطع رأسه.

---

(١) ناه- لفظ يعبر عن الاحترام والتبجيل.

وظهرت رأس جديدة فقام بقطع رأس كلب كينيوكا، ثم قطع رأس كينيوكا مرة ثانية.

وأخيرا ظهرت رأس أخرى، فقام بقطع سبائط موز كينيوكا، ثم قطع رأسه. وعندئذ فقط مات كينيوكا.

دخل سوديكا امبابى إلى بيت كينيوكا. وهناك عثر على ابنة كالونجا نجومبى، فقال لها:

ــ هيا بنا، فقد أرسلنى والدك من أجلك.

وسارا معا حتى وصلا إلى أراضى كالونجا نجومبى. وقال سوديكا امبابى:

ــ لقد أحضرت ابنتك!.

رد كالونجا نجومبى:

ــ فلتقتل من أجلى السمكة التمساح العملاقة المتوحشة كيمبيدجى، فقد أخذت أغنامى وخنازيرى فى الأسر لديها!

قال سوديكا امبابى:

ــ إذا، أحضر لى جديا صغيرا.

وعندما أحضروا الجدى إليه، قام بربطه إلى خطاف، ثم ألقى به فى الماء.

اقتربت السمكة العملاقة كيمبيدجى وابتلعت الجدى.

أخذ سوديكا امبابى يجذب طرف الخطاف حتى سقط فى الماء.

وقامت السمكة العملاقة بابتلاعه هو الآخر.

كان الشقيق الأصغر كابوندو نجولا فى البيت. وعندما تجول حول المنزل شاهد كيليمبا شجرة حياة شقيقه الأكبر تذبل وتذوى. عندئذ صاح قائلا:

ـــ إن شقيقى الأكبر يحتضر الآن. وسوف أسلك الطريق الذى سار به حتى أعثر عليه.

ومضى فى نفس الطريق الذى سار فيه الشقيق الأكبر. وعندما وصل إلى بيته، عثر هناك على كيباليندى فقال:

ـــ أين شقيقى الأكبر؟.

ردوا كيباليندى قائلين:

ـــ نحن لا نعلم!.

صاح كابوندو نجولا:

ـــ لقد قتلتموه، فاكشفوا لى عن قبره!.

قاموا بنبش القبر، وهبط كابوندو نجولا إليه، حيث شاهد الطريق الذى سار به شقيقه الأكبر. فى منتصف الطريق قابل العجوز التى حفرت الأرض، وكان أسفل جسمها راقدا فى الظل.

قال لها:

ـــ أيتها العجوز، أرشدينى إلى الطريق الذى سار به شقيقى الأكبر!.

أرشدته العجوز إلى الطريق.

وعندما وصل إلى أملاك كالونجا نجومبى، صاح سائلا:

ـــ أين شقيقى الأكبر؟.

ولكن كالونجا نجومبى ردت قائلة:

ـــ إن كمبيدجى –السمكة العملاق قد ابتلعته!.

عندئذ قال كابوندو نجولا:

ــ أحضر لى جديا إذا.

أحضروا إليه جديا.

قام بربط خطاف فى الجدى وألقى بالخطاف فى الماء. وجاءت السمكة العملاقة كمبيدجى وابتلعته. فأخذ كابوندو نجولا يصيح مناديا على الناس، كى يساعدوه فى جذب السمكة العملاقة كمبيدجى. ومضى الجميع يجذبون السمكة ويسحبونها إلى الشاطئ.

حمل كابوندو نجولا سكينه وشق بطن كمبيدجى. وعثر على عظام شقيقه الأكبر فى بطنها، فقام بجمعها وقال:

ــ هيا انهض يا شقيقى الأكبر!.

ونهض سوديكا امبابى واقفا.

قال الشقيق الأصغر:

ــ والآن، فلنذهب يا شقيقى الأكبر!.

وعندئذ منح كالونجو نجومبى ابنته إلى سوديكا امبابى، الذى انطلق معها فى طريق العودة. وعندما وصل إلى الحفرة التى مات بها سوديكا امبابى، ارتجت الأرض من تحتهم وخرجوا إلى سطح الأرض، وهنا شاهدوا أمامهم الأربعة كيباليندى. فقاموا بطردهم، وظلوا يعيشون هناك.

وذات يوم قال الشقيق الأصغر:

ــ أيها الشقيق الأكبر، أعطنى واحدة من زوجاتك، فإن لديك زوجتين!

رد الشقيق الأكبر:

ـ لا! إن المرأة التى أتزوجها تصبح لى، وأنت شقيقى، ولا يمكنك الـزواج ممن أتزوجها!.

وبدأ الشقيقان الأكبر والأصغر فى الشجار. وأخذا يتصارعان يريد كل منهما قتل الآخر. ولكن أحدا منهما لم يستطع قتل الآخر. وأصـاب الإنهـاك الـشقيقين، فتركا أسلحتهما جانبا بعد أن خارت قواهما.

وهكذا، تخاصم الشقيقان الأكبر والأصغر من أجل النساء، وافترق كل منهما عن الآخر.

ومنذ ذلك الزمن والأمور تجرى على هذا النحو: فعندما يزمجر الرعد يعنى ذلك أن الشقيق الأكبر يسير نحو الشرق، وعندما يزمجر الرعد على الجانب الآخر مجيبا عليه، فذلك يعنى أن الشقيق الأصغر يسير نحو الغرب.

وهذه هى نهاية حكايتنا.

٤. كخو دوما دوما(١) 

فـي يوم من الأيام ظهر فى أرضنا الوحـش الهـائل كخو دومـا دومـا. وقد أصبح كل كائن حى يقع فى طريق كخو دوما دوما – وحشا كان أم إنـسان– ضحية للوحش المرعب.

كانت هناك بعض القرى الواقعة فى أحد الوديان. وخرج كخو دوما دومـا من وكره الواقع فوق أحد الجبال إلى ذلك الوادى. فابتلع جميع النـاس والكـلاب والماشية. وظل يبتلع جميع الناس والكلاب والماشية وهو يتنقل مـن قريـة إلـى أخرى. وفى آخر القرى التى تقع بالوادى كانت تعيش امرأة تنتظر وضع مولودها. وعندما وصل كخو دوما دوما إلى بيتها، كانت المرأة مستلقية للراحة فوق بعـض الأغصان. وعندما شاهدت الوحش يقترب منها، انتفضت المرأة مسرعة، وأهالـت التراب والرماد على جسمها من رأسها حتى أخمص قدميها، ثم اختبأت فى حظيرة المواشى.

---

(١) تقوم الحكاية على أساس الحدوتة الفلكلورية الشعبية الأفريقية "الوحش البالع"، الذى يبتلع كل النـاس والحيوانـات والبيوت والحقول وغيرها. ويقوم البطل الجبار بقتل الوحش وتمزيقه وتحرير من ابتلعهم. وأحيانا يبتلع الـوحش البطل الذى يمزق الوحش من الداخل. وفى بعض الروايات ينبغى تمزيق الوحش فى أماكن محددة مـن الأمـام وليس من الخلف، وتمزيقه باستخدام الإصبع الأكبر أو الأوسط الخ.. أو أن ذبحه لا يجوز سوى بيد شخص بعينه (أصغر طيور كاتويتوى). وأحيانا يعيش الوحش فى الماء. ويمكن أن يقوم بدور الوحش النسر أو الفيلة أو ثمرة القرع الخ..

عندما انتهى كخو دوما دوما من التهام جميع الناس والحيوانات دخل إلى الحظيرة ونظر بداخلها. لكن المرأة كانت راقدة فى هدوء تام وهى مغطاة بالتراب والرماد، فظن الوحش أنها صخرة من الصخور. وعندئذ تحول كخو دوما دوما عنها وخرج من الحظيرة. وانطلق فى طريقه إلى وكره. لكنه عندما وصل إلى مخرج الوادى، لم يمكنه العبور عبر الممر الضيق المفضى إلى وكره، ذلك لأنه ابتلع الكثير والكثير حتى صار مثل الجبل. فاضطر للتوقف عند مدخل وكره.

فى ذلك الوقت وضعت المرأة المختبئة فى الحظيرة طفلها. وقامت بوضعه على الأرض، ثم خرجت إلى البيت تبحث عن خرقة من القماش تلفه بها. وعندما عادت لم تر أثرا لوليدها. وشاهدت بدلا منه شابا يافعا يحمل فى يده رمحا، ويزين رقبته طوق من العظام. فسألت المرأة:

ــ ألم تر ابنى أيها الشاب؟.

رد الشاب قائلا:

ــ إنه أنا ابنك يا أمى.

وسألها بعد ذلك عن سر اختفاء الناس والماشية والكلاب. فحكت له المرأة عن كل شىء. وسألها الفتى:

ــ وأين ذلك الوحش الآن؟.

ردت المرأة:

ــ اخرج وابحث عنه يا ولدى.

تسلق الاثنان حائط البيت حتى وصلا إلى أعلاه، ومن هناك شاهدا الوحش الذى بدا مثل الجبل وهو محشور عند مدخل الوكر. وقالت الأم:

ــ هذا هو الوحش كخو دوما دوما.



عندئذ هبط ديت أولانى- كما أطلقوا على الفتى- حائط المنزل، ثم حمل رمحه وسهامه وشحذها، ثم انطلق نحو طرف الوادى حيث يرقد الوحش المخيف.

وعندما شاهد كخو دوما دوما الفتى قادما نحوه، فغر فاه كى يبتعله، لكن ديت أولانى التف نحوه من الناحية الأخرى. ولم يستطع كخو دوما دوما أن يلتفت ناحية الفتى الذى طعنه بالرمح، ورشقه بالسهام. وخر الوحش صريعا فوق الأرض. فحمل الفتى سكينه وبقر بها بطن الوحش كى يخرج أحشاءه، عندها سمع فجأة صوتا يتردد قائلا:

ـ لا تلمسنى أرجوك!.

عندئذ رشق الفتى سكينه فى مكان آخر من جسم الوحش، فسمع صوت صراخ منذر. لكن الوقت كان قد تأخر، فجرح بسكينه قدم أحد الأشخاص. وغرس ديت أولانى سكينه للمرة الثالثة فسمع خوار الأبقار، وصوتا يحذره:

ـ احترس حتى لا تصيب الأبقار!.

وعندما كان ديت أولانى يشق بطن الوحش سمع صـــوت مأمـــأة المـــاعز، ونباح الكلاب، وصياح الدجاج، واستطاع بمهارة أن يبتعد عنهم بـــسكينه. وأخيـــرا نجح فى تحرير جميع حيوانات الوادى وسكانه.

قام الناس بجمع حيواناتهم وتفرقوا إلى بيوتهم، ثم أقـــاموا وليمـــة ضـــخمة. وقرروا أثناءها قائلين:

ــ إن مخلصنا يستحق أن يكون زعيما علينا.

وقاموا بإهدائه قطيعًا من المواشى تعبيرا عـــن امتنـــانهم لتحريـــره لهـــم. وأصبحت بناتهم زوجات له، كما شيدوا منزلا له. وحكم ديت أولانى البلاد بحكمـــة وذكاء.

لكن واحدا فقط من الناس كان حانقا على الزعيم. كان ذلك الـــشخص هـــو الذى أصابه بسكينه ديت أولانى دون قصد فى قدمه. ولم ينس ذلك الشخص غضبه حتى بعد أن التأم جرح قدمه. وفى كل مرة يشاهد فيها علامات الاستياء من الزعيم لدى بعض الناس، كان الرجل يتعمد تأجيج مشاعر الغضب لديهم. وكـــان يجمـــع حوله أولئك الذين يشعرون بالحسد نحو الزعيم، وأولئك الذين تساورهم الشكوك فى أن ديت أولانى ليس بالإنسان العادى.

وأخيرا تصاعدت مشاعر الشر لدى أولئك الناس، وفكروا فى التخلص مـــن الزعيم. فقاموا بحفر حفرة عميقة، وغطوا فتحتها العلوية بالأغصان اليابسة. لكـــن ديت أولانى اكتشف خطتهم الخبيثة. وعندئذ قام أولئك الناس بإشـــعال الأغـــصان، وأقاموا حلقة كبيرة من النار كى يلقوا فيها بالزعيم. لكـــن شـــجارا انـــدلع بيـــنهم، وأخذوا يضربون بعضهم بعضًا، وفى نهاية الأمر ألقوا فى النار بواحد منهم.

وتكرر نفس الأمر، وذلك عندما حاولوا إلقاء الزعيم من فوق قمة عالية، وبدلا من الزعيم رموا بواحد من المتآمرين المحرضين. لكن ديت أولانى استطاع بعثه إلى الحياة.

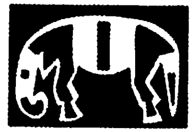
عندئذ قاموا بتنظيم رحلة كبيرة للصيد، وخرجوا من القرية لعدة أيام. وعندما ذهب الصيادون إلى ملجأهم فى الجبل، طلبوا من زعيمهم أن يحتل آخر موقع من الكهف الذى يبيتون فيه. وفى الليل، وبعد أن ظن الصيادون أن الزعيم راح فى النوم، تسللوا خارجين من الكهف، وأشعلوا حلقة كبيرة من النار عند مدخله. والآن لا بد أن يموت الزعيم حرقا، بعد أن امتدت النيران إلى جميع أرجاء الكهف، لكن الناس شاهدوا الزعيم واقفا بينهم سليما معافى.

وفى نهاية الأمر أصاب التعب ديت أولانى من مواجهة شرور البشر. فسمح بقتل نفسه دون إبداء أية مقاومة.

* * *

وهناك بعض الرواة يحكون تلك الحكاية مضيفين إليها:

– يُحكى أن قلب ديت أولانى قفز من بين ضلوعه، وتحول إلى طائر محلق فى السماء.



٥. حكاية ليونجو فومو

عاش فى قديم الزمان رجل يدعى ليونجو[١]. وكان ليونجـــو هـــو الأكثـــر ضخامة وبأسا فى موطنه. وكان يتسبب بسلوكه فى الكثير من الإزعاج لمواطنيه. فقرر الناس ذات يوم القبض عليه وإلقاءه فى السجن. فهجموا على بيته على حين غرة، وربطوه بالحبال، وألقوا به فى سجن مظلم.

أمضى ليونجو أياما عديدة فى محبسه. لكنه فى أحد الأيام استطاع الفـــرار منه. وبدأ فى إزعاج الناس ومضايقتهم ثانية، فلم يستطيعوا الخروج إلى حقـــولهم لجمع الحطب وإحضار الماء.

وشرع الأهالى الخائفون فى البحث عن وسيلة للتخلص من ليونجو. وتحدثوا فيما بينهم قائلين:

ــ ما الذى يمكننا فعله حتى نمسك به ونقتله؟.

اقترح أحدهم قائلا:

ــ يمكننا الإمساك به أثناء نومه، ثم نقتله بعد ذلك.

---

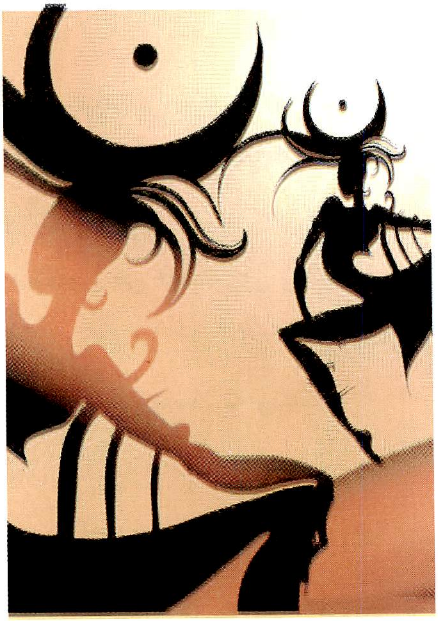
(١) تتماثل حكاية ليونجو فومو مع الشخصية التاريخية الواقعية لحاكم شرق أفريقيا، الذى عاش فى القرن الثالث عشر بمنطقة المدن الدول (أى المدن التى تمتعت باستقلال وكيان الدولة – المترجم) باتى ولامو. ويـــرون أن ليونجـــو كان شاعرا شهيرا للغاية أيضا. وتنتشر الحكايات حوله فى الجزء الشمالى من الشاطئ الـــسواحيلى أكثـــر مـــن غيرها. ولكنها توجد أيضا فى بوكومو. ويوجد لدى السواحيلى عدد كبير من المؤلفات الأدبية حول ليونجو البطل الرئيسى للملاحم السواحيلية-حكايات وروايات وقصائد وأشعار وأغان (فى شكليها الشفهى والمدون).

وقال الآخرون:

ـ إذا استطعتم الإمساك به فاربطوه وأحضروه إلينا.

وهكذا، نجح الناس فى الإمساك بليونجو. وقاموا بربطه وساقوه إلى المدينة، حيث قيدوه بالسلاسل وألقوا به فى السجن. وقضى العديد من الأيام فى سجنه لا يرى أحدا سوى أمه التى كانت تحضر الطعام له كل يوم.

وعند باب السجن، كان الحراس المسلحون يقومون دائما بالمراقبة، ولم يتركوا موقعهم ولا لدقيقة واحدة، ذلك حتى لا يفر ليونجو من محبسه.



مرت الأيام والشهور.

وفى كل ليلة كان ليونجو يشدو بأغانٍ جميلة فى المساء. وكان كل من يستمع إلى غنائه ينتشى من الطرب. وكثيرا ما تحدث الناس فيما بينهم قائلين:

ـ فلنذهب لسماع غناء ليونجو.

وكانوا يذهبون ويستمعون لغنائه. وفى كل ليلة عندما يحل المساء، يتوافد الناس ويقولون لليونجو:

ـ لقد حضرنا كى نستمع إلى أغانيك، فهيا غنِّ لنا!.

لم يستطع ليونجو الرفض، فكان يغنى للناس الذين أحبوا أغانيه. كان ليونجو يضع فى كل يوم أغانى جديدة تعبر عن شوقه إلى الحرية.

لم يدرك الناس جيدا معنى تلك الأغانى. لكن أم ليونجو وجاريتها كانتا تفهمان مغزاها جيدا.

وذات مرة، وعندما أحضرت الجارية الطعام إلى ليونجو، قام الحراس بانتزاع الطعام منها وأكله، ولم يتركوا له سوى الفتات. فقالت الجارية:

ـ سيدى ليونجو، لقد أحضرت لك الطعام، لكن الحراس أخذوه منى والتهموه، ولم يبق منه سوى ذلك الفتات.

أخذ ليونجو بقايا الطعام، وشكر الرب على ما منحه له، ومضى فى الغناء متوجها إلى الجارية التى وقفت عند الباب:

ـ أخبرى أمى أن الأحمق لا يصبح حكيما أبدا. واطلبى منها أن تخبز لى خبزا وتضع بداخله منشارا، كى يمكننى نشر السلاسل التى تقيدنى والخروج إلى الحرية.

ذهبت الجارية إلى الأم وقالت لها:

ـ إن ولدك يهديكِ السلام. وقد جئت لأبلغك رسالة منه.

سألت الأم:

ـــ أية رسالة؟.

كررت الجارية على مسامعها ما قاله ليونجو.

وعندما عرفت الأم طلب الابن، قامت بشراء عدة مناشير صغيرة وحملتها إلى البيت، أحضرت الطحين، وخبزت منه العديد من أرغفة الخبز الجميلة. وبعد ذلك خبزت رغيفا كبيرا وضعت بداخله المناشير. وأعطت الأم كل ذلك للجارية كى تحمله إلى ليونجو.

وعندما اقتربت الجارية من سجن ليونجو، أخذ الحراس منها كل ما تحمله، واختاروا منه أرغفة الخبز الجميلة والتهموها، ثم قالوا لها:

ـــ أما ذلك الرغيف الضخم فيمكنك حمله إلى سيدك.

حملت الجارية الرغيف إلى ليونجو، الذى شق الخبز، وأخرج منه المناشير وأخفاها، ثم أكل الخبز وشرب الماء وشكر الرب.

فى ذلك الوقت قرر المواطنون قتله. وسمع ليونجو بنفسه هذا الأمر، فسأل حراسه:

ـــ متى يريدون قتلى؟.

ردوا عليه قائلين:

ـــ غدا.

عندئذ طلب منهم ليونجو:

ـــ اطلبوا من أمى الحضور، ومن جميع سكان المدينة أيضا، فإنى أريد توديعهم.

خرج الحراس ونادوا على الجميع. وحضر العديد من الناس ومعهم أمه وجاريته.

سألهم ليونجو قائلا:

ــ هل جئتم جميعا؟.

ــ نعم، لقد جئنا جميعا.

قال ليونجو:

ــ أحضروا لى قرنا، وطبلا، وأجراسًا "شخاليل". وعندما تحضرونها أقيموا الألعاب اليوم. فإنى أريد توديعكم جميعا.

ردوا عليه قائلين:

ــ حسنا، فلنلعب!.

هتف ليونجو:

ــ فليحمل أحدكم القرن والآخر الشخاليل، والثالث الطبل.

سأله الحضور:

ــ وكيف سنلعب؟.

شرح لهم طريقة اللعب، فبدؤوا يلعبون.

أما هو فجلس فى سجنه يغنى. وعندما قرعوا الطبل، حمل المنشار وأخذ ينشر به أغلاله. وعندما كان يتوقف صوت الطبل، كان هو الآخر يتوقف عن النشر ويقوم بالغناء. ولم يحزر الناس ما يفعله. وأخيرا سقطت قيوده بعد أن نشرها جميعا. حينئذ حطم ليونجو باب سجنه وخرج حرا طليقا. وعندما شاهده الناس

أصابهم الذهول، ومضوا يفرون من أمامه من فرط الرعب والخوف. لكنه أمسك بهم، وأخذ يحطم رءوسهم ويقتلهم.

وذهب ليونجو بعد ذلك إلى المدينة، حيث قام بوداع أمه وقال لها:

ـ لن نلتقى بعد اليوم.

ومضى إلى الغابة، وصار يعيش بها كما كان حاله فى الماضى، يتجول فيها مطمئنا ويواصل قتله للناس.

وذات يوم اختار الأهالى أكثر الناس دهاءً من بينهم وقالوا لهم:

ـ اذهبوا إليه واعقدوا الصداقة معه، كى يمكنكم قتله بعد ذلك.

ذهب الخبثاء إلى ليونجو.

وعندما وصلوا إلى ليونجو ونجحوا فى عقد الصداقة معه، قالوا له ذات مرة:

ـ فلنأكل اللحم أيها السلطان.

رد ليونجو:

ـ وكيف يمكننى سداد ثمن اللحم الذى تريدون أن نأكله؟ أنتم تعلمون أنى فقير للغاية!.

عرض عليه أولئك الناس قائلين:

ـ إذن، فلنأكل قلب النخلة.

سأل ليونجو:

ـ وكيف يمكننا أكله؟.

أجابوه:

ــ فليتسلق أحد منا أعلى النخلة، ويقوم بثنيها، فيمكننا الأكل منها بعد ذلك.

وافق ليونجو ومضوا يتسلقون النخلة واحدا بعد الآخر، ويجعلونها تنثني وتنحني. وكان الخبثاء قد قرروا فيما بينهم أن يقتلوا ليونجو بالسهام عندما يتسلق أعلى النخلة. وها هم ينادون عليه:

ــ هيا ليونجو، فقد حل الدور عليك.

لكن ليونجو استطاع أن يحزر نواياهم، فرد قائلا:

ــ حسنا.

حمل ليونجو قوسه وسهامه وصاح قائلا:

ــ سوف أصوب نحو أعلى لب النخلة الناضج كي نأكل قلبها.

وصوب سهمه نحو لب النخلة، واستطاع أن يفلقها، ثم صوب السهم الثاني وشق اللب الثاني. وهكذا ظل يصوب نحو أعلى النخلة حتى شق قلبها بالكامل.

وعندما انتهوا من تناول الطعام قال الخبثاء:

ــ لقد حزر نوايانا، فما الذي يمكننا فعله بعد ذلك؟.

هتف أحدهم قائلا:

ــ لم يبق لنا سوى الذهاب إلى البيت.

قاموا بوداع ليونجو وقالوا له:

ــ لا يمكن لأحد أن يمكر بك، فأنت تنجو دائما من المكائد يا ليونجو مثلك مثل الشيطان.

عادوا أدراجهم إلى المدينة وقالوا:

ـ لم ننجح فى قتله.

اجتمع الأهالى يتشاورون فيما بينهم، ويلتمسون النصح فيما يمكنهم فعله، ثم قرروا أن الوحيد الذى يمكنه قتل ليونجو هو ابن شقيقه. فقاموا باستدعاء ذلك الفتى وقالوا له:

ـ اذهب واعرف ما الذى يمكن أن يقتله. وعندما تعرف ذلك عُد إلينا وأخبرنا، وسوف نمنحك مملكة لو مات ليونجو.

وافق الفتى وذهب إلى ليونجو. وعندما وصل إليه سأله ليونجو:

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا؟.

عندما أخبره الفتى بأنه قد جاء لزيارته قال ليونجو:

ـ لا، فإنى أعلم أنك جئت لتقتلنى، لكن عليك إدراك أن أولئك الناس قد خدعوك.

سأل الفتى ليونجو:

ـ ما الذى يمكنه أن يقتلك؟.

رد ليونجو:

ـ سوف أموت لو أن أحدا نجح فى غرس إبرة من النحاس فى مؤخرتى.

عاد الفتى إلى المدينة، وأخبر الأهالى بما عرفه. عندئذ جلبوا إليه إبرة من النحاس، حملها معه وذهب إلى ليونجو.

كان ليونجو فى ذلك الوقت يشدو بأغنية:

إنى سيئ الطباع وأنت حسن الطباع،

رغم أنى لم أضرك بشىء،

إلا أنى سيئ الطباع وأنت حسن الطباع!

وعندما عاد الفتى إليه نادى ليونجو عليه، على الرغم من معرفته بأن الفتى قد جاء ليقتله.

مر يومان، وفى اليوم الثالث كان ليونجو نائما عندما غرس الفتى الإبرة فى مؤخرته. استيقظ ليونجو من الألم، وحمل قوسه وسهامه وهبط إلى البئر حتى ركبتيه. وهناك شد قوسه كما لو كان يصوب به، ومات على هذا الحال.

فى الصباح التالى جاء الناس لجلب المياه من البئر. وعندما شاهدوه ظنوا أنه ما زال حيا، فاعتراهم الخوف وفروا هاربين.

عندما وصلوا إلى المدينة صاحوا قائلين:

ـ لم نتمكن من الحصول على الماء اليوم.

وعبر ثلاثة أيام ظل الناس يذهبون إلى البئر للنظر إلى ليونجو. لكن أحدا منهم لم تواته الشجاعة للاقتراب منه على الرغم من عطشهم الشديد. عندئذ نادوا على أم ليونجو وقالوا لها:

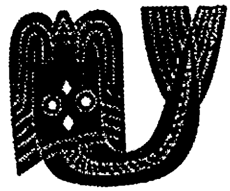
ـ اذهبى إليه أيتها الأم، واطلبى منه الخروج كى يمكننا الحصول على الماء، وإلا فسوف نقتلك!.

ذهبت الأم إلى ليونجو. وعندما وصلت إليه احتضنته بين ذراعيها. وبدأت فى الغناء كى تشد من أزره، حتى سقط من بين ذراعيها. وأدركت الأم أن ابنها قد

مات، فمضت فى البكاء والنحيب. وعادت إلى المدينة. وحكت للأهالى عـــن كــل شىء. فذهب أولئك الناس إلى البئر، وتأكدوا بأنفسهم أن ليونجو قد مات.

قام الأهالى بدفن ليونجو، ثم قتلوا الفتى الذى صرع ليونجو كى لا يمنحـــوه المملكة التى وعدوه بها.

٦. بونيـــــا[١]



١) كيف وُلد بونيا؟

كان ياما كان شقيقتان لم تنجبا أطفالا. فذهبتا إلى ســاحرة عجــوز تــدعى راتوبوكوكا. وعندما وصلا إليها سألتهما الساحرة:

ــ ما الذى أتى بكما إلىَّ؟.

ردت الشقيقتان:

ــ لقد جئنا إليكِ لأننا لا ننجب أطفالا.

قالت العجوز:

ــ حسنا، أولا عليكما البحث فى رأسى.

بدأت الشقيقة الكبرى فى البحث. وعثرت على عشبة فى شعر الساحرة.

---

(١) بونيا هو البطل المدهش: صاحب الميلاد العجيب – الذى جاء نتيجة الحمل من البوص– يقولون إنه يولد بنفسه من رحم الأم، حيث يقوم بشق بطنها بسكينه للخروج، ويتمتع بقوى خرافية وقدرات سحرية؛ فيمكنه شفاء جرح أمــه عندما يمسد بيده عليه، ويمكنه القفز فى قلب النار، ولديه جلد لامع براق ينير البيت من شدة لمعانه، كما يتمتــع البطل بمناعة لا تقهر فى ظل ظروف معينة.

ـ لم أجد شيئا أيتها الجدة سوى هذه العشبة.

ردت العجوز:

ـ أعطينى العشبة، نعم، نعم إنها هى المطلوبة.

وعندما أخذت الصغرى فى البحث عثرت على قطعة من البوص.

ـ أنا أيضا لم أعثر على شيء أيتها الجدة سوى هذه القطعة الصغيرة من البوص.

قالت راتوبوكوكا:

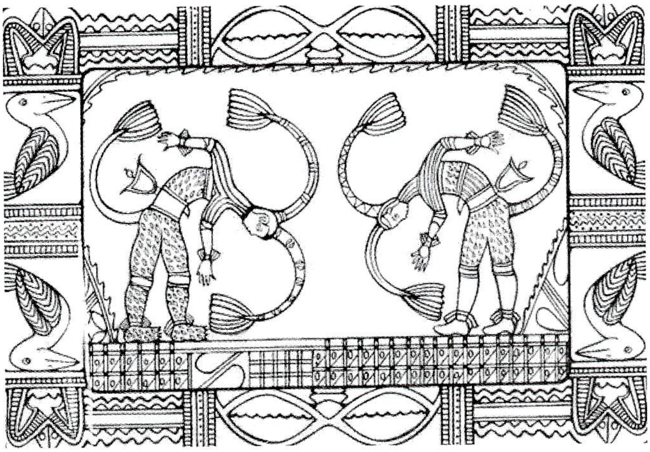
ـ أعطينى إياها، فهى المطلوبة تماما.

وبعد ذلك قالت للشقيقتين:

ـ والآن عليكما الذهاب إلى الغابة الواقعة هناك فى الشرق. وعندما تدخلانها سوف تقول لكم جميع الأشجار: "أنا هى البوصة التى تنجب الأطفال". وعليكما عدم الالتفات إلى كلماتها، والبحث عن الشجرة التى لا تنطق بشيء ولا تعد بشيء. وسوف تعثرن عليها فى أقصى طرف الغابة. وعندئذ خذن منها الجذر الذى ينمو نحو الشرق.

وصلت الشقيقتان إلى الغابة، وسمعتا صوت الأشجار يتردد فيها: "إنها أنا البوصة التى تنجب الأطفال". لكنهما سارتا دون أن تلتفتا إليها. وعندما شاهدتا الشجرة التى لم تنطق بشيء، أخذتا فى حفر الأرض حتى عثرتا على الجذر الذى ينمو نحو الشرق فقطعاه.

وعندما عادت الشقيقتان إلى البيت، قطعتا وعدا على نفسيهما: "لو رزقنا بطفلين أحدهما صبى والآخر فتاة فسوف نزوجهما لبعضهما بعضًا".



قامت الشقيقتان بسلق الجذر فى الإناء، وشربتا عصيره المغلـــى. فحملـــت الشقيقة الكبرى، وبعد مرور نصف عام حملت الصغرى هى الأخرى. وعندما حل موعد وضع الكبرى أنجبت فتاة. وأطلقوا عليها اسم إيمابيليا سومانانورا. وعنـــدما حل موعد الوضع للصغرى، خرجت إلى القسم الجنوبى من البيت كى تلد هنـــاك. لكن الطفل – كما يقولون – ظل يصرخ في بطنها قائلا:

– لست عبدا كى تحمليني إلى القسم الجنوبى.

وعندما ذهبت إلى القسم الشمالى صاح فى بطنها:

– لست سيدا كى تحمليني إلى القسم الشمالى.

فذهبت الأم إلى القسم الشرقى لكن الطفل صرخ مجددا:

– إنى لا أحب هذا الجو الخانق.

وبعد مرور فترة قصيرة تحدث الطفل ثانية:

– [illegible] وابتلعى سكينا، ثم [illegible]بى إلى القسم الغربى من البيت.

عندما وصلت الأم إلى هناك، شق الطفل بطنها بالسكين، وقفز إلى حلقة النار، ثم مسد بيده فوق جرح الأم الذى برأ فى الحال. واندفع الأهل لإنقاذ الطفل حتى لا يحترق. ومدوا أياديهم كى يخرجوه من قلب النار، لكنه دفعها وقال:

ــ هيا امنحونى اسما.

أطلق الأب عليه اسم "إيفوزانا توكوندريلياخى". ثم أردف قائلا:

ــ قد سمعت أنه كان رجلا شديد البأس.

لكن الصغير لم يعجبه الاسم، فاقترح الأب عليه اسما آخر: "ردافاتوفو ليوفواى". وقال له:

ــ ربما يعجبك هذا الاسم الذى اخترته، فقد سمعت أن هذا الرجل يتمتع هو الآخر بقوة هائلة.

غير أن الطفل لم يعجبه هذا الاسم أيضا.

وأخيرا قام بنفسه باختيار الاسم الذى يروق له:

ــ سوف أصبح إيبونياما سيبونيامانورو (١) محطم الأراضى ومدمر البلدان، قرونى لا تُقهر، وحوافرى تزلزل الأرض، وأسنانى لا تُقتلع. لو أردت أن أشق السماء لفعلتها، ولو أردت أن أدير الأرض لأدرتها، ولو نفخت أوداجى لغطيت السماء بأنفاسى، ولو فردت ذراعى لأصبحت أجنحة، ولو رغبت لامتدت قامتى إلى السحاب، ولو أردت لخطوت بقدمى أعبر بها القرى والجبال.

بعد ما قال قوله، وثب الطفل من قلب النار. وجلس فوق ركبتى أمه.

---

(١) ايبونياما سيبونيامانورو - هو بونيا المقدس الجبار المدمر.

٢) انتصاره فى المعارك التى يخوضها



كبر بونيا وأحضر كلبا يرافقه. وذات مرة عندما كان خارجا إلى الصيد، جاء إلى والديه إيفوزاناتوكو ندريلياخى وسألهما:

ـ أين بونيا؟.

رد الوالدان:

ـ لقد خرج إلى الصيد.

عندئذ قام إيفوزاناتوكو ندريلياخى بإخراج الكلب. ولم يستطع الوالدان فعل شىء.

وعندما عاد بونيا من صيده سأل قائلا:

ـ أين كلبى؟.

رد الوالدان بحزن:

ـ لقد أخذ إيفوزاناتوكو ندريلياخى كلبك.

ثار بونيا غضبًا قائلا:

ـ سوف أذهب لاسترجاعه.

أخذ الوالد يحاول تهدئته قائلا:

ـ لا داعى لذلك يا بنى، فإن إيفوزاناتوكو ندريلياخى يمكنه الإمساك بتمساح فى قلب الماء. فكيف يمكنك مواجهته؟ إنه سوف يهزمك بالتأكيد.

أدرك الوالد عدم قدرته على إقناع بونيا، فقرر اختبار قوته، وقال له:

ـ إنى لا أستطيع منعك من الذهاب إلى هناك، فلتحاول رفع هـذا الحجـر الذى أحتفظ به باعتباره سلاحا فى الأحوال الطارئة.

انحنى بونيا نحو الحجر الضخم، ورفعه بسهولة شديدة. حينئذ اقتنـع الوالـد بقوته، وقرر السماح له بالخروج.

انطلق بونيا إلى إيفوزاناتوكو نـدريلياخى. وعنـدما شـاهده إيفوزانـاتوكو ندريلياخى صرخ فى وجهه متوعدا:

ـ ما الذى تريده؟.

ـ أريد استعادة كلبى.

ضحك الآخر مقهقها:

ـ هل ترى نفسك شديد البأس لمواجهتى؟.

رد بونيا:

ـــ نعم أرى نفسى قويا بما يكفى.

ـــ حسنا، اقترب منى لنجرب قوتنا، لو أنك شجاع بهذا القدر الذى تتحدث عنه.

وما إن نطق بتلك الكلمات، حتى أمسك إيفوزاناتوكو ندريلياخى بالصبى بونيا، وقذف به عبر البيت. عندئذ أمسك بونيا هو الآخر بالقوى إيفوزاناتوكو ندريلياخى، وألقى به عبر البيت. وهكذا ظل كل منهما يلقى بالآخر عبر البيت لعشر مرات.

وأخيرا عرض إيفوزاناتوكو ندريلياخى قائلا:

ـــ كفى، هيا بنا نلقى بعضنا بعضًا فوق الأرض.

رفع إيفوزاناتوكو ندريلياخى بونيا، وقذف به فوق صخرة كبيرة. فاخترق بونيا الصخرة وفلقها. وبعد ذلك قذف بونيا بإيفوزاناتوكو ندريلياخى فوق صخرة اخترقها هو الآخر حتى ركبتيه. وهكذا ظل الاثنان يرميان بعضهما بعضًا فوق الصخور حتى اخترق إيفوزاناتوكو ندريلياخى صخرة انغرس بداخلها إلى رأسه. وهنا سد بونيا الحفرة فوق رأس إيفوزاناتوكو ندريلياخى حتى اختنق ومات بداخلها.

ذهب بونيا إلى زوجة إيفوزاناتوكو ندريلياخى، وسأل جميع قومه قائلا:

ـــ إلى أى جانب تقفون أيها الناس؟ إلى جانب الميت أم الحى؟.

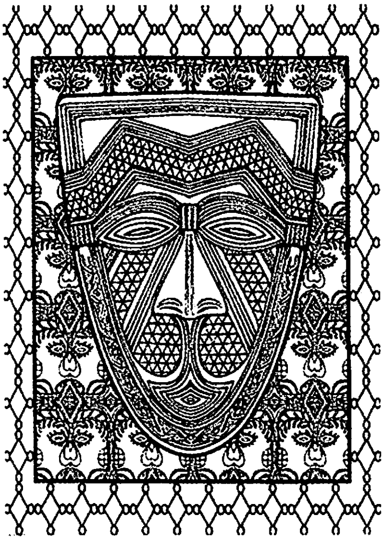
رد الجميع عليه:

ـــ نحن نقف إلى جانب الحى.

حينئذ اصطحب بونيا معه شعب إيفوزاناتوكو ندريلياخى.

وفى الطريق قابل بونيا بعض الناس الذين تمتع كل منهم بقـدرة خاصـة. فمنهم من يسبح جيدا، والآخر يمكنه رؤية أبعد الأشياء، والثالـث يـستطيع بعـث الموتى. وعقدوا جميعا الصداقة مع بونيا، الـذى مـنحهم شـعب إيفوزانـاتوكو ندريلياخى.

٣) العجوز صاحب النكات السيئة



عندما عاد بونيا إلى البيت لم يجد زوجته إيامبلياسو أمانانورو. فقد اختطفها الملك رافاتوفوليوفاى. وسأل بونيا والديه:

ــ أين زوجتى؟.

رد الوالدان عليه:

ــ لقد اختطفها الملك رافاتوفوليوفاى بالقوة.

هاج بونيا من شدة الغضب وصاح:

ــ اختطف زوجتى! سوف أذهب وأعيدها فورا.

عندما سمع الأب قول ابنه صار يهدئ من روعه قائلا:

ــ أرجوك ألا تذهب إليه يا ولدى، فإن الملك رافاتوفوليوفاى يتمتع بقوة هائلة.

لكن بونيا أصم أذنيه. وعندئذ رماه الأب بحربة ليجرب قوة الابن، غير أن الحربة انثنت عندما لامست جسمه دون أن تترك أى جرح به. فاطمأن الأب لدى رؤيته ذلك الأمر. وقام بونيا بغرس شجرة موز وقال لأبيه:

ــ لو أنها بدأت فى الذبول فذلك يعنى أنى مريض، ولو جفت تماما فمعنى ذلك أنى مت.

وذهب بونيا إلى العجوز حارس أشجار الموز فى حديقة رافاتوفوليوفاى، وسأله:

ــ ما الذى تحمله فى العادة إلى سيدك عندما تذهب إليه؟.

ــ الموز الناضج والأرز بالحليب.

قضى بونيا ليلته هناك. وفى الصباح سلخ جلد العجوز ووضعه فوق جسمه، ثم قام بقطف بعض ثمار الموز الناضج، وسلق الأرز فى الحليب، وحمل الطعام إلى رافاتوفوليوفاى.

وعندما ظهر فى القرية، هتف جميع الناس فى دهشة:

ــ أوه، لقد وصل العجوز!.

لم يتعرف أحد على بونيا. وقال بونيا:

ـ لقد جئت لزيارتكم.

ومد يديه بالموز والأرز المسلوق فى الحليب إلى الملك. لكن بونيا وضع الأرز فى طبق صغير، فاعترض الملك قائلا:

ـ أحضروا لى ورقة من أوراق شجر الموز لأضع الطعام عليها. ألا ترون أنى أعيش مع زوجتى فى بحبوحة وثراء؟ كيف تقدمون لى الطعام فى طبق صغير ردىء مثل هذا؟.

فى اليوم التالى سمع بونيا أن رافاتوفوليوفاى يقيم حلقة من الألعاب فى فوكوفوكو (صلبان خشبية يلعب بها الناس- المترجم). فذهب بونيا هو الآخر إلى ساحة اللعب. وعندما ألقى الملك بالفوكوفوكو لم يستطع أحد أن يمسك بها. عندئذ صاح بونيا:

ـ إذا أعطونى لاسو (من الكلمة الأسبانية **Lazo**، وهو حبل ينتهى بعقدة فى طرفه- المترجم)!.

أحضروا إليه لاسو، فاستطاع أن يلتقط بها الفوكوفوكو الذى رماه رافاتوفوليوفاى.

اعترت الدهشة الملك وقال:

ـ لا يمكن أن يكون هذا الرجل هو العجوز، بل إنه شخص آخر. أحضروا لى سلاحا كى أقتله.

رد بونيا قائلا:

ـ من الذى يمكنه أن أكونه يا بنى؟ لقد أردت فقط استعراض بعض قواى السابقة.

لم يجب الملك بشيء، واستمرت الألعاب. وعندما حل الدور على بونيا كي يرمي بالفوكوفوكو، لم يستطع أحد أن يلتقطها مهما حاولوا. فقد كانت الفوكوفوكو تطير بسرعة وقوة خارقة، ثم تهبط إلى الأرض بسرعة مذهلة، حتى أن البعض من الفوكوفوكو سقط فى النهر وجرح التماسيح العائمة به. وقد أثار ذلك الأمر المزيد من الشكوك فى قلب رافاتوفوليوفاى الذى صاح:

ـ ألم أقل لكم إن ذلك الرجل ليس هو العجوز، بل إنه شخص آخر؟.

وأراد قتله من جديد، لكن بونيا أقنعه ثانية بأنه يقول الحقيقة.

فى اليوم التالى قال الملك لشعبه:

ـ والآن سوف نطلق بعض الثيران الهائجة ونحاول الإمساك بها.

لكن أحدا لم يستطع الإمساك بها، ولا حتى أشد الرجال بأسا. وهنا وصل بونيا وقال:

ـ حسنا، سوف أمسك بها.

وألقى بحبله فوق أضخم الثيران فأمسك به دون مشقة. وانبهر الجميع من مهارته.

وعندما شاهد الملك ذلك الأمر جن جنونه وقال:

ـ إنى على يقين بأن هذا الرجل ليس هو العجوز الذى يدعيه.

سأل الناس:

ـ ومن يمكنه أن يكون إذا؟.

كرر بونيا ما قاله من قبل مرة أخرى، وبأنه أراد فقط أن يعرض عليهم قوته السابقة.

٤) الرجل الذى قتله المنافسون وبعثه الأصدقاء إلى الحياة



فى مساء اليوم التالى ذهب رافاتوفوليوفاى إلى إحدى زوجاته. وكان بونيا فى ذلك الوقت قد وصل إلى البيت الذى عاشت فيه إيامبلياسو أمانانورو، وقال:

ـ سوف أنام عند قدميكِ أيتها السيدة.

كانت المرأة فى حالة شديدة من الحزن فأجابت:

ـ إن ذلك العجوز لا يمكن احتماله. ما الذى يعنيه بقوله: "سوف أنام عند قدميكِ!"؟.

وعندما راح الجميع فى النوم، نزع بونيا جلد العجوز من فوق جسمه، فأشرق المنزل بالنور من فرط لمعان جلده. وهنا تعرفت الزوجة على بونيا وقالت:

ـ لقد نجحت فى الوصول إلى هنا رغم كل شىء!.

رد بونيا:

ـ نعم، لقد جئت من أجلك.

وطلب بونيا من الجميع مغادرة البيت، وأغلق الباب حتى الصباح. فاعترى الخوف إيامبلياسو أمانانورو وقالت:

ـ وكيف يمكننا الخروج من هنا؟.

قام بونيا بتهدئتها قائلا:

ـ لا تخشى شيئا، فسوف نخرج بسهولة. والشيء الوحيد الذى أرجوه منك ألا تتحدثى معى أو تنظرى نحوى، وإلا فسوف أموت فى الحال لو أنك فعلت هذا.

عندما حل الصباح استيقظ رافاتوفوليوفاى، وشاهد بيت إيامبلياسو أمانانورو مغلقا. فانتفض صارخا:

ـ ألم أقل لكم إن ذلك العجوز ينتحل شخصية أخرى؟.

ضرب رافاتوفوليوفاى باب البيت وهو فى ثورة من الغضب، لكن الباب تحول إلى صخرة، فلم يمكنه الدخول. عندئذ أشعل النار فى السقف، لكن السقف لم يحترق، بل على العكس انهمر الماء منه. وأخذ رافاتوفوليوفاى يحفر أسفل الحائط، لكن الحائط كان صلبا كالصخر. وهنا كان بونيا وزوجته يستعدان للخروج. وقام بونيا بنثر مادة مخدرة من حوله، فراح كل من كان بالخارج فى سبات عميق. وعندئذ قال لزوجته:

ـ فلنذهب من هنا، ولكن تذكرى ألا تتحدثى معى ولا تنظرى نحوى.

خرج الاثنان وسارا عبر النائمين. وعند البوابة أطلق بونيا إشارة معينة ينادى بها صبيا صغيرا، وطلب منه إيقاظ النائمين. استيقظ الناس، واستيقظ معهم رافاتوفوليوفاى الذى صرخ على الفور:

ـ هيا احملوا أسلحتكم على وجه السرعة ولنلحق بهم!.

انطلقوا فى أثر الهاربين يطلقون رصاصاتهم نحوهما. وعندما انقشع الغبار الذى أثاره المطاردون، لم يكن للهاربين أثر. وهكذا نجحا فى الوصول إلى شاطىء النهر.

فى تلك الأثناء توجهت الزوجة إلى بونيا وسألته:

ـ أين المخاضة؟.

وما إن نطقت بتلك الكلمات حتى أصابت إحدى الرصاصات بونيا، فسقط فى الماء صريعا.

أدرك رافاتوفوليوفاى إيامبلياسو أمانانورو، وسألها قائلا:

ـ إلى أى جانب تقفين؟ إلى جانب الميت أم الحى؟.

ارتعدت من الخوف، وقالت وهى ترجو المغفرة:

ـ إلى جانب الحى.

فى ذلك الوقت شاهد والدا بونيا أشجار الموز التى غرسها وقد أصابها الجفاف. فأدركا أن بونيا قد تعرض إلى محنة.

ولكن أصدقاء بونيا الذين منحهم العطايا بعد معركته مع إيفوزاناتوكوندريلياخى، لم ينسوا كرمه معهم. فقالوا للرجل الذى يرى بنظره أبعد المسافات:

ـ انظر إلى البعد، واعرف لنا ما جرى مع بونيا.

نظر الرجل بعينه إلى الآفاق البعيدة. وأخبرهم أن بونيا قد مات فى النهر، وأن تيار الماء يحمل عظامه ويسبح بها.

عندئذ قالوا لصديقهم السباح:

ــ اذهب واجمع لنا عظامه.

جمع السباح العظام، فقاموا بإعادة تجميعها، وأخذ صديقهم ذو القدرة على بعث الموتى فى بعثه، وهو يتمتم بالتعويذة المطلوبة، ثم أخذ يطعم بونيا القليل من الأرز، وسرعان ما بدأ بونيا يأكل الطعام.

وهكذا، عاد بونيا إلى الحياة بصورة نهائية. وقرر استعادة زوجته مرة أخرى من أيدى رافاتوفوليوفاى. وعندما وصل إلى القرية شاهد رافاتوفوليوفاى يلعب الفانورونا (لعبة تشبه لعبة السيجا- المترجم) عند مدخل القرية. وعندما شاهد بونيا سأله فى دهشة:

ــ كيف عدت إلى الحياة؟.

رد بونيا:

ــ ألم تر أنى أتمتع بجلدين؟ وقد أتيت لأستعيد زوجتى.

قال رافاتوفوليوفاى:

ــ لا تنطق بالهراء. من تظن نفسك كى تزعجنى وتقلق راحتى؟.

رد بونيا عليه بضربة هائلة من قبضته لطمه بها، فأسقطه صريعا على الفور.

أخذ بونيا زوجته ومعها جميع ممتلكات خصمه الصريع.

٧. الضرير والأحدب

كان ياما كان رجلان يجوبان بلاد الله خلق الله. كان أحدهما ضريرا والآخر أحدب. وكان الأحدب يقود الضرير في سيره.

وذات يوم تعثر الضرير في شيء ما على الطريق، فسأل صديقه الأحدب:

ــ ما الذي تعثرت به؟.

رد الأحدب:

ــ لقد تعثرت في خصلة شعر لأحد الحيوانات.

طلب الضرير منه:

ــ أعطني إياها.

رفع الأحدب الخصلة من فوق الأرض، وأعطاها للضرير الذي دسها في حقيبته، وواصل الاثنان سيرهما.

بعد مرور بعض الوقت تعثر الضرير ثانية في شيء ما، فسأل الأحدب:

ــ ما الذي تعثرت به في هذه المرة؟.

ــ إنها سلحفاة.

قال الضرير:

ـ أعطنى إياها.

حمل الأحدب السلحفاة من فوق الأرض، وأعطاها للضرير الذى دسها فـــى حقيبته، وواصل الاثنان السير.

وسرعان ما تعثر الضرير للمرة الثالثة فى شىء ما راقد علـــى الطريـــق. فسأل صديقه الأحدب:

ـ ما الذى تعثرت به يا صديقى؟.

أجاب الأحدب:

ـ لقد تعثرت فى سلاح.

طلب الضرير قائلا:

ـ أعطنى إياه.

حمل الأحدب السلاح من فوق الأرض، وأعطاه للضرير الـــذى دســـه فـــى حقيبته، وواصل الاثنان السير.

وقبل حلول الليل وصل الضرير والأحدب إلى إحدى القرى، حيث صـــادفا عجوزا. فسأل الضرير والأحدب العجوز:

ـ أتسمحين لنا بقضاء الليل لديكِ؟.

قالت العجوز:

ـ إننا ثلاث نقيم هنا. يوجد امرأتان شابتان عداى. ويمكنكما الاطمئنان لنـــا وعدم الخوف منا. لكن قريتنا هذه يملكها الأسد، الذى يأتى كـــل مـــساء ليلتهم جميع الوافدين الجدد.

قال الضرير والأحدب:

ـــ إننا نشعر بالتعب الشديد، ونريد كوخا نبيت به ليلة واحدة.

ردت العجوز:

ـــ إن الأمر يعود إليكم، فقد حذرتكم، وقد أعذر من أنذر.

وأرشدتهم العجوز إلى الكوخ. فدخلوا إليه وأغلقوا بابه.



وعندما هبط الظلام، عاد الأسد واشتم رائحة الغرباء، فقال للعجوز:

ـــ إنى أشتم رائحة بشر غرباء. فمن الذى فى الكوخ؟.

أجابت العجوز:

ـــ اثنان من الغرباء.

رد الأسد:

ـــ يا له من أمر جيد، وعشاء طيب لى.

ذهب الأسد خلف رائحة الغرباء إلى الكوخ، حيث ينام الضرير والأحدب.

وكان هناك ثقب فى أحد جوانب الكوخ. فتلصص الأسد بنظره إلى الكوخ عبر ذلك الثقب، لكنه لم يستطع رؤية شيء بسبب الظلام السائد. فاقترب بفمه وسأل:

ــ من هنا فى الكوخ؟.

رد كل من الضرير والأحدب فى صوت واحد:

ــ إننا نحن هنا فى الكوخ!.

سأل الأسد:

ــ ومن أنتم؟ هل أنتم بشر حقيقيون؟.

رد الأحدب والضرير:

ــ نعم، إننا بشر حقيقيون.

قال الأسد:

ــ أرونى شعركم كى أتأكد أنكم من البشر.

أخرج الضرير من حقيبته خصلة الحيوان ورفعها نحو الأسد، ثم قال للأسد:

ــ والآن عليك بدورك أن ترينا شعرك كى نتأكد أنك أسد حقيقى.

انتزع الأسد خصلة من شعره ورفعها نحو الثقب قائلا:

ــ والآن دعونى أرى قطعة من جلدكم كى أتأكد أنكم من البشر.

أخرج الشرير السلحفاة من حقيبته ورفعها نحو الأسد.

وبعد ذلك قال الضرير والأحدب للأسد:

ـ والآن عليك ان تزأر كى نسمع صوتك.

اعترض الأسد قائلا:

ـ لا، عليكم أن تزأروا قبلى.

وافق الضرير قائلا:

ـ حسنا سوف نزأر أولا، فهيا ضع أذنك بالقرب من الثقب حتى تسمع زئيرنا.

ألصق الأسد أذنه بالثقب، فأخذ الضرير السلاح، وصوبه الأحدب نحو الثقب، وأطلق الضرير منه النار. فسقط الأسد على الأرض، وهتف الضرير والأحدب:

ـ والآن حل الدور عليك كى تزأر كما يحلو لك!.

لكن الأسد لم يجب بشىء.

فى الصباح خرج الضرير والأحدب من الكوخ. وقال الأحدب للضرير:

ـ لقد مات الأسد.

صاح الضرير مقترحا:

ـ إذا، فلنتزوج من نساء الأسد.

وافق الأحدب قائلا:

ـ حسنا، فلنأخذهن زوجات لنا. فخذ لنفسك العجوز، حيث إنك لا ترى فى جميع الأحوال. وسوف آخذ الفتاتين لنفسى.

اعترض الأعمى وهتف:

ـ أنا الذى عثرت على جميع الأشياء التى أنقذتنا، وأنا الذى قتلت الأسد، وينبغى أن تصبح الزوجات الشابات ملكا لى.

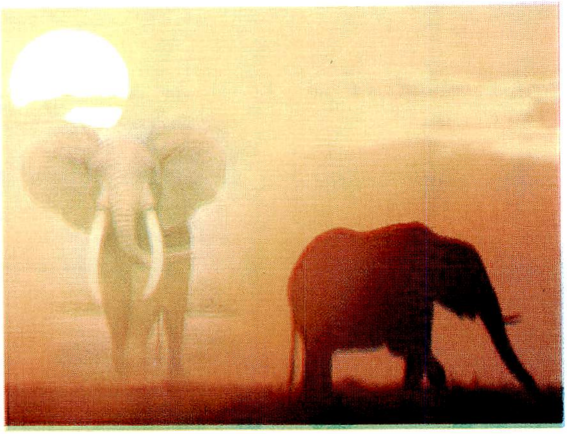
تشاجر الأعمى والأحدب. وثار الأحدب فضرب الضرير فى وجهه. وعندما تلقى الضرير الضربة أبصرت عيناه وعادت إليه الرؤية. وعندما شاهد أن رفيقه أحدب ضربه بقبضته فى حدبته. فانتصب ظهر الأحدب واختفت الحدبة.

وهكذا أصبح الضرير والأحدب سليمين. واتخذ كل منهما زوجة له من الزوجتين الشابتين، وتركا العجوز معهما لتصبح أما لهما.

٨. كخامبا

كان ياما كان رجل يدعى كخامبا، يعيش ويطوف فى بــلاد الله خلـــق الله. وأثناء سيره صادف رجلا يسير مع زوجته. وبعد ذلك شاهدا فيلا أعجبته الزوجة، فقال الفيل لزوجها:

ـ إن زوجتك تروق لى، وأريد أن آخذها معى.



تملك الرعب من الرجل، حتى ألجم الخوف لسانه. واقترب كخامبا من الفيل وقال له:

ـ عار عليك، إنك لا تملك الحق فى أخذ زوجات الآخرين!.

غضب الفيل وصرخ:

ـ لماذا تتدخل فيما لا يعنيك؟ أم أنك تريد الشجار معى؟.

أمسك كخامبا بالفيل ورفعه فى الهواء وأخذ يديره، ثم قذف به عاليـــا حتـــى اختفى عن الأنظار.

مضى كخامبا مواصلا طريقه. وفى اليوم التالى صادف رجلا ينظـــر إلـــى الأفق حاملا فى يده قوس بلا سهام. فسأله كخامبا:

ــ إلى أين تنظر أيها الرجل؟.

ــ لقد أطلقت سهمى بعد أن أمرته بقطع قطعة جيـــدة مـــن لحـــم الفريـــسة وإحضارها إلى هنا. لكن الفريسة على ما يبدو قـــد فـــرت أبعـــد ممـــا تصورت، وما زال سهمى طائرا خلفها.

جلس كخامبا ينتظر جنبا إلى جنب الرجل. وبعد مرور بعض الوقـــت عـــاد السهم حاملا قطعة من اللحم الجيد.

قال كخامبا للرامى:

ــ إن الرجل صاحب مثل تلك المهارة الفائقة لا يمكنه أن يخشى أحدا.

أجاب الآخر:

ــ على الرغم من ذلك، إلا أنى أخشى رجلا واحدا يدعى كخامبا. فقد رمى بالأمس فيلا فى الهواء عاليا، حتى أن الفيل لم يعد إلـــى الأرض حتـــى وقتنا هذا.

قال كخامبا:

ــ أنا هو كخامبا بعينه.

قال الرامى راجيا:

ــ إذا، فلتسمح لى بالسير معك.

ـ حسنا، وأنا لا أمانع.

وافق كخامبا، وسار مع الرامى فى طريقه.

فى اليوم التالى صادف كخامبا والرامى رجلا يرفع كوخا من فوق الأرض، ويميل به نحو النهر ويملأه بالماء، ثم يحمل الكوخ المملوء بالماء فوق رأسه، ويسير به عبر الجبل إلى قرية الزعيم.

ظل كخامبا يراقب الرجل الخارق لبعض الوقت، ثم قال له:

ـ إن الرجل الذى يتمتع بتلك القوى الخارقة لا يمكنه أن يخشى أحدا.

اعترض الرجل القوى قائلا:

ـ إنى أخشى واحدا فقط يدعى كخامبا. فمنذ يومين رمى فيلا فى الهواء عاليا، حتى أنه لم يعد إلى الأرض حتى وقتنا هذا.

قال كخامبا:

ـ إن هذا الرجل هو أنا.

قال حامل الماء راجيا:

ـ إذا، اسمح لى بمرافقتك.

ـ حسنا، فلتذهب معنا.

سار الجميع فى طريقهم: كخامبا، والرامى، وحامل الماء.

وفى يوم آخر شاهد كخامبا والرامى وحامل الماء رجلا يقف فى مواجهة ثمانية عشر أسدا. كانت الأسود تستمع لأوامره، وتقوم باقتلاع الأشجار وحملها إلى خلف كوخه. أخذ كخامبا يراقب الرجل لبعض الوقت ويشاهد ما تقوم به الأسود، ثم هتف قائلا:

ـ إن من يقوم بمثل هذا العمل من ترويض الأسود لا يخشى أحدا أبدا.

رد الرجل معترضا:

ـ إنى أخشى رجلا واحدا يدعى كخامبا. فمنذ ثلاثة أيام رمـــى فـــيلا فـــى الهواء عاليا، حتى أنه لم يعد إلى الأرض حتى وقتنا هذا.

قال كخامبا:

ـ إنه أنا.

ـ اسمح لى إذا بالسير معك.

ـ حسنا.

وسار مدرب الأسود مع الرامى وحامل الماء وكخامبا يواصلون طريقهم.

فى اليوم التالى أراد الرفاق إعداد بعض الطعام ليأكلوا. ولكن لم يكن لـــديهم نار، ولم تكن هناك قرية قريبة منهم. فأرسل كخامبا الرامى ليحصل علـــى النـــار. ومضى الرامى يسير حتى وصل إلى كوخ تجلس أمامه عجوز. فسألها الرامى:

ـ ألا تعطيننى نارا؟.

ردت العجوز:

ـ ادخل الكوخ وخذ منه جمرة من النار.

استدار الرامى، وعندما همَ بالدخول إلى البيت هجمت العجوز عليه، وقيدت يديه وربطت أقدامه ووضعته فى الكوخ.

فى ذلك الوقت كان كل من كخامبا وحامل الماء ومدرب الأسود ينتظـــرون عودة الرامى. وعندما مر بعض الوقت بعث كخامبا بحامل الماء للبحث عن النار.

فمضى حامل الماء فى طريقه، حتى وصل إلى الكوخ الذى تجلس أمامه العجــوز. وسألها حامل الماء:

ــ ألا يوجد لديكِ بعض النار؟.

ردت العجوز:

ــ ادخل الكوخ وخذ منه جمرة من النار.

استدار حامل الماء وهم بالدخول إلى البيت. وهنا هجمــت العجــوز عليــه وقيدت يديه وربطت أقدامه ووضعته فى الكوخ.

ظل كخامبا ومدرب الأسود ينتظران عــودة الرامــى وحامــل المــاء دون جدوى. عندئذ أرسل كخامبا مدرب الأسود كى يحصل على النار. ســار الأخيــر حتى وصل إلى الكوخ الذى تجلس عند عتبته العجوز. فسألها مدرب الأسود:

ــ ألا تعطيننى نارا؟

ردت العجوز:

ــ ادخل إلى الكوخ وخذ منه جمرة من النار.

استدار مدرب الأسود وهمَ بالدخول إلى البيت، فهجمت العجوز عليه وقيدت يديه وربطت قدميه وألقت به فى الكوخ.

ظل كخامبا ينتظر عودة رفاقه وينتظر حتى طال انتظــاره. وأخيــرا قــرر الذهاب بنفسه للبحث عن النار. وعندما وصل إلى الكوخ الذى تجلس أمامه العجوز سألها كخامبا:

ــ هل يمكننى الحصول على النار من بيتك؟.

ردت العجوز:

ـ ادخل الكوخ وخذ لك جمرة من النار.

استدار كخامبا وهمَ بالدخول إلى الكوخ، فقامت العجوز على الفــور لــتهجم على كخامبا. وفى تلك اللحظة سقط الفيل الذى ألقى به كخامبا منذ ثلاثة أيام، فوق رأس العجوز تماما وهى تستعد للهجوم على كخامبا، فهشم رأسها وقتلهــا. دخــل كخامبا إلى الكوخ وحل قيود الرامى وحامل الماء ومدرب الأسود وحررهم. وقــام الجميع بإعداد الطعام، ثم واصلوا السير فى الطريق.

٩. صداقة المسافرين [١]

فى يوم من الأيام تزوج أحد الرجال من إحدى النساء. وحملت المرأة منه. وفى يوم الولادة وضعت طفلا خرج إلى النور من ركبتها. كان الطفل صبيا أطلقوا عليه اسم ماكوما. وعندما وُلد الطفل تحدث إلى والده قائلا:

ـ اصنع لى عكازا.

صنع الوالد لابنه عكازا. فنظر ماكوما إلى العكاز وصاح:

ـ إن هذا العكاز صغير للغاية بالنسبة لى.

وخرج إلى الغابة، وقطع لنفسه شجرة بدلا من العكاز، ثم عاد ماكوما إلى والده وقال له:

ـ إن من يتحدث مثلى ويسير يوم ولادته لا عمل له فى القرية.

وخرج ثانية إلى الغابة حيث صادف حمارا وحشيا، فقتله بعكازه وحمله فوق كتفيه. وفى مساء نفس اليوم الذى خرج فيه إلى النور من ركبة أمه، عاد ماكوما إلى قريته. وذهب إلى بيت والده حاملا الفريسة التى قتلها، ثم ألقى بالحمار الوحشى أمام أمه وقال:

---

(١) حكاية تدور حول البطل المدهش المولود من الركبة، وصاحب الطول الخارق، الذى يتحدث ويخرج لصيد الطرائد فى يوم ولادته، والذى يتمتع بقوى سحرية تتجسد فى عكازه ذى القدرات الخارقة، والذى بضربة واحدة منه يصعق الناس.

ـــ خذى هذا اللحم يا أمى وأعدى لى الطعام منه، فسوف أرحل فى صـــباح الغد.

أعدت الأم الطعام. وفى الصباح التالى غادر ماكوما قرية والده. وبعد مرور بعض الوقت شاهد ماكوما رجلا جالسا على الطريق. فسأله ماكوما:

ـــ ما اسمك؟.

رد الرجل:

ـــ اسمى تسيدياموتى، أى آكل الأشجار.

قال ماكوما:

ـــ أرنى إذا أنك جدير بهذا الاسم.

اقتلع آكل الأشجار شجرة من جذورها وابتلعها على الفور. فقال له ماكوما:

ـــ إنى أحتاجك، فلتذهب معى.

أجاب آكل الأشجار:

ـــ إنى لا أريد الذهاب معك.

رفع ماكوما عكازه وضربه به. وفى الحال أصبح حجـــم الرجـــل صـــغيرا للغاية.

وضعه ماكوما فى حقيبته ومضى مواصلا طريقه.

وبعد مرور بعض الوقت شاهد ماكوما رجلا جالسا على الطريـــق. فـــسأله ماكوما:

ـــ ما اسمك؟.

رد الرجل:

ــ اسمى تسيديا أوزفا، أى آكل العشب.

صاح ماكوما:

ــ أرنى إذا أنك جدير باسمك هذا.

قام آكل العشب باقتلاع جميع العشب النامى بين الأحراش والجبل، والتهمه دفعة واحدة.

عندئذ قال له ماكوما:

ــ إنى أحتاجك، فلتذهب معى.

رد آكل العشب:

ــ لكنى لا أريد الذهاب معك.

حمل ماكوما عكازه وضربه به. وفى الحال أصبح حجم الرجل صغيرا للغاية. فحمله ماكوما ووضعه فى حقيبته، ومضى مواصلا طريقه.

وسرعان ما صادف ماكوما رجلا آخر يجلس عند طرف البحيرة. فسأله ماكوما:

ــ ما اسمك؟.

قال الرجل:

ــ اسمى تسينجفامفورا، شارب الماء.

صاح ماكوما:

ــ إذا، أرنى أنك جدير باسمك هذا.

انحنى شارب الماء برأسه فوق البحيرة، وشرب كل مائها دفعة واحدة.

حينئذ قال ماكوما:

ــ إنى أحتاج إليك، فلتذهب معى.

رد شارب الماء:

ــ لكنى لا أريد الذهاب معك.

حمل ماكوما عكازه وضربه به. وفى الحال أصبح حجم الرجل صغيرا للغاية. فحمله ماكوما ووضعه فى حقيبته.

وعندما حل المساء أخرج ماكوما من حقيبته آكل الأشجار وآكل العشب وشارب الماء. ووضع لهم الطعام وقال لهم:

ــ سوف نذهب فى الغد إلى البلد الذى يعيش فيه نيانديبفو[١]. وسوف أصارعه. وعليكم مساعدتى فى صراعى معه.

قال كل من آكل الأشجار وآكل العشب وشارب الماء:

ــ سوف نساعدك فى ذلك بكل سرور.

فى اليوم التالى انطلق ماكوما مع رفاقه الثلاثة يواصلون طريقهم، حتى وصلوا إلى غابة أحراشها كثيفة لدرجة أن أحدا لا يمكنه المرور عبرها. فقال ماكوما لآكل الأشجار:

ــ هيا قم بعملك الآن.

---

(١) نيانديبفو – هو صاحب الذقن كثيفة الشعر مثل ذيل الفيل.

أخذ آكل الأشجار على الفور فى التهام الأشجار. وأكل منها الكثير والكثير، حتى صنع ممرا واسعا يخترق الغابة. فسار ماكوما ورفاقه عبر الممر، حتى خرجوا من الغابة إلى سهل عريض تكسوه الأعشاب العالية مثل الأشجار فى طولها، والكثيفة مثل الشعر فوق الجلد. ولم يستطع أحد السير بين تلك الأعشاب.



هتف ماكوما بآكل العشب:

ـ والآن عليك القيام بعملك!.

انطلق آكل العشب يأكل الأعشاب الطويلة ويلتهمها بشراهة. ولم يتوقف حتى ظهر أمامهم ممر يخترق السهل. فساروا به عبر السهل العشبى حتى وصلوا إلى بحيرة هائلة الحجم. وعندما شاهدها ماكوما صاح قائلا:

ـ فى هذه البحيرة يعيش نيانديفو. وأنا أريد العيش بها. إن نيانديفو هو ملك المطر، وأريد نزع سلطانه. فهيا نذهب لنبنى بيتا.

قام ماكوما ورفاقه ببناء البيت على شاطىء البحيرة. وخرج ماكوما للصيد وأحضر الكثير من اللحم.

وفى اليوم التالى عندما خرج ماكوما للصيد مرة أخرى، خرج نيانديبفو من البحيرة وذهب إلى بيت ماكوما. والتهم كل اللحم الموجود هناك، ثم عاد أدراجه إلى البحيرة. وعندما رجع ماكوما إلى البيت فى المساء حاملا معه العديد من الطرائد، أخبره الرفاق:

ـ لقد جاء نيانديبفو والتهم اللحم كله.

فى صباح اليوم التالى خرج ماكوما للصيد ثانية.

وعبر ثلاثة أيام ظل نيانديبفو يأتى إلى بيت ماكوما ويأكل اللحم منه. وفى مساء اليوم الثالث قال ماكوما لرفاقه:

ـ لقد حل الوقت، وغدا سوف أصارع نيانديبفو.

فى الصباح التالى طلب ماكوما من شارب الماء:

ـ فلتقم بعملك الآن.

وقف شارب الماء عند طرف البحيرة، ثم مط شفتيه نحو حافتها وشرب مياهها حتى جفت تماما. وعندما خلت البحيرة من الماء، خرج نيانديبفو إلى بيت ماكوما. وظهر ماكوما لمواجهته. فقال له نيانديبفو:

ـ لقد أخذت كل الماء من بحيرتى.

رد ماكوما عليه:

ـ وأنت سرقت كل اللحم لدى.

أمسك كل من ماكوما ونياندييفو بعضهما بعضًا، وأخذا يتصارعان. وضرب ماكوما خصمه بعكازه، فارتطم العكاز به وطار في الهواء، ثم طعنه بسكينه فانكسر السكين. وبعد ذلك حاول نياندييفو تقييد ماكوما بالحبال، لكن الحبال تمزقت. وظل الاثنان في صراعهما المحتدم حتى وصلا إلى قاع البحيرة. لكن ماكوما لم ينجح في هزيمة سلطان المطر.

١٠. قاهر الأفاعى(١) 

كان ياما كان شقيقان يعيشان معا. وكان الاثنان متماثلان ومتشابهان إلى درجة أن أحدا لم يستطع التمييز بينهما. كان الشقيق الأكبر يدعى شواو. وعندما وُلد خرج معه إلى النور كلب وقوس. أما الشقيق الأصغر فأطلقوا عليه اسم ديجى. وعندما وُلد خرج معه إلى النور قوس وكلب. وأصبح كل من الشقيقين صيادا.

ذات يوم قال شواو لشقيقه ديجى:

ـ سوف أرحل من هنا. وسوف أغرس بعض النباتات قبل رحيلى. وطالما ترى تلك النباتات خضراء ويانعة، فذلك يعنى أنى بخير وفى حالة طيبة. ولكن عندما تبدأ الشجيرات فى الذبول فذلك يعنى أنى مت. وحينئذ عليك المجىء إلىَّ وإيقاظى.

ونادى شواو على كلبه وغادر البيت.

وبعد ترحال طويل وصل إلى البحيرة. وشاهد كوخا قائما عند شاطئها. فدخل شواو إلى الكوخ، وألقى التحية على الفتاة التى بداخله. فردت الفتاة:

ـ أتوسل إليك أن ترحل من هنا على وجه السرعة. فسوف يحضر الثعبان كى يلتهمنى. فاذهب قبل أن يلتهمك أنت الآخر.

---

(١) تدور الحكاية على أساس موضوع قاهر التنين. ويولد البطلان التوأمان ولادة خارقة مع القوس والكلب.

رد شواو:

ــ لا، سوف أظل معك. فأنتِ لم تُخلقى كى تصبحى طعاما للثعبان. وأنا أريد الزواج منكِ.

ــ أرجوك أن ترحل من هنا؛ لأن ذلك الثعبان يمتلك أربعة رءوس.

بعث شواو بكلبه إلى البيت كى يأخذ من أخيه الأصغر سكينا طويلا. وأحضر الكلب إليه ذلك السكين.

وسرعان ما تردد صوت هائل مخيف مثل الرعد صادر من قلب البحيرة. فانتفضت الفتاة مذعورة وهتفت:

ــ أتوسل إليك أن تهرب من هنا. فسوف يظهر الثعبان عبر تلك الحفرة المنحوتة فى الصخر.

لكن شواو رد قائلا:

ــ سوف أظل معكِ هنا.

كانت هناك حفرة ضخمة تتوسط الكوخ. وكانت تلك الحفرة تُفضى إلى البحيرة مباشرة. أخرج الثعبان إحدى رءوسه عبر تلك الحفرة. فرفع شواو سكينه الطويل، وضرب بها الرأس فقطعها. واختبأ الثعبان فى البحيرة وصرخ صرخة هائلة:

ــ من الذى قطع رأسى؟.

رد شواو:

ــ إنه أنا، شواو.

صرخ الثعبان متوعدا:

ــ وما الذى تريده منى؟ سوف أعود إليك فى التو!.



ظهر الثعبان مرة أخرى، والتف حول شواو وحمله معه إلى قلب الماء.

قفز الكلب خلف صاحبه وأخرجه من الماء. بحث الثعبان عن شواو في البحيرة، ولم يستطع العثور عليه. فقام بإخراج رأسه الثانية عبر الحفرة في الكوخ. واستل شواو سكينه الطويل وقطع به رأسه الثانية. وعندما أخرج الثعبان رأسه الثالثة قطعها هي الأخرى. حينئذ أخرج الثعبان رأسه الرابعة واستطاع القبض على شواو، وألقى به في الماء. لكن الكلب قفز خلف شواو وأخرجه من الماء. وبحث الثعبان مرة أخرى عن شواو في البحيرة، لكنه لم يجد له أثرا. فقام بإخراج رأسه من الحفرة، وقطع شواو رأسه الأخيرة؛ فسقط الثعبان جثة هامدة بلا حراك. عندئذ وضع شواو الرءوس الأربعة في حقيبة ربطها حول خصره.

أثناء صراع الثعبان مع شواو تردد صوت فرقعة هائلة مثل الرعد. وارتجت الأرض وكأن هناك زلزالا ضربها. ووصل ذلك الصوت المخيف إلى أسماع ملك تلك البلاد وجميع سكانها. فنادى الملك على اثنين من أصهاره وقال لهم:

ـ اذهبا لتعرفا مصدر ذلك الرعد.

ذهب الصبهران، وشاهدا الثعبان الميت مكوما بالقرب من ابنة الملك. كان شواو فى ذلك الوقت يغتسل عند الشاطئ الآخر من البحيرة. واصطحب الصبهران الفتاة وعادا بها إلى الملك، وقالا له:

ـ لقد قتلنا الثعبان وأنقذنا ابنتك. وعليك أن تكافئنا.

رد الملك:

ـ انتظرا لبعض الوقت.

وعندما انفرد الملك بابنته قالت له:

ـ إنهما يكذبان. إن الثعبان قد مات حقا، لكن الذى قتله هو أحد الغرباء، ويدعى الصياد شواو.

طلب الملك من ابنته قائلا:

ـ لا تخبرى أحدا بهذا الأمر. فسوف يتضح كل شيء بصورة تلقائية.

فى ذلك الوقت عاد شواو إلى الكوخ، ولم يجد للفتاة أثرا هناك. فأرسل كلبه للبحث عنها حتى وصل الكلب إلى الملك، فقالت ابنة الملك لوالدها:

ـ هل يمكننى إطعام ذلك الكلب؟ إنه كلب شواو.

سمح الملك لها بإطعامه.

سرعان ما وصل شواو فى أعقاب كلبه. فقام بتحية الملك وقال:

ـ اسمى شواو. وأنا الذى قتلت الثعبان. وأريدك أن تمنحنى ابنتك زوجة لى.

هتف الصهران يعترضان:

ـ إن شواو كاذب! ونحن اللذان قتلا الثعبان!

قال شواو:

ـ إن الثعبان عند البحيرة. وقد قطعت رءوسه الأربعة. فهل بوسعكما أن تحضرا لنا تلك الرءوس لو أنها لديكما حقا؟.

رد الصهران:

ـ لا، إن الرءوس ليست لدينا.

عندئذ أخرج شواو الرءوس الأربعة من حقيبته، وألقى بها فوق الأرض قائلا:

ـ ها هى رءوس الثعبان.

لم يستطع الصهران النطق بشيء. ومنح الملك ابنته إلى شواو لتصبح زوجة له.

شيد الملك بيتا جديدا ليقيم به شواو. وتزوج شواو من ابنة الملك، وظل يقيم فى بيته لبعض الوقت. وذات مرة قال لزوجته:

ـ سوف أخرج إلى الصيد. أعدى لى طعاما كى آخذه معى، فسوف أذهب بعيدا.

أعدت الزوجة الطعام له. وانطلق شواو مع كلبه فى طريقهما.

وفى هذه المرة قابل شواو ثعبانا ذا رأسين. وعرض الثعبان عليه أن يتصارعا. وافق شواو وألقى الثعبان به على الأرض وعضه. ومات شواو. لكن كلب شواو ذهب إليه وأيقظه.

حينئذ عرض الثعبان على شواو قائلا:

ـ فلنتصارع مرة أخرى. ولكن قبل ذلك عليك أن تربط كلبك، حيث إنى بمفردى وأنتم اثنان.

وافق شواو، وربط كلبه، وانطلق يصارع الثعبان. طرحه الثعبان أرضا، وقام بعضه عضة مميتة، ومات شواو. عندئذ ذهب الثعبان إلى الكلب المربوط، وعضه هو الآخر حتى مات الكلب.

كان شقيق شواو الأصغر يتفقد فى كل يوم الشجيرات التى زرعها شقيقه الأكبر. وذات يوم شاهد ديجى الشجيرات وهى آخذة فى الذبول والجفاف. فأدرك أن شقيقه قد مات.

نادى ديجى على كلبه، وخرج يبحث عن شقيقه. وأرشده الكلب إلى الطريق الذى ينبغى عليه السير به. ووصل ديجى إلى بيت شقيقه. وشاهدت زوجة شواو ديجى، فقالت له:

ـ لماذا تأخرت فى المجىء؟.

رد ديجى:

ـ لقد كان الطريق طويلا.

دخل ديجى مع الزوجة الشابة إلى البيت. وذهب ديجى للنوم فى النصف الآخر من البيت. فسألته الزوجة:

ـ لماذا تنام فى النصف الآخر من البيت ولا تنام معى؟.

أجاب ديجى:

ـ إنى منهك اليوم للغاية.

فى الصباح التالى قال ديجى لزوجة شقيقه:

ــ أريد الخروج إلى الصيد.

وخرج ديجى مع كلبه إلى الطريق. وأشار الكلب إلى مكان شقيقه. فعثر ديجى على جثة شقيقه وجثة كلبه فوق الرمال. واستخدم عقاقيره لبعث شقيقه وكلبه إلى الحياة. وانطلق ديجى مع شواو وكلبيهما فى طريق العودة. واقتربوا من بيت شواو. وعندما رأت الزوجة الشقيقين صرخت قائلة فى دهشة:

ــ ما الذى جرى لك يا زوجى؟ وكيف أصبحت اثنين متماثلين؟.

سألها شواو:

ــ هل يعقل ألا تتعرفين على زوجك؟.

ردت الزوجة:

ــ لا، لكنى لا أرى أى فرق بينكما.

قال ديجى:

ــ ها هو زوجك شواو، أما أنا فشقيقه الأصغر ديجى. أتتذكرين ما حدث بالأمس عندما رفضت النوم بجانبك؟ لقد فعلت ذلك لأننى لست زوجك بل شقيقه.

أجابت الزوجة:

ــ نعم، لقد أدركت كل شىء الآن.

نادى ديجى على كلبه ومضى عائدا إلى بيته.

١١. حكاية الفتاة وشقيقها المشاكس [١]

كان ياما كان فتاة تعيش مع شقيقها. وعندما شعر والدهما أن الموت أصبح قريبا منه، نادى على ابنته وقال لها:

ــ ينبغى عليكِ تلبية كل ما يطلبه شقيقك.

مات الأب بعد ذلك.

وعندما أشرفت الأم على الموت قالت لابنتها:

ــ ينبغى عليكِ أن تمنحى شقيقك كل ما يطلبه.

ردت الفتاة:

ــ حسنا يا أمى.

ماتت الأم.

وسرعان ما أخذ شقيق الفتاة فى البكاء. فسألته أخته:

ــ ما الذى يبكيك؟.

قال لها:

---

(١) الحكاية مشتقة من خليط لموضوعات حول الصبى المشاكس وقاهر التنين.

ـ أريد تحرير جميع العبيد لدينا، حتى يمكنهم الخروج أحرارا إلــى حيــث تقودهم أقدامهم.

قالت الفتاة لأخيها:

ـ لا تقم بهذا الأمر. فلو أننا حررنا العبيد سوف نصبح فقراء معدمين.

لكنه قال لها:

ـ ما الذى أوصاكِ به والدانا قبل موتهما؟.

ردت الفتاة:

اذهب وافعل ما يحلو لك.

ذهب الشقيق إلى العبيد وقال لهم:

ـ لقد منحتكم الحرية، فاذهبوا إلى حيث تشاءون.

وسرعان ما بدأ شقيقها فى البكاء مرة أخرى. فسألته الأخت:

ـ ما الذى جرى لك؟ ولماذا تبكى؟.

قال لها:

ـ أريد إحراق حظائرنا وجميع الأبقار لدينا.

قالت الفتاة:

ـ لا تفعل هذا الأمر.

لكنه اعترض قائلا:

ـ ما الذى أوصاك به والدانا قبل موتهما؟.

ردت الفتاة:

اذهب وافعل ما يحلو لك.

خرج الشقيق وأشعل النار فى الحظائر والأبقار حتى احترقت جميعها.

وسرعان ما عاد للبكاء مرة أخرى. فسألته الشقيقة:

ــ ما الذى تريده الآن؟.

رد عليها:

ــ أريد إحراق محصولنا من الحبوب.

قالت له:

لو أنك أحرقت محصولنا فما الذى سوف نأكله؟.

رد عليها:

ــ ما الذى أوصاك به والدانا قبل موتهما؟.

ردت الفتاة:

ــ اذهب وافعل ما يحلو لك.

وقامت الفتاة بإخفاء جزء من الحبوب النامية. وذهب الشقيق وأشعل النار فى محصول الحبوب، ثم عاد إلى البيت. وأحضرت الفتاة بعض الحبوب وأعدت منها التوفو[١]. وأكل الاثنان حتى شبعا.

وذات يوم جمع الشقيق بعض الرماد ولطخ به ثوب شقيقته. ولم تعرف الفتاة شيئا حول هذا الأمر. وعندما قامت فى الصباح لتجمع بعض الحبوب تناثر الرماد

---

(١) أكلة شعبية تعد من عصيدة العجينة السميكة، ويضاف إليها بعض الحليب.

من خلفها. وجمعت الفتاة الحبوب وعادت أدراجها. وأعدت طعام التوفو ليأكلا منه. وعندما خرجت الشقيقة مرة أخرى لإحضار الحبوب، مضى الشقيق من خلفها متتبعا أثر الرماد حتى عرف المكان الذى تخفى فيه الحبوب.

وسرعان ما أخذ فى البكاء. فسألته شقيقته:

ــ ما الذى تريده:

قال لها:

ــ أريد إشعال النار فى المكان الذى تخفين به الحبوب.

قالت الفتاة له متوسلة:

ــ لو أحرقت تلك الحبوب فلن نجد شيئا نأكله. لقد جعلتنا معدمين بعدما حررت العبيد وأحرقت الماشية ومحصول الحبوب، فلا تقم بهذا الأمر!.

لكنه قال لها:

ــ ما الذى أوصاكِ به والدانا قبل موتهما؟.

عندئذ قالت الفتاة له:

ــ اذهب وافعل ما يحلو لك.

خرج الشقيق وأشعل النار فى الحبوب المتبقية.

وسرعان ما بدأ فى البكاء ثانية. فسألته الشقيقة:

ــ ما الذى تريده:

رد عليها:

ــ أريد بيع منزلنا.

توسلت الشقيقة قائلة:

ــ أرجوك، لا تقم بهذا الأمر. فقد أشعلت النار فى الحبوب وجعلتنا معدمين. فهل تريد أن تتركنا فى العراء وتبيع بيتنا؟ هل تريد أن أطلب منك الرحمة؟.

رد الشقيق:

ــ ما الذى أوصاكِ به والدانا قبل موتهما؟.

عندئذ قالت الفتاة له:

ــ اذهب وافعل ما يحلو لك.

خرج الشقيق وأحضر بعض الناس الذين اشتروا بيتهم.

عندئذ قالت الشقيقة له:

ــ لا يمكننى البقاء فى هذه المدينة.



حزمت الفتاة أغراضها، وأخذت شقيقها ورحلت معه إلـــى مدينـــة أخـــرى. وهناك تركت شقيقها فى البيت وخرجت للعمل فى الحقول.

جمع الشقيق الأطفال حوله وقال لهم:

ــ هيا بنا نلعب لعبة تسابى(١).

وتسلل زاحفا نحو الجرن. وحمل الأطفال المدقات ليسحقوا بهـــا الحبـــوب. لكنه قفز من الجرن وأمسك بالأطفال، ثم ألقى بهم فى الجرن وهشم رءوسهم جميعا بالمدق. وبعد ذلك قام بحملهم واحدا بعد الآخر، ووضع كلاً مـــنهم أمـــام مـــدخل كوخه، وتركهم هناك.

كانت الشقيقة تعرف أخلاق شقيقها السيئة، وانتابها القلق عليه، فقالت لنفسها:

ــ سوف أعود إلى البيت.

ذهبت الفتاة وشاهدت ما فعله شقيقها. فصرخت قائلة:

ــ ما الذى فعلته؟.

رد عليها قائلا:

ــ لم أفعل شيئا، بل لعبت فقط لعبة تسابى.

أمسكت الفتاة بشقيقها وفرت معه إلى الغابة. وحلق طائر ضخم من فوقهمـــا وقال لهما:

ــ أريد حملكما معى.

وحملهما الطائر وحلق بهما فى الهواء. وعندما أصابه التعب هـــبط فـــوق إحدى الأشجار.

---

(١) تسابى- لعبة تقوم بالضرب والدق بالمدق على البذور لنزع القشرة عن اللحاء.

فى ذلك الوقت عاد سكان القرية من عملهم، وشاهدوا أطفالهم وقد تحطمت رءوسهم. فأسرجوا جيادهم وانطلقوا يبحثون عن الشقيق وأخته. وظلوا يفتشون ويبحثون حتى أصابهم الإنهاك ولم يجدوا لهم أثرا.

نظر الشقيق إلى ظهر الطائر الأحمر وأخرج سكينه قائلا لشقيقته:

ـ أريد غرس سكينى فى ظهر الطائر.

ردت عليه الشقيقة:

ـ لو أنك غرستها فسوف يحلق الطائر ويتركنا بمفردنا فوق الشجرة.

لكن الشقيق اعترض قائلا:

ـ سوف أغرس سكينى فى هذا الطائر.

وغرس سكينه فى ظهر الطائر الذى انتفض وطار محلقا بعيدا عنهما، وتركهما فوق الشجرة.

حينئذ نادى الشقيق على الماء. فأخذ الماء يصعد نحوه حتى غطى الشجرة، عندئذ استطاع الناس الوصول بقواربهم إلى الشجرة وإنقاذهما.

وظل الشقيق وأخته يقيمان فى بيت امرأة عجوز. وسألتهما المرأة:

ـ من أين أتيتما:

قالا لها:

ـ لقد أتينا من مدينة أخرى.

سألتهما العجوز:

ـ أليس لديكما معارف فى هذه المدينة؟.

أجاباها:

ــ لا، إننا لا نعرف أحدا هنا.

قامت العجوز بإعداد الطعام لهما. وعندما أكلا حتى شبعا، قالت لهما:

ــ فى كل مرة يهبط فيها الليل يأتى دودو[1].

جمع الشقيق بعض الأحجار ووضعها فى النار.

كان جميع سكان المدينة فى حالة شديدة من الرعــب. فأوصــدوا الأبــواب عليهم ورقدوا للنوم.

جاء دودو ومضى يتجول فى المدينة ويصرخ، حتى وصل إلى البيت الــذى كان به الشقيق وأخته. وأراد التهام الشقيق. لكن الصبى أخرج الأحجار الملتهبة من قلب النار، وألقى بها على دودو. فابتلع دودو تلك الأحجار المشتعلة التى أحرقــت قلبه. ومات دودو. فخلع الصبى نعلى الوحش وأخفاهما، ثم ذهب للنوم.

وفى الصباح شاهد الجميع دودو ميتا، فأخذوا يتساءلون فيما بينهم:

ــ من الذى قتل دودو؟.

قال الزعيم:

ــ أيا كان من قتل دودو، فسوف أمنحه ابنتى ونصف البلاد.

أخذ الناس يخلعون نعالهم من فوق أقدامهم، لكنها لم تتطابق مع أقدام دودو. وقام أحد الأفراد بإحضار نعليه من البيت لكنهما لم يتطابقا بدورهما. وتكرر الأمر مع جميع الناس.

---

(١) دودو- هى الروح الشريرة، والوحش المرعب.

عندئذ هتف الناس قائلين:

– يوجد اثنان من الغرباء فى كوخ المرأة العجوز، فلنطلب منهما الحضور إلى هنا.

نادوا الشقيق وأخته اللذين وصلا إلى تجمع الناس. ووضع الصبى النعل فوق أقدام دودو وقال:

– نعم إنه أنا الذى قتل دودو.

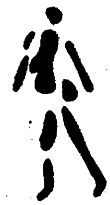
صاح الزعيم قائلا له:

– إنى أمنحك ابنتى ونصف البلاد لتصبح ملِكا لك.

كان هذا ما جرى. وعاشت الأخت مع شقيقها فى بيت الزعيم.

وهنا انتهت الحكاية، وقد اختلقت ما فيه الكفاية من الأكاذيب. وفى صباح الغد عندما أستيقظ من نومى فسوف أجد كمية هائلة من المال راقدة خلف كوخى.

١٢. الأربعون فتاة(١)



ذات يوم خرجت أربعون فتاة لجمع الحطب. وعندما مضت الفتيات نحو البيت، وأثناء سيرهن على الطريق طابورا واحدة بعد الأخرى، صادفن إيليمو الرجل الذى يمشى على قدم واحدة، بينما نمت قدمه الأخرى من الخلف عند أسفل رقبته تماما. لذلك كان يسير بقدم واحدة متكئا على عكاز. أما جسمه فقد كان مثل الصلب الذى لا يمكن خدشه أو ثنيه.

وعندما شاهدت الفتاة التى تسير فى المقدمة إيليمو صرخت قائلة:

ــ لا تقترب منى! بل من الأفضل أن تلتهم الفتاة التى تسير خلفى!.

عضَ إيليمو جميع الفتيات من أصابعهن، أما الأخيرة منهن فقد التهمها بأكملها.

قبل وصولهن إلى القرية ذهبت الفتيات لتلوين أسنانهن. وعندما خرجن إلى الطريق ثانية سألن أول عابر صادفهن:

ــ أخبرنا أيها العابر، من منا تتمتع بأجمل الأسنان؟.

نظر العابر إليهن وهتف يقول:

ــ إن أجمل الأسنان التى أراها حقا لدى فا شى شى، وموىرى فا نى نى.

---

(١) تقوم الحكاية على أساس موضوع الفتاة التى تحسد صديقتها ذات الأسنان الجميلة، وتقوم بتعذيبها.

واصلت الفتيات طريقهن، وطرحن نفس السؤال على رجـل آخـر. فـرد الرجل:

ـ إن أسنان فا شى شى، ومويرى فا نى نى هى أجمل الأسنان التى أراها.

وكان نفس الرد هو الذى أجاب به العابر الثالث.

وصلت الفتيات إلى القرية وتفرقن إلى بيوتهن. وسألت كل منهن والديها:

ـ من منا جميعا تتمتع بأجمل الأسنان؟.

رد الآباء والأمهات فى صوت واحد:

ـ إن أجمل الأسنان التى نراها بالطبع لدى فا شى شى، وشقيقتها مويرى فا نى نى.

اغتاظت الفتيات وكتمن حقدهن المستعر على الأختين.



وبعد مرور يومين خرجت الفتيات ثانية لجمع الحطب من الغابـة. وقمـن بحفر حفرة كبيرة بالقرب من الشجرة المقدسة. وأخذت الفتيات يقفزن فى الحفـرة، ثم يتسلقنها ويخرجن منها واحدة بعد الأخرى. وأخيرا حل الدور على الشقيقتين فا

شي شي ومويري فا ني ني. فقامت مويري فا ني ني بالقفز إلى الحفرة، ثم تسلقتها وخرجت منها. وكانت فا شي شي هي الأخيرة. فما إن قفزت هناك حتى أهالت الفتيات التراب فوق الحفرة. وفي لمح البصر ارتفع الطين والحطب حتى كسا رأس فا شي شي وغطى الحفرة تماما. فوقعت الفتاة في المصيدة، وعادت بقية الفتيات إلى بيوتهن وكأن شيئا لم يحدث. وقمن بإعداد عقار سحري وشربن منه جميعا. وكان مفعول العقار كالتالي: ما إن تحكي واحدة من الفتيات في بيتها ما جرى مع فا شي شي حتى تفارق الحياة في الحال.

في ذلك الوقت كان الشقيق الأصغر لفا شي شي يرعى ماشيته بالقرب من الشجرة المقدسة. وسمعت الفتاة أصوات دبيب الماشية فصرخت محذرة:

ــ احترس ولا تقد الماشية إلى هنا حتى لا تدفنني أسفلها!

أسرع الصبي إلى البيت وقال:

ــ هناك أحد ما يصرخ بالقرب من الشجرة المقدسة.

خرج شقيق فا شي شي في اليوم التالي ليرعى ماشيته ثانية في نفس المكان.

وسمع نفس الصراخ يتردد مرة أخرى، فتعرف على صوت شقيقته.

عاد الصبي إلى البيت وحكى لوالده ولوالدته عما جرى:

ــ لقد سمعت صوت فا شي شي.

أسرع الوالدان ومعهما أقارب الفتاة يركضون نحو موقع الشجرة المقدسة، وقاموا بالحفر وإخراج فا شي شي من حفرتها.

كانت الفتاة في حالة يرثى لها من النحول والإنهاك. وكانت ملابسها قد تمزقت وتحولت إلى أسمال بالية. فحملوها إلى البيت. وظلت أياما عديدة راقدة حتى تعافت.

بعد ذلك كان هذا ما فعلته فا شي شي. فقد أحضرت ثلاث أوان، وصبت بداخلها الحليب. ووضعت في الأولى حليب الحيوانات المفترسة، وفي الثانية حليب الأبقار، وفي الثالثة حليب الماعز. وفي ذلك الوقت نادى والدها على جميع الفتيات. ووضعت فا شي شي ذيل أحد الحيوانات المفترسة في الآنية الأولى، وأخذت تنثر حليب الحيوانات المفترسة من الآنية الأولى فوق الفتيات. فنامت الفتيات وفقدن الوعي في نفس اللحظة. وخرجت فا شي شي تمر على بيوت الفتيات واحدا بعد الآخر. وصارت تقص على أهل الفتيات وتقول:

– لقد قامت بناتكم بدفني حية في الحفرة، وذلك فقط لأن أسناني أجمل من أسنانهن. فإن لم تدفعوا لي فدية ثمينة تعويضا عما جرى لي، فسوف أجعلهن يمتن جميعا، ولن تشاهدهن أحياءً مرة أخرى بعد اليوم.

عندئذ جمع أهل الفتيات قطيعا من الماشية وأحضروه إليها تعويضا لما حدث لها. فقامت فا شي شي بنثر حليب الأبقار فوق الفتيات النائمات اللاتي استيقظن بعد ذلك.

١٣. فليقرع الطبل الكبير



عاش زعيم شاب فى زمن من الأزمنة الغابرة. وكان الزعيم ناجحا فى كل شىء يفعله. فحينما يذهب للتجارة مع الآخرين نجده دائما يحضر البضائع والسلع أكثر من الجميع، حتى صاروا يحسدونه ويشعرون نحوه بالحقد والضغينة. وقرر الناس: "لا بد أن نقتله ونتخلص منه!". فهجموا عليه وقتلوه. وألقوا بجثته فى حفرة. فتحول إلى طائر صغير عجيب، ذى ريش براق يغطى جسمه ويتلألأ بألوان زاهية. حلق الطائر حتى حط فوق قمة شجرة يقف أسفلها القتلة، ثم بدأ الطائر يشدو بالغناء:

فليقرع الطبل الكبير!
فليقرع الطبل الكبير!
ولتخفق أجنحة الطائر الصغير،
القادم من النهر العميق،
من نهر الإله العظيم.

فليقرع الطبل الكبير!
فليقرع الطبل الكبير!

عند النهر العظيم، حيث الخرز واللآلئ،
عثرت على الطيور التي يدفعونها نحو الأجران،
المصنوعة من أشجار الدم،
فليقرع الطبل الكبير!

فليقرع الطبل الكبير!
فليقرع الطبل الكبير!
يدفعونها نحو الأجران المصنوعة من أشجار الدم،
ومناقيرها بيضاء ناصعة البياض،
تعالي إلى هنا يا نيمبا، أين أنتِ؟
فليقرع الطبل الكبير!

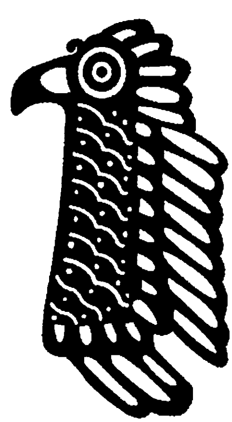
فليقرع الطبل الكبير!
فليقرع الطبل الكبير!
تعالي إلى هنا يا نيمبا، أين أنتِ؟
لقد حان الوقت لعقد اللآلئ ولضمها[١]
اللآلئ البراقة المتوهجة،
فليقرع الطبل الكبير!

---

(١) عقد اللآلئ ولضمها يعني إقامة الحداد.

فليقرع الطبل الكبير!
فليقرع الطبل الكبير!
لقد حان الوقت لعقد اللآلئ ولضمها،
اللآلئ البراقة المتوهجة،
من البلاد التى أرفع منها الظلم،
فليقرع الطبل الكبير!

فليقرع الطبل الكبير!
فليقرع الطبل الكبير!
البلاد التى أرفع منها الظلم،
بعيدة هناك لا أراها الآن،
فليقرع الطبل الكبير!



عندما سمع قتلة الزعيم تلك الأغنية أمسكوا بالطائر الصغير، وظلوا يضربونه حتى فارق الحياة ومات.

وما إن تحركوا على الطريق حتى شاهدوا الطائر يظهر ثانية فجأة. وحلق الطائر أمامهم وهو يشدو:

فليقرع الطبل الكبير!.

أمسكو بالطائر مرة أخرى وقتلوه، ثم هتفوا قائلين بغيظ: "فلنحرقه فى هذه المرة!". وألقوا بجثة الطائر فى النار المشتعلة حتى تفحم وتحول إلى رماد.

ولم يتحركوا سوى بضع خطوات على الطريق، حتى انتفض الطائر محلقا أمامهم وهو يشدو بأغنيته:

فليقرع الطبل الكبير!.

وهكذا ظل الطائر يحلق أمامهم حتى سبقهم إلى القرية، وحط فوق سقف بيته وجلس عليه. وكان كل من يراه يهتف صائحا:

ـ تعالوا هنا وشاهدوا هذا الطائر البديع الواقف فوق بيت الزعيم.

وكان الناس يتجمعون ويستمعون إلى غناء الطائر:

فليقرع الطبل الكبير!.

فى ذلك الوقت عاد قتلة الزعيم إلى القرية. وعندما قابلهم الناس سألوهم:

ـ **هل عدتم جميعا؟.**

ـ نعم، لقد عدنا.

ـ وأين الزعيم؟.

ـ لقد تأخر فى الطريق.

ـ تأخر! انظروا إذن إلى ذلك الطائر الجالس فوق سقف بيت الزعيم.

نظر القتلة إلى الطائر وتعرفوا عليه فصرخوا قائلين:

ـ فلنقتل ذلك الطائر اللعين!.

لكن نيمبا شقيقة الزعيم منعتهم قائلة:

ـ لا، لا تقتلوه الآن، بل دعونا نستمع لغنائه أولا.

أخذ الطائر الصغير يشدو ثانية:

فليقرع الطبل الكبير!.

فى ذلك الوقت قام سكان القرية بحفر حفرة كبيرة فى بيت الزعيم، وغطوا أعلاها بالحصير.

دعت نيامبا قتلة شقيقها قائلة:

ـ فلنذهب إلى البيت لتفسروا لنا ما يغنيه ذلك الطائر.

دخل القتلة البيت. وما إن جلسوا فوق الحصير حتى هوى بهم فى قلب الحفرة على الفور. وأحضر السكان ماءً مغليا صبوه فوقهم حتى احترقت أجسامهم.

وهكذا، مات قتلة الزعيم.

١٤. حكاية المرأة التى تحولت إلى إيمو[١]



كان ياما كان رجل مسن تزوج من امرأة أنجبت له فتاة. وسرعان ما فارق الزوج دنيانا، فرحلت الزوجة إلى الغابة وصارت تعيش بها. وكبرت ابنتها وتزوجت بدورها. واستقروا جميعا بعيدا عن مواطنهم الأصلية.

وذات يوم حمل أحد الأفراد خبرا سيئا إلى الفتاة[٢] حول أمها، وقال لها:

ــ لقد تحولت أمك إلى إيمو، وصارت تأكل الناس، وأصبحت أجساد البشر طعامها المفضل.

وجاء الوقت الذى وضعت فيه الزوجة الشابة طفلها. وبعد أن تعافت من الولادة قالت لزوجها:

ــ أريد الذهاب إلى أمى وزيارتها.

رد الزوج:

ــ بالطبع يمكنك الذهاب إليها رغم كل ما يقال. ولكن عليكِ أن تتذكرى ما قيل عنها، بأنها تحولت إلى إيمو وصارت تأكل لحوم البشر.

ــ لكنها لن تأكلنى بالتأكيد!.

---

(١) إيمو – وحش خرافى آكل للبشر.

(٢) يطلق أفراد الأكامبا اسم "الفتاة" حتى على المرأة الشابة المتزوجة، ما دامت لم تنجب أطفالا بعد.

ورحلت الزوجة لزيارة أمها. ومضت على الطريق وهى تحمل طفلها فوق ظهرها كما تفعل نساء الأكامبا فى العادة. وعندما دخلت البيت القديم، شاهدت أمها منهمكة فى صناعة الحقيبة(١). وشكت الأم قائلة:

ــ أترين يا طفلتى العزيزة شعرى الذى أطلقته؟(٢) فإنى مريضة للغاية، وليس لدى أحد يساعدنى ويسلق لى الحنطة ليطعمنى.

جلست الابنة بجوار أمها. ولمحت بعينيها أسفل الفراش جثثا لأشخاص ميتين. وقالت الأم لها:

ــ خذى وعاءً واملئيه بالماء من النهر، ثم أعدى لى الحساء.

وعندما أخذت الابنة الوعاء قالت لها الأم فى نفس اللحظة:

ــ أعطينى الطفل أحمله عنك كى أهدهده.

اعترضت الابنة قائلة:

ــ لا يا أمى، فليبق الطفل معى.

عندئذ هتفت الأم بلهجة آمرة:

ــ هيا أعطينى الطفل، وسوف أتولاه بنفسى.

فكرت الابنة فى نفسها قائلة: "لا يمكننى عصيان أوامر أمى". وأعطت الطفل لأمها، ثم خرجت إلى النهر من أجل الماء. وعندما عادت شاهدت الأم تحمل الطفل بيديها فقالت:

---

(١) تعمل نساء الأكامبا فى جميع أوقات الفراغ على صناعة الحقائب والسلال التى ينقلون فيها البضائع والثمار من الحقول، حتى أنهن أحيانا يقمن بحياكتها أثناء سيرهن على الطريق إلى الحقل.

(٢) يتميز شعب الأكامبا ذكورا ونساء بحلاقة شعرهم وتركه قصيرا دائما، وعندما يطلق الشخص شعره فهذه علامة المرض أو حدوث مكروه له، أما الكهنة فيطلقون شعورهم بناء على أوامر "الروح العليا".

ـ أعطيني الطفل يا أمي كي أطعمه.

ـ عزيزتي، لقد نام لتوه فاتركيه.

ـ أعطيني الطفل كي أرضعه.

ـ قلت لك إنه نائم!.

ـ سوف أوقظه، فأعطيني إياه فورا!.

ـ لكني لا أستطيع مد ذراعي من هنا!

ـ مدي يديك به من بين العامود والفراش!.

وأخيرا أعطتها الأم الطفل. فنظرت الابنة إليه محاولة إيقاظه، لكنه لم يتحرك على الإطلاق. فقامت بغسل جسمه بالماء فلم يتحرك أيضا. حينئذ أدركت أن الطفل قد مات، وأن الأم قتلته. فقالت الابنة:

ـ سوف أذهب لأضعه فوق الأعشاب والشجيرات(١).

وعندما وقفت الابنة نهضت الأم معها وحملت الطفل قائلة:

ـ ابنتي العزيزة، أنت ما زلتِ صغيرة العمر، ولا تعرفين كيفية التعامل مع الموتى، وسوف أحمل الطفل بنفسي بدلا منك!.

---

(١) في العديد من مناطق الأكامبا (خاصة في المناطق الشرقية) لا يقومون بدفن الأطفال عند موتهم، بل يحملونهم ويضعونهم في السافانا بين الأحراش تاركينهم فريسة للضباع.



خرجت العجوز من البيت حاملة الطفل فوق يديها. وخرجت الابنة تتبعها وتراقب ما تفعله الأم. عندما وصلت العجوز إلى بوابة حظيرة المواشى قطعت ذراع الطفل وابتلعتها فى سرعة البرق، ثم قطعت الذراع الأخرى والتهمتها كذلك. وعندما شاهدت الابنة ما فعلته اختبأت مذعورة منتظرة خروج الأم وعودتها إلى البيت.

وبعد أن خرجت الأم من الحظيرة فرت الابنة هاربة لا تلوى على شىء.

فتشت العجوز أرجاء البيت وما حوله ثم صاحت:

ــ أين الإنسان الذى تركته هنا؟ أين اختفى؟.

واقتربت من رف معلق فوق الباب، وأخذت من فوقه سكينا كانت تستخدمه لسلخ جلد الموتى من البشر. وخرجت تركض خلف الابنة والسكين فى يدها. قبضت العجوز على السكين بقوة وهى تركض وتصيح:

ــ اللحم يفر منى ولكنى أستطيع الإمساك به حتى لو كان بعيدا.

وقذفت السكين قذفة قوية خلف الابنة. فطار السكين بسرعة كبيرة ورشق فى الأرض بالقرب من قدم الابنة. ومضت الابنة تركض أسرع فأسرع واختبأت خلف الجبال. ووصلت الأم إيمو إلى المكان الذى وقع به السكين، فحملته ومضت تهمس له بتلك الكلمات:

ــ أستطيع تمزيق عظم البشر بك!.

أما الابنة فظلت تركض وتركض حتى وصلت إلى القرية المجاورة. وفى ذلك الوقت قامت إيمو برمى السكين مرة أخرى، فطار بعيدا حتى رشق فى الأرض بجوار قدمى الابنة. عندئذ تسلقت الابنة شجرة عالية. ووصلت إيمو إلى مكان السكين وحملته وجلست أسفل الشجرة. ونظرت إلى أعلى قائلة:

ــ هأنا رأيتك أيتها الفتاة! هيا اهبطى من هناك كى ألتهمك ونضع نهاية لهذا الأمر.

ــ بئس ما تفعلين! لن أهبط من فوق الشجرة، وها هى قريتى قد صارت قريبة للغاية!.

حملت إيمو السكين ورمته إلى أعلى. فقطع السكين الفرع الذى جلست عليه الابنة، فتعلقت بفرع آخر. ورفعت إيمو السكين وشحذته فقطعت به الفرع الواقع أسفل الابنة. فتعلقت الابنة بفرع ثالث وأخذت تستغيث صارخة:

ــ أيها الناس، أيها الناس! لقد تحولت أمى إلى إيمو، وصارت تأكل لحوم البشر. وها هى تريد التهامى!.

أمسكت إيمو مرة أخرى بالسكين وقالت للابنة:

ــ اصرخى كما يحلو لكِ، اصرخى ما شئتِ! فلن أرحل من هنا قبل أن ألتهم لحمك وعظامك!.

ألقت إيمو بالسكين وقطعت الفرع الواقع أسفل الابنة مرة أخرى. لكن الفتاة استطاعت التعلق بفرع آخر، ومضت تصرخ من جديد. ووصل صوت صراخها إلى مسامع زوجها الذى أسرع لنجدتها. وقامت إيمو ثانية بقطع الفرع الذى جلست عليه الابنة، وكان هو الفرع الأخير فى الشجرة، ولم يبق سوى الطرف الأعلى للشجرة، والذى تعلقت به الابنة. ووصل الزوج إلى الشجرة حاملا سيفه فى يده، وحاول طعن إيمو به. لكن المرأة استطاعت القفز ولم تصبها الطعنة. وانقض عليها الزوج بضربة أخرى لم تستطع تجنبها، فقطع السيف رقبتها. وسقطت إيمو على الأرض فقام الشاب بتمزيقها إلى أشلاء. وعندئذ هبطت الابنة من فوق الشجرة ورحلت مع زوجها إلى بيتها فى قريتها.

لم يلمح الزوجان قطعة من جسم إيمو قد تدحرجت وسقطت فى حظيرة المواشى الملحقة ببيت الزوج، حيث تحولت إلى ثمرة من ثمار القرع. ومن تلك الثمرة نما الكثير من ثمار القرع الكبيرة والجميلة. اعترت الدهشة الزوج وهتف قائلا:

ـ من أين أتت ثمار القرع هذه إلى حظيرتنا؟!.

أخذ الزوج إحدى الثمار وشقها بسكين إلى نصفين كى يجعل منها قصعتين. وعندما أخذ ينزع البذر منها طارت قطعة صغيرة وسقطت فوق إصبع الزوجة، فسقط الإصبع مبتورا عن اليد. عندئذ ألقى الزوج بالقصعتين بعيدا. وانتقلت الأسرة إلى مكان آخر بعيدا عن مكانها السابق.

لكن جذور القرع انتقلت إلى حظيرة بيتهم الجديد، ونمت حتى صارت ثمارا. وفى هذه المرة كانت ثمار القرع صغيرة للغاية. وعندما قطعوا تلك الثمار أراد الزوج أن يصنع منها فناجين للشرب. وعندما شق إحدى الثمار إلى نصفين طارا بعيدا عنه. فأصاب أحدهما إصبع الزوجة الذى سقط مبتورا على الفور. عندئذ رحل الزوج مع زوجته من هذا المكان إلى موقع ثالث.

نضجت ثمار القرع حتى انفجرت، وتطايرت بذورها فـــى شــتى الأرجـــاء والأنحاء. ووصل بعضها إلى بيت الأسرة الجديد، ونمت منها الثمار خلف حظيـرة الماشية. وعندما نضجت ثمار القرع صاح الزوج قائلا:

ـــ كلا، لن أقرب ثمار القرع أبدا!.

لم يقترب الزوج من الثمار لكن الثمار صارت تنمو وتكبـــر حتـــى غطـــت البيت كله فى ليلة واحدة ودفنت الزوجين أسفلها.

وهكذا، مات الزوجان فى البيت وانتصرت إيمو عليهما.

١٥. الصيادون والمرأة

فكر الرجال فى الخروج إلى الصيد، لكن صوتا ما تردد قائلا لهم:

ـ لا ينبغى عليكم الصيد خلف الجبل!.

خرج الرجال إلى الصيد، فأصابوا أحد الوحوش ومضوا يتعقبونه للإمساك به. وسقط الوحش خلف ذلك الجبل تماما. فلحق الصيادون به وأخذوا فى توزيع اللحم فيما بينهم. وفجأة سألت روح صاحب الجبل قائلة:

ـ من الذى سمح لكم بالصيد فى هذا الجبل؟.

وأطلقت الروح نحوهم رياحا عاصفة. وحملت الرياح الصيادين، وألقت بهم إلى مياه النهر.

عندئذ ذهب الصيادون إلى جبل آخر، حيث أصابوا فريسة أخرى. وعندما سقطت الفريسة ميتة سمع أحد الصيادين صوتا يتردد:

ـ اذهب وابحث عن النار!.

مضى الصياد بمفرده، وأخذ يسير ويسير، حتى شاهد بيتا تجلس بالقرب منه امرأة تصنع حقيبة من الحبال. فسألها الصياد:

ـ أين يمكننى الحصول على النار؟.

ردت عليه:

ـ يمكنك أخذ بعض الفحم المشتعل من البيت، وقبل أن تغادر البيت عليك أن تناديني.

دخل الرجل إلى البيت وأخذ بعض الفحم المشتعل وصاح:

ـ أيتها المرأة، إني أريد الرحيل!.

دخلت المرأة البيت، وكسرت عنق الرجل حتى مات، وألقت به فوق رف بسقف البيت.

بعد ذلك تردد نفس الصوت قائلا للصياد الثاني:

ـ اذهب وأحضر النار!.

ذهب الرجل وشاهد البيت والمرأة التي تغزل الحقيبة من الحبال، فقال لها:

ـ أعطيني نارا أيتها المرأة من فضلك!.

ـ اذهب وخذ بعض الفحم المشتعل من البيت، وقبل مغادرتك عليك أن تناديني.

دخل الرجل إلى البيت، وأخذ بعض الفحم المشتعل وصاح:

ـ أيتها المرأة، إني أريد الرحيل!.

قامت المرأة بخنقه، وألقت به فوق رف بسقف البيت.

استمع الصياد الثالث إلى الصوت الذي قال:

ـ اذهب وأحضر النار، فلن يعود من ذهبا قبلك.

خرج الثالث للحصول على النار حتى شاهد البيت والمرأة فصاح سائلا:

ـ أعطيني بعض النار!.

ـ ادخل إلى البيت وقبل مغادرتك صح علىّ.

دخل الصياد وأخذ بعض الفحم وصاح:

ـ حسنا، لقد أخذت ما أريد.



دخلت المرأة وقتلته، وألقت به فوق نفس الرف.

إذا، فقد أصبحوا ثلاثة هناك، وقد أصبحوا جميعا من الموتى. ولم يبق حيا سوى رجل واحد فقط. وكان الرجل أعور العين(١). وصل الرجل بدوره وصاح سائلا:

ـ أعطينى نارا أيتها المرأة!.

اذهب وخذ بنفسك من البيت، ثم صح على قبل مغادرتك.

دخل الأعور إلى البيت، وصار يقلب الفحم الساخن ليأخذ منه ما يريد. وهنا تساقطت عليه بعض قطرات الدم. فنظر لأعلى، وتسلق نحو السقف ببطء،

---

(١) الرجل الأعور أو الأحول فى فلكلور شعب الأكامبا، يُرمز به للشخص الأكثر ذكاءً ومكرا من الآخرين، والذى يمكنه الخروج من المآزق والمواقف الخطيرة دائما.

حيث شاهد رفاقه جميعا على الرف أمواتا. وتسلل بحذر خارجا من البيت حتى ابتعد عنه. وعندما وصل إلى مسافة بعيدة بالقدر الكافى، صاح مناديا المرأة بصوت عال:

ـ إنى سوف أرحل!.

أسرعت المرأة إلى البيت وأدركت أن الرجل قد هرب منها. فصرخت فى أثره:

ـ فليصبح بيتك بلا أبواب! ولتغرق فى ضباب كثيف! ولتحملك الرياح العاتية إلى الغابة التى لا يعيش بها سوى الأفاعى، وإلى الصحارى التى تكسوها الأشواك، إلى آخر الدنيا، إلى هناك حيث تفترق السماء عن الأرض!.

أخذ الرجل يركض ويركض، حتى وجد نفسه فى بيت بلا أبواب، ثم أصبح الضباب يغطيه من كل جانب، ووجد نفسه فى صحراء جرداء. لكنه ظل يركض حتى وصل إلى بيته فى نهاية الأمر.

وهنا يتضح لنا جميعا أن تلك المرأة لم تكن سوى الوحش إيمو.

١٦. الرجل وإيمو وحجر الطاحون

خرج رجل لجمع العسل من خلايا النحل التى وضعها فى الغابة. وكان إيمو يعيش فى تلك الغابة. وعندما وصل الرجل إلى الغابة، شاهد هناك جبلا رفيعا عاليا، ولم يكن قد شاهده من قبل. فاعترت الدهشة الرجل وصاح:

ـ يا له من جبل! إنه يشبه شيئا ما!.

فى واقع الأمر لم يكن ذلك الشيء سوى إيمو الذى كان نائما. ووقع نظر الرجل على حجر طاحون أبيض[١]. ما لبث أن تدحرج نحوه وسأل قائلا:

ـ ما الذى أتى بك إلى هنا؟.

رد الرجل:

ـ لقد جئت لجمع العسل من الخلايا التى علقتها هنا.

ـ وأين قمت بوضع تلك الخلايا؟.

ـ بالقرب من هنا فى قلب الغابة، حيث وضعت خلية كبيرة.

ـ هاه! إن إيمو الضخم يعيش فى هذه الغابة يا عزيزى.

سأل الرجل:

---

(١) تدور الحكاية هنا حول حجر الرحى الذى يتمتع بقدرات سحرية.

ـ ولو أتى إلىّ، فما الذى يمكننى فعله؟.

ـ ما إن تراه قادما نحوك، صح بى.

ـ حسنا، اتفقنا.

مضى الرجل فى طريقه نحو الغابة حيث قام بجمع العسل، وقضى ليلته فى الأحراش. وشاهد إيمو آثار أقدامه فمضى يتبعها. وعندما انطلق الرجل فى طريقه إلى البيت اصطدم بإيمو وجها لوجه. ألقى الرجل بالعسل فوق الأرض، وفر هاربا وهو فى حالة من الذعر والرعب. وكان إيمو يمتلك يدين طويلتين للغاية، فجلس ومد ذراعيه اللتين تصلان إلى السحاب تقريبا، فأمسك بهما الرجل، وكأنه بالقرب منه. اعتصر إيمو الرجل بيديه حتى صرخ الرجل متألما:

ـ أى أى أى، إنك تعتصرنى!.

وضع إيمو الرجل فى أحد أجولته، ومضى به إلى البيت. فكر الرجل فى نفسه قائلا: "ينبغى النداء على حجر الرحى"، ومضى الرجل فى الغناء:

يا صديقى العزيز يا حجر الرحى!.

تعال إلى سريعا فقد أمسك بى إيمو!.

وهنا صرخ إيمو مزمجرا:

ـ صه أيها الرجل! ما هذا الغناء الذى تردده؟.

لكن الرجل شرع فى الغناء ثانية:

يا صديقى العزيز يا حجر الرحى!.

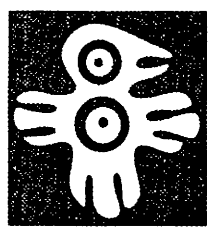
تعال إلى سريعا فقد وضعنى إيمو فى جواله!.

ـ ما هذا الذى تقوله؟ اصمت ولا تنطق بكلمة وإلا قتلتك على الفور!.

وأخيرا سمع الحجر الأغنية فهتف:

ـ إنى قادم يا صديقى العزيز!.

شاهد إيمو الحجر يتدحرج بسرعة فائقة نحوه، فألقى بهراوته نحـوه، لكـن الهراوة أخطأت الحجر الذى تدحرج مسرعا، وضرب إيمو من الخلف ضربة قوية جعلته يترنح، ثم تدحرج الحجر إلى الخلف ثانية وعاد كالسهم ليضرب إيمو فـى صدره. فسقط إيمو على الأرض من شدة الضربة، وقام الحجر بضربه فى رأسـه وهو يكر ويفر وينطلق نحوه عدة مرات، حتى أسقط جميع أسنان إيمو. وكانت كل واحدة من أسنانه بحجم الصخرة الضخمة المدببة. وعندما سقط إيمو راقـدا علـى الأرض، احتل مساحة تعادل المساحة التى تصل من هنا حتى كيبويزى[(١)].



أخذ الحجر يبحث عن صديقه فى جميع أجولة إيمو وهو يـصيح بـصوت عالٍ:

ـ أيها الرجل الثرى، أين أنت؟.

سمع صوتا يتردد بالكاد: "أى".

ـ فى أى جوال تقبع أيها الرجل؟.

---

(١) تروى هذه الحكاية فى قرية تبعد مسافة ثمانية كيلو مترات إلى كيبويزى، وهى محطة من محطات السكك الحديدية فى أوغندا.

ـــ فى الجوال الأسود!.

ـــ أأنت فى الأحمر؟.

ـــ كلا!.

ـــ هل أنت فى الأبيض؟.

ـــ لا لا!.

ـــ إذا فى أى جوال أنت؟! لا أستطيع العثور عليك، لا أستطيع!.

ـــ ابحث عن الجوال الأسود! الأسود!.

ـــ لقد عثرت على الجوال الأسود، عثرت عليه أخيرا! ولكن أين فتحة هذا الجوال؟ هل هى هذه الفتحة؟.

ـــ نعم، نعم!.

دخل الحجر إلى الجوال الأسود، حيث شاهد عددا من الجماجم البشرية، فمضى يزحف بينها حتى وصل إلى الرجل، وأمسك به من يده وأخرجه من الجوال، ثم قال له:

ـــ أيها الرجل العزيز، يا له من أمر طيب أن تتمتع بصديق.

ـــ نعم، إنه أمر طيب للغاية!.

ـــ هل رأيت ما بالجوال عندما أخرجتك منه؟.

ـــ نعم، رأيت!.

ـــ والآن أنت تعرف جيدا قيمة الصداقة مع أى أحد كان. فهيا أعطنى يدك أصافحها هكذا! وعد إلى البيت الآن، وأبلغ تحياتى إلى جميع من بالقرية، وقص عليهم حول الصداقة التى قامت بينك وبين حجر الرحى!.

عاد الرجل إلى البيت. وحكى لأمه وزوجته عن كل ما جرى معــه. بكــت الأم والزوجة من الانفعال فقال الرجل لهما:

ـ إن حجر الرحى هو صديق حقيقى لى، وسوف آخذ خمس عنزات أسوقها إليه فى الغابة رمزا لصداقتنا، فقد أصبح الآن صديقا حميما لى!.

١٧. اليتيمان والضبع



كان ياما كان رجل يعيش مع زوجته وطفليه الابن والابنة. وفى أحد الأيـــام رحل ذلك الرجل تاركا أرض أجداده، إلى بلد بعيد حيث لا يعرفـــه أحـــد هنـــاك. وسرعان ما مات الزوج والزوجة بعد انتقالهما إلى البلد البعيد.

كان الطفلان صغيـرين جدًا عندما مات والداهما. ولم يعرفا أحدا يذهبان إليه ولا مكانا يعيشان به. فلم يبق لديهما أقارب أو معارف، وظل بيتهما قائما بمفـــرده فى الغابة. وقرر الطفلان قائلين: "سوف نعيش هنا بمفردنا". وهكذا، عاش الاثنان معا. وكانت الوحوش المفترسة تجوب أرجاء الغابة من حولهما. ومع مرور الزمن اشتد عود الصبى، حتى صار قادرا على الخروج إلى الصيد، وأصبحت الفتاة تقوم برعاية البيت وطحن الحبوب.

وذات مرة قرر الصبى الخروج إلى الصيد. لكن خاطرا دار برأســـه: "كيـــف ستظل شقيقتى وحيدة فى البيت والوحوش تجوب الغابة من حولها؟" فكر الصبى وفكر حتى قرر: "سوف أغلق عليها باب الكوخ جيدا، ثم تغلقه بدورها من الداخل بالأقفال".

فى الصباح التـــالى حمل الشقيق الرمح والعـــصى، وكـــذلك الأجـــراس(١) التى ورثها عن أبيه. وخـــرج إلى الصيد، حيث قضى اليوم بأكمله فى الـــــغابة. وبعد ذلك فكر فى نفسه: "إننى لم أحذر شقيقتى بعدم فتح الباب لأحد غيرى. فمـــا الذى أفعله كى أجعل شقيقتى تتعرف على عند عودتى إلى البيت؟".

---

(١) أجراس صغيرة تعلق حول بطن القدم عند الرقص.

وعندما حل المساء، انطلق الشقيق فى طريق العودة حتى وصل إلـــى بيتـــه بسلام. وهناك ربط الأجراس حول قدمه ومضى فى الغناء:

أنت أيها الصديق!.

إديندى، إديندى، موكارانجا[1].

ردت الشقيقة وهى تشدو بالغناء:

أين قضيت اليوم كله؟.

إديندى، إديندى، موكارانجا.

أجابها بالغناء:

كنت خلف النهر، ألم تتعرف على بعد؟.

إديندى، إديندى، موكارانجا.

وغنت الشقيقة:

إذا، فلترقص حتى أتعرف عليك أيها الفتى،

إديندى، إديندى، موكارانجا.

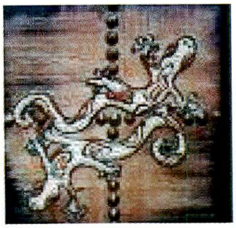
ومضى الشقيق يغنى:

---

(١) موكارانجا- لفظ تدليل يطلق على المقربين وأحيانا على الزوجات الصغيرات.

هأنا أرقص وأرقص، ألم تتعرف على بعد؟.

إديندى، إديندى، موكارانجا.



وعندما اقترب الفتى من البيت، فتحت الفتاة الباب الموصد له، بعد أن تأكدت أنه شقيقها وتعرفت على صوته، واستمعت إلى جلجلة أجراسه.

فى الصباح التالى خرج الفتى ثانية كما فعل فى الليلة السابقة. وعندما غربت الشمس قفل عائدا إلى البيت، حيث قام بالغناء كما فعل من قبل. وعندئذ فتحت الفتاة الباب له. وأصبح الفتى يردد أغنيته هذه كلما عاد إلى البيت من الصيد.

سمع الضبع غناء الفتى، فقرر خداع الفتاة وترديد الأغنية كى تفتح له الباب. وفكر فى نفسه قائلا: "عندما تفتح لى الباب سوف أمسك بها وألتهمها".

وما إن خرج الفتى إلى الصيد، حتى أسرع الضبع إلى الكوخ وأخذ يردد الأغنية التى اعتادت الفتاة أن تسمعها من شقيقها. لكن الفتاة لم تجب على غنائه بعد أن أدركت أنه ليس شقيقها. فاضطر الضبع أن يرحل مبتعدا عن البيت.

وعندما عاد الفتى إلى البيت فى المساء، جلس الضبع يصغى بانتباه إلى غناء الفتى حتى يستطيع تقليده. وعندما خرج الفتى فى الصباح، تسلل الضبع مرة أخرى إلى البيت، حيث مضى فى الغناء مقلدا صوت الفتى تماما. وظنت الفتاة أن ذلك الصوت هو صوت شقيقها، فردت على غناء الضبع. لكن الضبع لم يمكنه تقليد الفتى عندما بدأ فى الرقص مثله. وأدركت الفتاة أنه ليس شقيقها.

وعندما عاد الفتى إلى البيت وبدأ فى الغناء والرقص، أخذ الضبع يستمع إليه ويراقب رقصه بعناية وانتباه. وظل الضبع يتدرب لعدة أيام على الرقص الذى يرقصه الفتى.

وعندما انتهى الضبع من التدريب، ذهب إلى البيت، وانتظر حتى خرج الفتى إلى الصيد كعادته. وأخذ الضبع يغنى مثل الفتى تماما، ويرقص مثلما كان يرقص الفتى تماما. ففتحت الفتاة الباب للضبع، الذى دخل إلى الكوخ والتهمها. بعد ذلك لم يستطع الضبع الهروب من الكوخ بعد أن أغلق الباب عليه بمجرد دخوله، ولم يستطع فتحه. وعندما عاد الفتى إلى البيت، لم يجد شقيقته وشاهد الضبع بدلا منها. فقام بقتله شر قتلة، ورحل من هناك، ومضى يجوب بلاد الله خلق الله.

١٨. حكاية الأب وأطفاله فى غابة إيمو

خرج الرجال إلى الصيد. وكان عددهم أربعة. ومضى الجميع فى الصيد فى أول الأمر، ثم مرض أحدهم بعد أن أخذت قدماه فى التورم. فصار الثلاثة الباقون يخرجون كل يوم للصيد. وكانوا فى المساء يعودون إلى رفيقهم المريض ويسألونه:

ـ ألم يشف الورم بعد من قدميك؟.

ـ لا، بل على العكس من ذلك، فالمرض يشتد على أكثر.

ـ حاول أن تعالج قدميك جيدا عندما نخرج إلى الصيد!.

ـ نعم، سوف أضطر للبقاء هنا حتى تشفى قدماى.

وفى الصباح التالى خرجوا إلى الصيد حيث أمضوا فترة طويلة. وعادوا فى وقت متأخر من الليل وسألوا رفيقهم:

ـ كيف تشعر بحالك اليوم؟.

ـ لقد اشتد الألم على، ولا أعرف سر هذا الأمر الذى يبدو من الخارج كما لو كان جرحًا، ولكن من الداخل أشعر أن شيئا ما صلبا يتحرك هنـــاك. وسوف أقوم بشق الجلد لأنظر إلى ذلك الشىء.

حسنا، فلتقترب من شعلة النار حتى نرى بدورنا ما بقدمك!.

نهض الرجل المريض مقتربا من النار وجـــلس بجانبها، ثم فـــرد قدميــــه وقال لهم:

ـــ أعطونى سهما حاد النصل!.

أحضروا إليه سهما حادا، واضطروا إلى قطع الجلد بأنفسهم وهم يسألونه:

ـــ أتشعر بالألم؟.

ـــ لا، استمروا فى القطع أعمق فأعمق!.

أخذوا يشقون الجلد أعمق حتى قال لهم:

ـــ أمسكوا بقدمى حتى لا تنقطع بأكملها!.

أمسكوا بقدمه بقوة، وضغطوا عليها بشدة حتى شاهدوا شعرا ثم رأسا لطفل.

ـــ إنه طفل! ما الذى سوف نفعله؟ أليس هذا فعلاً من أفعال إيمو؟.

ـــ هيا ننظر مرة أخرى لنرى ما هناك!.

خرجت يدان من داخل القدم، فأمسك بها الصيادون وسمعوا صــوت بكــاء يتردد:

ـــ واء! واء!.

وفجأة سمع الصيادون صوتا "واء، واء"، وصرخوا فى دهشة:

ـــ هناك رأس ثانية! هناك يدان لطفل آخر. إنها فتاة!.

وبعد ذلك شاهدوا رأسا أخرى كانت تتدحرج هنا وهناك، وشــاهدوا يــدين تتحركان. فقاموا بإخراج الطفل، وسمعوا صوت بكاء يتردد مرة ثانية: "واء، واء".

ـــ إن هذا الصبى هو الأخير هناك!.

أحضر الرجال سعفة كبيرة. وأخذوا يهرسونها بقطع الصخور حتى خرجت عصارتها، وقاموا بسكب العصارة فوق جرح القــدم، وأغلقــوا الجــرح بــالإبرة والخيط.

وأخذ الرجال يطعمون الأطفال اللحم المفروم.

وسرعان ما شفت قدم والد الأطفال والتأم جرحه. وسأله الصيادون:

ـ هل أصبحت بصحة جيدة الآن؟.

ـ نعم، ويمكنني الوقوف والسير.

ـ لقد حان وقت عودتنا إلى البيت، فهل تريد أنت الآخر الذهاب إلى البيت؟.

رد الرجل قائلا:

ـ لا، إن الأطفال ما زالوا صغارا للغاية.

ـ إذا فلتبق هنا. لكن هذا المكان يعج بالإيمو. وعليك العثور على مكان جيد لتقيم بيتك به.

ـ نعم، سوف أفعل ذلك بالطبع، وأبحث عن مكان مناسب للبيت.

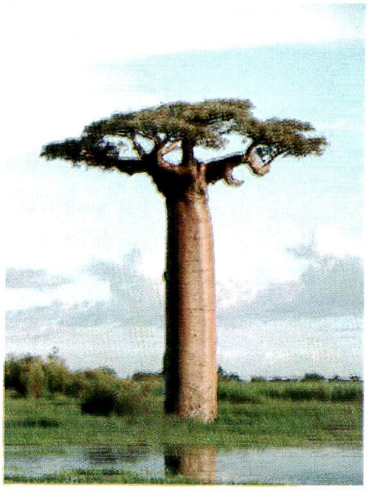
رحل الرفاق وتركوا الصياد الذى خرج يبحث عن موقع لبيته.

سار الرجل طويلا حتى شاهد عددا من أشجار الباوباب(١)؛ فاقترب نحو أكبر شجرة منها، وهتف قائلا:

ـ ها هى الشجرة التى أحتاج إليها تماما!.

---

(١) شجرة الباوباب هى شجرة استوائية تنتشر فى ربوع أفريقيا، يستخدم السكان قشورها فى صنع الألياف والحبال، ويأكلون ثمارها. وتستخدم الشجرة فى بعض الدول مثل مدغشقر، باعتبارها صهاريج لحفظ مياه الأمطار، وذلك بالحفر داخلها، ولا يلحق هذا الأمر الضرر بالشجرة. وقد اكتشف الباحثون فوائد كثيرة لثمارها وصلاحيتها لتصنيع مستحضرات التجميل. ويقول البعض إن شجرة الباوباب تقبع فى ذاكرة جميع سكان القارة السمراء، فهم يتبركون بها وينسجون من حولها الأساطير والحكايات المتنوعة.



وصنع أوتادا غرسها فى جذع شجرة الباوباب، ثم قام بتسلقها[١].

وهبط الرجل من أعلى الشجرة حيث قام بتقطيع الأغصان والعوارض، ونزع الألياف، ثم تسلقها ثانية وأقام البيت عليها. وهبط مرة أخرى حيث جمع الأعشاب، وصعد بها وصنع منها سقفا للبيت منهيا بذلك عملية البناء. ونزل ثانية من أعلى الشجرة، حيث قام بقطع العصى وصنع منه فراشا[٢]. كان عليه الحصول على جلد لأحد الحيوانات ليغطى به الفراش. فقام الصياد بقتل عنزة، وسلخ جلدها وفرشه على الأرض كى يجف. وأخيرا وضع أطفاله ليناموا بالبيت.

بعد ذلك قطع الرجل الكثير من الألياف وضفر منها حبلا سميكا، ثم قاس الحبل ليعرف إن كان طوله كافيا، وعندما أظهر قياسه قصر الحبل، قام بتطويله كى يمتد من الأرض إلى البيت بأعلى الشجرة. ودق وتدا كبيرا فى عمق شجرة

(١) تتميز شجرة الباوباب بمرونتها الشديدة. ويقوم السكان المحليون بغرس أوتاد فى جذعها دون مشقة، ثم يتسلقون إلى أعلاها من خلال تلك الأوتاد.

(٢) يتكون الفراش لدى شعب الأكامبا من إطار يرتكز على أربعة أطواق مثبتة فى الأرض، وعلى عدد من العصى الرفيعة المرنة، كما يضعون فراءً لأحد الحيوانات بدلا من الحاشية (المرتبة).

الباوباب بالقرب من البيت، وربط الحبل إليه. وعندما انتهى من ذلك نزع الأوتاد الأخرى التى غرسها من قبل وتسلق الشجرة عليها، وألقى بها بعيدا.

كان الأطفال فى ذلك الوقت قد استطاعوا الجلوس والحديث قليلا. وقال الأب للابن الأكبر كيتينجا:

ـ عندما تسمعنى أغنى مرددا: "كيتينجا، كيتينجا، ألق الحبل إلىّ كى أصعد لأعلى"، وعليك إلقاء هذا الحبل!.

رد كيتينجا:

ـ حسنا.

خرج الوالد إلى الصيد وقتل جاموسا. واستطاع أن يحصل منه على الكثير من اللحم الذى جمعه وعاد به إلى البيت. وعندما اقترب من شجرة الباوباب أخذ يغنى مرددا:

كيتينجا، كيتينجا، ألق الحبل إلى،

فأنا أريد الصعود إليكم!.

صاح الأطفال:

ـ إنه أبونا الذى ينادى، فهيا نلقى بالحبل سريعا!.

ألقى الأطفال بالحبل إلى الوالد الذى تلقفه وصعد إليهم، ثم أطعمهم من اللحم. وبعد ذلك قال الوالد لكيتينجا:

ـ عندما أخرج إلى الصيد لا تلقى بالحبل إلى أحد غيرى أيا كان، فهنا يوجد العديد من الإيمو (آكلى لحوم البشر)، وهم كثر للغاية!.

لكن إيمو كان قد وصل إلى هنا بالفعل، وسمع الوالد وهو يغني، وعرف طريقته فى الغناء. وقد حاول تسلق الشجرة. وعندما لم يفلح فى الأمر، قرر فى المحاولة التالية تقليد غناء الوالد.

وعندما رحل الوالد للصيد اقترب إيمو من شجرة الباوباب ومضى يغنى بصوت أجش:

كيتينجا، كيتينجا، ألق الحبل إلى،

فأنا أريد الصعود إليكم!.

صاح كيتينجا:

ـ آخ، إنه إيمو بعينه الذى حكى عنه أبونا!.

ورفع كيتينجا قطعة من الخشب ألقى بها إلى أسفل، فسقطت على وجه إيمو تماما. ففر إيمو هاربا وتملك الذعر والغضب منه.

عاد الوالد واعترته الدهشة وقال: "من أين أتى كل هذا الغوط؟". وبدأ فى الغناء:

كيتينجا، كيتينجا، ألق الحبل إلى،

فأنا أريد الصعود إليكم!.

هتف الأطفال قائلين وهم يلقون الحبل فى لهفة:

ـ هذا هو والدنا! إنه أبونا! أبونا!.

صعد الوالد إلى أعلى الشجرة وسأل الأكبر:

ــ كيتينجا! من أين أتى ذلك الغوط على الأرض أسفل الشجرة بجوار بيتنا؟.

ــ إنه غوط إيمو الذى أتى إلى هنا، ولكنى قذفته بقطعة من الخشب.

ــ وأين أصابته القطعة؟.

ــ أصابته فى وجهه تماما.

ــ إذن عليك الحذر مستقبلا، ولا تنزل الحبل لأى غريب كان!.

بعد ذلك أتى إيمو مرة ثانية وحاول تسلق الشجرة لكنه لم يستطع، فأخذ يغنى بصوته الأجش مرددا:

كيتينجا، كيتينجا، ألق الحبل إلى،

فأنا أريد الصعود إليكم!

هتف الأطفال بصوت واحد،

ــ أوه، يا للمصيبة!.

قذف الصبى الأكبر بحجر إلى الأسفل، فأصاب الحجر إيمو فى وجهه مباشرة. وامتلأت الأرض أسفل الشجرة بالغوط الذى خلفه إيمو.

وأخيرا قرر إيمو اللجوء إلى السحر. وها هو ما نصحه الساحر به:

ــ سوف أشرح لك الطريقة المناسبة. اذهب إلى هناك حتى تصل إلى ممرات النمل الأبيض. وعندما تشاهدهم أخرج لسانك وضعه فوق طريق النمل، ودعهم يقرصونه كما يحلو لهم. وعليك أن تتماسك حتى يتورم لسانك، ثم واصل طريقك حتى تعثر على النمل الأسود. واترك لهم

العنان ليقرصوا لسانك حتى يتورم. بعد ذلك عليك الذهاب والسير حتى تقابل العقارب. ودعهم بدورهم يقرصون لسانك حتى ينتفخ. وبعد أن تنتهي من كل ذلك عد إلى البيت، حيث إنك سوف تمرض لشهر ثم تتعافى بعد مروره. وحينئذ سوف تتمكن من الغناء بصورة جيدة كما يفعل الصياد أكامبا.

انطلق إيمو ليقوم بما أمره به الساحر، ثم عاد إلى قريته ومرض لشهر بالتمام والكمال. بعد مرور الشهر نهض من فراشه سليما معافى. وقرر أن الوقت قد حان للذهاب إلى شجرة الباوباب والغناء أسفلها. وعندما وصل إلى الشجرة مضى في الغناء:

كيتينجا، كيتينجا، ألق الحبل إلى،

فأنا أريد الصعود إليكم!

هتف الأطفال فى فرح قائلين:

ــ إنه والدنا!.

وألقوا بالحبل، وسمعوا صوت الوالد يقول:

ــ اجذبوا أقوى فأقوى!.

تساءل الأطفال قائلين:

ــ لماذا أصبح ثقيلا على هذا النحو؟ ما الذى تحمله معك يا أبانا؟.

ــ لقد أحضرت لكم طريدة كبيرة معى.

أخيرا صعد إيمو إلى أعلى الشجرة وأخذ يتطلع إلى داخل البيت. وعندما شاهده الأطفال تملك منهم الذعر والفزع وشرعوا فى البكاء. فسألهم إيمو:

ـــ لماذا تبكون؟.

ـــ لأننا نخاف منك.

ـــ لا تخشوا شيئا، فلن أصيبكم بسوء. أخبرونى فقط أين اللحم الذى أحضره والدكم إلى البيت؟.

ـــ اللحم فوق الرف هناك.

أخذ إيمو اللحم كله والتهمه، ثم قال للأطفال:

ـــ والآن سوف أنقلكم وأحملكم معى من هنا!.

حمل إيمو الثلاثة جميعا، وهبط بهم إلى الأرض ورحل فى طريقه. وعندما وصل بهم إلى قريته قال لهم:

ـــ الآن سوف تنظفون الحقل من الأعشاب الطفيلية النامية به، ثم تزرعون الحقل بالذرة. وبعد ذلك تزرعون الجزء الآخر منه بالذرة الشامية. أما أنا فسوف أذهب للتريض!.

كان الصياد فى ذلك الوقت قد عاد إلى البيت. عندما وجده خاويا من أطفاله، وشاهد الحبل يتدلى إلى أسفل، أدرك أن هناك سوءا قد حل بهم. فقال فى نفسه:

ـــ سوف أذهب إلى المُنجم لأعرف ما الذى حل بأطفالى.

وأخبره المُنجم أن إيمو الذى يُدعى موفيا قد أخذ أطفاله، وأن قريته تقع فى مكان ما على الطريق الرئيسى. فذهب الوالد إلى أول قرية تقع على الطريق الرئيسى وسأل هناك:

ـــ هل موفيا يعيش هنا؟.

ـــ لا.

مضى الرجل مواصلا طريقه. وظل يسير لفترة طويلة حتى توسطت الشمس كبد السماء. ووصل إلى قرية موفيا. وهناك قابل عجوزا فسألها:

ــ أيتها العجوز! ألا يمكنك أن تخبرينى عن مكان أطفالى؟.

سألته العجوز:

ــ هل يتمتعون بالحسن والجمال؟.

ــ نعم.

ــ أهم بنت وصبيان؟.

ــ نعم.

يوجد أحدهم فى ذلك الحقل القريب من هنا. فاذهب إليه هناك!.

ذهب الوالد حتى عثر على كيتينجا. وقص عليه الابن كل ما جرى، فقال الوالد لابنه:

ــ عندما يأتى إيمو فى المساء إلى البيت، ويسألك إن كنت قد أعددت الطعام، ينبغى عليك القول له: "لا، إنى لم أعد أى طعام!" وإذا قام بتهديدك بالقتل فلا تخف. وما إن يقبض على رمحه بيده حتى أدخل إليه بقوسى على الفور.

وعندما حل المساء عاد جميع الأطفال إلى البيت. وحمل كيتينجا رمح إيمو وبدله ببوصة تشبهه. واختبأ الوالد أسفل فراش إيمو، ولم يمض وقت طويل حتى عاد إيمو من جولته، وصاح مناديا:

ــ كيتينجا!

ــ نعم.

ــ هل أعددت لى العشاء؟.

ــ لا، لم أعد لك شيئا.

ــ أيها الملعون! أيها الملعون! سوف أقتلك فورا!.

أسرع إيمو إلى رمحه وضرب به الصبى، لكن الرمح انثنى ولم يؤذه. نظر إيمو إلى رمحه وصرخ سائلا:

ــ من الذى أتلف رمحى؟.

رد كيتينجا بحسم:

ــ أنا الذى بدلته!.

ــ إذا سوف أقتلك بدونه!.

وهنا قفز الوالد من أسفل الفراش. وأطلق سهمه على إيمو فأصابه فى عينه، ثم أمسك بسيفه وضرب به إيمو بكل قوته. وبعد ذلك طعن إيمو بالسيف ثانية، وضربه بسهم آخر. فسقط إيمو على الأرض ميتا. لكنه قال قبل موته:

ــ اقطع إصبعى الخنصر بعد موتى وألق به فى النار! واحرق بيتى كله كذلك. وعندئذ سوف يعود جميع من قتلت إلى الحياة.

فعل الوالد ما قاله إيمو. وبعث إلى الحياة جميع من قتلهم إيمو من الناس والأغنام وقطعان المواشى.

اصطحب الوالد أطفاله ومعهم جميع الناس والمواشى. وعادوا إلى بيتهم فى أوكامبا.



١٩. حكاية المرأة التى تزوجت من أكل لحوم البشر

يحكى أن رجلا تزوج من فتاة وأخذها إلى قريته. وفى تلك القرية كان الناس يأكلون لحم البشر. وفى أحد الأيام جاءت شقيقة الزوجة لزيارتها، وكانت الشقيقة فى أيامها الأخيرة من الحمل. وبعد أن قضت بعض الوقت، وهمت بالعودة إلى البيت قالت لها شقيقتها زوجة آكل لحوم البشر:

ــ لا تتوقفى للراحة أثناء طريق عودتك عند تلك الشجرة الكبيرة!.

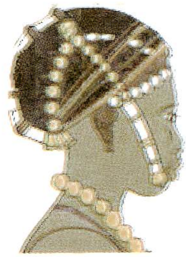
خرجت الشقيقة فى طريقها، ولم تلتفت إلى تحذير شقيقتها. فجلست للراحة بالقرب من تلك الشجرة ذاتها. وفى ذلك الوقت خرج صهرها للصيد، وذهب للراحة إلى تلك الشجرة. وعندما شاهد الشقيقة قتلها، وأخرج منها طفلين صغيرين، ثم حملهما وذهب بهما إلى زوجته قائلا:

ــ عليكِ العناية بهذين الطفلين حتى ألتهمها!.

أدركت الزوجة أنه قتل شقيقتها. فقامت بإخفاء الطفلين. وبعد مرور بعض الوقت عاد الزوج وأمر زوجته بتقديم الطفلين إليه. فقامت الزوجة بقتل جُرذين وقدمتهما إلى الزوج قائلة:

ــ ها هما الطفلان الصغيران!.

والتهم الزوج الجُرذين.



قامت الزوجة برعاية الطفلين وإرضاعهما من صدرها. وسرعان ما كبر الطفلان بعد أن رضعا لبنها، وتعلما السير. ولم يعرف الزوج شيئا عن هذا الأمر بعد أن أخفتهما الزوجة عن ناظريه.

وفى أحد الأيام ذهبت الزوجة إلى بيت والدها، وأخذت منه أربعة سيوف وأربعة رماح. وعندما عادت إلى البيت لم يكن الزوج هناك. فقامت بوضع السيوف والرماح فى المكان الذى كان به الأطفال.

فى ذلك الوقت كبر الطفلان وصارا فتيين. وذات مرة قالت الزوجة لزوجها:

ــ هيا بنا نحفر حفرة عميقة لا يمكن النزول إليها إلا بالحبال!.

لم يسأل الزوج عن سبب تلك الحفرة، ذلك لأنه كان يحب زوجته كثيرا. وأخذ الاثنان فى الحفر طوال اليوم. وقبل أن يقوما بذلك كانت الزوجة قد قالت للفتيين:

ــ عندما تشاهدانى أدفع بزوجى إلى الحفرة، عليكما الخروج وضربه بتلك الرماح والسيوف!.

وها هى الزوجة تدفع بزوجها إلى الحفرة. وعلى الفور ركض الفتيان من البيت نحوها قائلين:

ـ سوف نقتل الرجل الذى قتل أمنا!.

وقام الاثنان بضرب آكل لحوم البشر بالرماح وغرس السيوف بجسمه حتى مات. وبعد ذلك عاد الجميع إلى البيت، وذهبوا إلى شقيق والدتهم وجدتهم.

٢٠. حكاية قدماء آكلى لحوم البشر

كان هناك سبعة صيادين خرجوا إلى الصيد. ووصلوا إلى أرض يعيش بها آكلو لحوم البشر. وهناك سمع الصيادون حديث آكلى لحوم البشر وهم يرددون بين الحين والآخر قائلين:

ـ لقد وصل اللحم!.

كان آكلو لحوم البشر أولئك سمانا، لدرجة أنهم اضطروا إلى رفع أردافهم بالأحزمة التى كانوا يربطونها حول رءوسهم. وجمع آكلو لحوم البشر الحطب وأشعلوا النار، ثم أمسكوا بأحد الصيادين وألقوا به فى النار. لكنهم رأوا أن الصياد هزيل جدا. فقاموا بإمساك بقية الرجال، وحبسوهم فى أحد الأكواخ. كان باب ذلك الكوخ عاليا يصل إلى السقف. وبعد ذلك، أخذ أحد آكلى لحوم البشر مخزرا وقال لأحد الصيادين:

ـ أخرج رأسك من الباب!.



أخرج الرجل رأسه منصاعا. فقام آكل لحوم البشر بخزق عينيه بالمخزر، ثم فعل نفس الشىء مع بقية الصيادين عدا صيادا واحدا كان حاذقا، واستطاع إنقاذ

عينيه. وقام آكلو لحوم البشر بإعداد خروف سمين أطعموا بـــه ســـجناءهم، كـــى يسمنوا ويصبحوا صالحين للطعام. وبعد أن أكل الصيادون الخروف قـــدموا إلـــيهم خروفا آخر أكله الصيادون أيضا. وصاروا طوال الوقت يطعمونها بالخرفان. أمـــا الصياد الحاذق، فقد قام بجمع فراء الخرفان وربطها ببعضها بعضًا، ثم تـــسلق بـــه أعلى الكوخ، واستطاع الفرار منه والعودة إلى بيته. أما بقية الـــصيادين فـــالتهمهم آكلو لحوم البشر.

وعندما وصل الناجى بعمره إلى قريته سأله الناس هناك:

ــ أين بقية الرجال؟.

رد الصياد عليهم:

ــ لقد التهمهم آكلو لحوم البشر.

فقام الناس باقتياده إلى الغابة وقتلوه.

لماذا علينا أن نحكى حكايات طويلة؟!(١).

---

(١) المغزى الأخلاقى هنا فى سبب عقاب الصياد الحاذق وقتله، هو أنه فر بنفسه من الموت وترك رفاقـــه الآخـــرين يتعرضون للقتل.

٢١. الفتى وايمو

اختطف أحد أفراد الماساى صبيا صغيرا، وأخذه إلى بلاده حيث عاش فيها. وسرعان ما كبر الصبى وأصبح فتى يافعا. وأراد العودة إلى موطنه. فاختبأ الفتى فى البداية، ثم فر هاربا. وخرج الماساى فى أثره كى يلحقوا به.

عندما سار الفتى فى الطريق قال أحدهم له:

ـ ابتعد عن الطريق حتى لا يراك أحد!.

خرج الفتى عن الطريق إلى قلب الغابة حيث اختبأ هناك. وواصل الماساى سيرهم يبحثون عنه على الطريق، فلم يجدوا له أثرا، حتى اضطروا للعودة إلى بيوتهم. حينئذ خرج الفتى من الغابة إلى الطريق مرة أخرى وظل يسير به. وعندما هبط الظلام فكر فى نفسه قائلا:

ـ ما الذى سوف أفعله؟ ليس لدى مكان أنام به ولا نار أحتمى بها.

بحث الفتى عن حظيرة للماشية فلم يجد(١). وهنا تردد نفس الصوت الذى نصحه بالابتعاد عن الطريق يأمره بالانحناء على الأرض. لقد كان هذا صوت إيمو الذى لم يرغب فى أن يشاهده الفتى. فقام إيمو بتسلق إحدى الأشجار، وجمع منها عددا من الأغصان الجافة التى ألقى بها إلى الأرض، وقال للفتى:

---

(١) هذه الحكاية من الحكايات الشعبية النادرة فى التراث الشعبى لدى الأكامبا، والتى لا يؤذى فيها ايمو الناس. بل إن ايمو هنا يقوم بمساعدة الأكامبا ضد جيرانه شعب الماساى.

ـ لا ترفع بصرك!.

لكن الفتى اختلس نظرة، فشاهد صبيا صغيرا. والآن أخذ الفتى يبحث عـــن النار. وفجأة ظهرت النار التى طارت إليها الأغصان لتؤججها. ولـــم يـــر الفتـــى الشخص الذى فعل هذا الأمر. ورقد للنوم بجوار النار.

عندما أشرق الفجر مضى الفتى يسير على الطريق. وظل طويلا فى سيره، حتـــى وصل إلى القرية التى عاش بها والداه. فى ذلك الوقت دخل إيمـــو جـــسـد الفتى وقـــال:

ـ أوه! كم نتحرق شوقا إلى الطعام! فليعدوا لنا حيوانا نأكله!.

قام الوالدان بإعداد ثور كى يطعموهما به.

٢٢. حكاية الفتاة التى جلبت الماء من خور إيمو

ذات مرة صاحت الفتيات:

ــ لا نريد جلب الماء من الخزان المملوء بصغار الضفادع!.

حملت الفتيات الأوانى وخرجن يبحثن عن مياه نظيفة. سارت الفتيات طويلا حتى شاهدن بركة من الماء، لكنها كانت هى الأخرى مملوءة بالضفادع. فمضت الفتيات فى سيرهن أبعد فأبعد، حتى عثرن على بركة أخرى. لكنها أيضا كانت تغص بالضفادع. وكانت آخر بركة عثرن عليها هى الوحيدة المملوءة بمياه رائقة عذبة. فقامت الفتيات بملء الأوانى منها.

لكن فتاة منهن سارت مبتعدة إلى بركة أخرى، وملأت وعاءها بالماء منها. كانت مياهها عذبة وحلوة المذاق مثل العسل. فأتت بقية الفتيات إليها وتذوقن مياهها الحلوة مثل العسل. وبالطبع ملأن جميعا الأوانى من تلك المياه، وعدن إلى البيت. وفجأة انتبهت إحدى الفتيات إلى أنها قد نسيت ذيلها[١] عند بركة المياه الحلوة، فاستدارت عائدة إلى هناك.

كان إيمو هو صاحب تلك البركة. وقد وصل إلى هناك بعد رحيل الفتيات، وصعد فوق شجرة تين برية. وما إن شاهد الفتاة قادمة حتى صاح قائلا:

---

(١) حزام من الجلد يُربط حول الخصر ويتدلى من الخلف. وفى حال النساء المتزوجات فإن "الذيل" يصل إلى الأرض ولا يزين، أما الفتيات غير المتزوجات فالذيل مزين بالخرز وأكثر طولا. وكانت نساء الأكامبا يحملن "الذيل" حتى نهاية القرن الماضى، أما فى وقتنا هذا فتضعه الفتيات أثناء الرقص فقط.

ـــ هيا احملينى وإلا قتلتك!.

ـــ إذا، من الأفضل لى أن أحملك!.



حملته الفتاة فوق ظهرها وثبتته بزنارها. وسارت الفتاة لبعض الوقت علـــى الطريق، ثم عادت به إلى شجرة التين مرة أخرى. فقال لها:

ـــ والآن، اذهبى إلى البيت.

رحلت الفتاة وأصابها المرض فى عينيها بعد أن تلف بصرها.

ذهب شقيقها الأكبر يلتمس النصح لدى الساحر الذى قال له:

ـــ اذهب وبلل هذا الغصن بمياه البركة التى جلبت الفتيـــات منهـــا المـــاء، وامسح عينيها بذلك الغصن.

فعل الشقيق ما قاله الساحر. ومسحت الفتاة عينيها بغصن مبلل بمياه البركة فشفيت عيناها.

وعقد إيمو والفتاة حلفا معا وصارا صديقين.

٢٣. حكاية الفتيان الذين صعدوا إلى السماء

فى قديم الزمان عاش بعض الفتيان، الذين أتوا من مـوارى. وذهـب الفتيان إلى إحدى القرى التى كان بها الكثير من الفتيات. وتقـدم الفتيـان لخطبـة الفتيات. فقالت الفتيات: "من يُضيع مثل هذه الفرصة فهو بالحتم أحمـق". ووافقـت الفتيات على عرض الفتيان.

خرجوا جميعا معا وأخذوا فى الغناء:

لماذا تتركننا اليوم فى وادى ماراشوان؟.
الوادى الذى كنا نلعب فيه مع الفتيات،
لماذا تتركننا اليوم فى وادى ماراشوان؟.
الوادى الذى كنا نلعب فيه مع الفتيات.

وهكذا، كانوا يغنون طوال الوقت. وعندما وصلوا إلى جبل عال طار الفتيان نحو السماء. فحاولت الفتيات اللحاق بهم لكنهن لم يستطعن. وهوت العديد منهن من فوق الجبل، وتحطمت أجسادهن ومتن. أما بقية الفتيات فعدن إلى البيت. وتـساءل كبار القوم فى حيرة:

ـ إلى أين ذهبتن أيتها الفتيات؟.

ردت الفتيات:

ـ لقد خرجنا مع الفتيان الذين قاموا بخطبتنا، لكنهم تركونا أثناء الطريق وطاروا إلى السماء.



٢٤. حكاية الفتيان الذين تحولوا إلى بروق

فى قديم قديم الزمان عاش فى الدنيا عشر فتيات. عاشت الفتيات فى إحـــدى القرى. وفى أحد الأيام رحل كبار القرية، وظلت الفتيات بمفردهن بالبيـــت. وفـــى ذلك الوقت وصل إلى القرية عشرة فتيان من بلاد بعيدة للغاية لم يكن بهـــا مـــاء. وعندما وصل الفتيان إلى القرية شاهدوا الفتيات فقالوا لهن:

ـــ هل تسمحن لنا باقتسام الماء الذى لديكن؟ فقد ألمَ العطـــش بنـــا ونريـــد الشرب.

صبت الفتيات الماء فى أوانٍ صغيرة ووزعنها على الفتيان. لكن الفتيان لـــم يستطيعوا الشرب من تلك الأوانى وقالوا:

ـــ لا نستطيع الشرب من تلك الأوانى، فقدمن الماء فى أقداح حتى نـــستطيع الشرب.

وهنا أخذت الفتيات أقداحا مملوءة بالماء، وقدمتها إلى الفتيان الذين أخـــذوا فى الشرب بلا توقف.

ظلت الفتيات مع الفتيان لفترة طويلة. وقبل مغيب الشمس قال الفتيان:

ـــ وداعا.

ردت الفتيات:

ـــ لا، لن تتركونا بمفردنا هنا. فإننا سوف نذهب معكم.

أخذ الفتيان يرجون:

ـ أيتها الفتيات، فلتبقين هنا!.

لكن الفتيات ألححن فى طلبهن.

حينئذ قال الفتيان:

ـ حسنا، فلتذهبن معنا.

خرج الجميع من القرية، وذهبوا إلى حيث هبطت الشمس. وظلوا يسيرون طويلا طويلا. وبدأ الفتيان فى الغناء.

ابقين أيتها الفتيات،

فنحن سائرون بعيدا،

حيث توجد البروق الحمراء،

وغيرها من البروق السوداء التى تحمل بينها قلبا[١]،

ابقين أيتها الفتيات،

فنحن سائرون بعيدا،

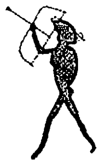
حيث توجد البروق الحمراء،

وغيرها من البروق السوداء التى تحمل بينها قلبا.

كان أولئك الفتيان يملكون القدرة على التحول إلى بروق. وعندما انتهوا من أغنيتهم تحولوا على الفور إلى بروق. وقتلت البروق العشرة الفتيات اللاتى سقطن صريعات.

---

(١) تقوم الحكاية على أساس موضوع "خطأ الفتيات فى الخروج مع أغراب".

 ٢٥. حكاية الفتيان الذين تحولوا إلى طيور

كان ياما كان امرأة تعيش فى الدنيا. وكان لديها من الأطفال فتيات فقط. وذات مرة قالت المرأة لهن:

ـ اذهبن للبحث عن بعض الحطب.

خرجت الفتيات إلى الغابة، وهناك قابلن بعض الفتيان. وأراد أولئك الفتيان التقدم لخطبة الفتيات. لكن الفتيات هربن منهم.

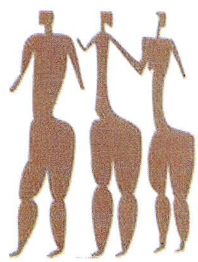
وفى اليوم التالى خرجت الفتيات ثانية إلى الغابة، حيث قابلن نفس الفتيان.

أقام الفتيان كوخا فى الغابة من أجل الفتيات. وحاولوا مبادلتهن الحب. بعد ذلك عاد الفتيات إلى البيت حيث قامت الأم بسبهن.

وذات مرة ذهب الفتيان إلى الفتيات، وقضوا معهن طوال اليوم. وفى الصباح التالى قدموا مرة أخرى، وقضوا مع الفتيات اليوم بأكمله، وفى ذلك المساء اتفقوا معهن على الزواج. وعندما هبط الليل اصطحب الفتيان الفتيات معهم إلى خارج القرية.

كان بيت الفتيان بعيدا جدًا. وظلوا يسيرون ويسيرون، ثم قضوا ليلتهم فى الطريق. واستيقظوا فى الصباح، وظلوا يسيرون طوال اليوم حتى غربت الشمس. ووصلوا إلى إحدى القرى حيث قضوا ليلتهم هناك. وأمضوا ليلتهم التالية فى الطريق أيضا. وفى وقت مبكر من الصباح وصلوا إلى بيت الفتيان. وكان أولئك الفتيان يتمتعون بالقدرة على التحول إلى طيور. وكانوا يقضون أياما كاملة فى

الحقل وهم فى هيئة الطيور، ويلهون مع الشقيق الأصغر للفتيات. وحكى الصبى لشقيقاته عن كل شيء. فقامت الفتيات بضربه، ونعته بالكاذب. حينئذ لم يحك الصبى شيئا حول ذلك الأمر.



وذات مرة اصطحب الصبى شقيقاته، وساروا خلف أثر الفتيان. وبعد ذلك شاهدوا الفتيان وهم يتحولون إلى طيور.

وفى الصباح الباكر من اليوم التالى، خرج الصبى الصغير إلى الحقل، حيث قام بقطع العشب، وصنع منه جناحا[1] لنفسه. وعندما انتهى من عمله أخذ يحاول الطيران والهبوط على الأرض. وظل فى محاولاته لعدة مرات، ذلك لأنه قد شعر بالحنين إلى أمه، وأراد العودة إلى البيت. وقام الصبى بإخفاء الجناح، وأجلس شقيقاته وبدأ فى ترديد أغنيته:

الطيور تقتفى أثر الفتيات،

وينبغى على الفتيات النجاة بأنفسهن.

مضت الفتيات يكررن خلفه كلمات الأغنية، ثم هربن مع شقيقهم من الكوخ، وفروا جميعا عائدين إلى البيت.

---

(١) يحاول الأخ الأصغر مساعدة الفتيات فى الهروب من الموت.

وعندما عاد الفتيان من الحقل لم يجدوا للفتيات أثرا. وسرعان ما وصل الفتيان إلى فناء منزل الفتيات، وأخذوا فى الغناء:

الفتيات المخادعات هنا،

لقد هربن من البيت.

لكن الفتيات طردن الفتيان شر طردة. وعم السرور كبار القرية عندما شاهدوا الفتيات، وبعد أن ظنوا أنهن فى عداد المفقودات. فقاموا بمنحهن ثورا ليأكلن منه ويسعدن به. ومنذ ذلك اليوم لم تكرر الفتيات ما فعلنه، وصارت والدتهن فى غاية السعادة.

٢٦. ثلاث فتيات للأسود

كان ياما كان زعيم جبار لديه من الأبناء ثلاث فتيات وصبى، أنجبهم من عدد من الزوجات. كانت الفتيات فى سن الرشد، وكان لدى كل منهن حبيب. كان العشاق يحضرون معا دائما إلى الفتيات فى المساء، ويصطحبون معهم خادما واحدا. وذات مرة اتفقت الفتيات فيما بينهن: "عندما يأتى عشاقنا مساء اليوم، فسوف نهرب معهم". وسمع شقيق الفتيات حديثهن فقال:

ـ لو نويتن الهرب فسوف أرحل معكن.

وفى المساء ظهر العشاق الثلاثة مع خادمهم، وهربت الفتيات الثلاث وشقيقهن مع الفتيان.

فى حقيقة الأمر لم يكن العشاق الثلاثة وخادمهم من البشر، بل كانوا ثلاثة أسود وضبع، وقد اتخذوا هيئة البشر.

وعندما ابتعدوا بعض الشيء بدأ الضبع فى الغناء:

نحن لسنا بشرا،
بل أسود وضبع،
تعيش فى الكهف.

وعندما سمعت الفتيات العاشقات غناء الخادم انتفضن وهتفن:

ـــ ما هذا الذى تغنيه أيها العبد؟.

رد الخادم:

ـــ لا شىء، لا شىء، أنتن لم تفهمن، إنى أغنى عن شبل الأسد الذى يتبعنا.

قال الفتيان:

ـــ حسنا، استمر فى غنائك.

وواصل الفتيان مع العاشقات سيرهم فى الطريق. أما الخادم فمضى يغنى ثانية:

نحن لسنا بشرا،

بل أسود وضبع،

تعيش فى الكهف.

وصلوا إلى وادٍ كبير ترعى فيه الغزلان. فقال اثنان من الفتيان للفتيات:

ـــ نريد الصيد بعض الشىء للحصول على اللحم، فواصلن أنتن السير مع رفيقنا والخادم.

سألت الفتيات:

ـــ وأين تقع قريتكم؟.

رد الفتيان:

ـــ هناك خلف هذا الجبل.

انطلقت الفتيات مع الشقيق الأصغر وأحد الفتيان والخادم على الطريق. أما الآخران فقد تحولا إلى أسدين، وأخذا يصيدان الغزلان.

وبعد مرور بعض الوقت، انضما إلى بقية الرفاق بعد أن اتخذوا هيئة البشر ثانية، وهما حاملان لحم الغزلان فوق العصى. وعندما مروا بالقرب من الكهف قال الفتيان للفتيات:

ــ ما زال الطريق بعيدا إلى قريتنا، وقد تأخر الوقت. فهيا بنا نقضى ليلتنا اليوم فى هذا الكهف.

دخل الجميع إلى الكهف. وشاهدت الفتيات وشقيقهم الصغير الأرض وقد كستها العظام، فسألوا فى دهشة:

ــ من أين أتت هذه العظام؟.

رد الفتيان:

ــ إنها كلاب الملك التى تحمل الغذاء إلى هنا دائما.

كانت هناك عجوز بالكهف. وكانت نحيلة جدًا حتى بدا جسدها وكأنه عظام بلا لحم. فتساءلت الفتيات:

ــ من هذه المرأة؟.

رد الفتيان:

ــ إنها أمنا.

وخرج الفتيان مع الخادم لجلب الحطب. حينئذ سألت العجوز الفتيات:

ــ ما الذى أتى بكن إلى هنا؟.

ــ لقد جئنا مع عشاقنا.

بعد ذلك وضعوا قدورا ضخمة فوق النار، وصاروا يسلقون اللحم بها. وعندما أصبح الطعام جاهزا، قال الفتيان للفتيات:

ـ والآن باستطاعتكن الجلوس وتناول الطعام حتى الشبع. أما نحن فلسنا جائعين؛ لأننا أكلنا أثناء الطريق. ولكن عليكن ألا تأكلن اللحم حتى عظامه، وأن تلقن بالعظام خلف ظهوركن بعد ذلك. حيث إن كلاب الملك سوف تأتي لاحقا لتجد بعض اللحم فوق العظم.

بدأت الفتيات فى تناول الطعام مع شقيقهن الصغير. وفعلن كما قيل لهن، فألقين بالعظام المملوءة باللحم خلف ظهورهن. وبعد ذلك رقدن للنوم ورحن في سبات عميق.

سرعان ما عاد الفتيان، وقد اتخذوا هيئتهم الحقيقية، وبدأوا ينهشون اللحم من فوق العظام وهم يزأرون. واستيقظ الصبى على صوت الزئير، وشاهد الأسود الثلاثة. فتملك الرعب منه وفكر فى نفسه: "أيمكن أن يكونوا كلاب الملك الذين تركنا لهم اللحم فوق العظام؟ ينبغى أن أوقظ شقيقاتى حتى يرين حقيقة عشاقهن".

إلا أنه لم يوقظ شقيقاته خشية الأسود. أما الأسود فقد عادت إلى هيئتها البشرية، بعد أن شبعت من الأكل. ورقدوا للنوم حتى راحوا فى سبات عميق.

فى الصباح التالى استيقظت الفتيات، فنظرن من حولهن وصحن فى دهشة:

ـ لقد التهموا جميع العظام التى تركناها خلال الليل!.

رد العشاق قائلين:

ـ نعم، لقد كانت هنا كلاب الملك. ونحن سوف نخرج الآن إلى الصيد ثانية، حيث إننا شاهدنا بالأمس العديد من الفرائس، وحتى يمكننا مواصلة طريقنا غدا. ولكن خادمنا سوف يظل معكم.

ظلت الفتيات فى الكهف مع شقيقهن الصغير والضبع الذى اتخذ هيئة بشرية، وكذلك المرأة العجوز. وأحضروا الحطب، وأشعلوا النار ووضعوا القدور فوقها. وفى المساء عاد الفتيان حاملين اللحم معهم وقاموا بتقطيع اللحم إلى قطع كبيرة ألقوا بها فى القدور. وعندما أصبح الطعام جاهزا جلست الفتيات بجانب شقيقهن، وأكلوا جميعا مثلما فعلوا فى الليلة السابقة، وألقوا من خلفهم العظام المكسوة باللحم.

بعد ذلك رحل الفتيان مع خادمهم مرة أخرى، ورقد الباقون للنوم. وبعد مرور بعض الوقت استيقظ الصبى الصغير ثانية على صوت زئير الأسود والضبع، وشاهدهم يلتهمون اللحم من فوق العظام.

فى الصباح التالى خرج الفتيان مرة أخرى للصيد. وعندما خرجت الفتيات مع شقيقهن لجمع الحطب، قال الصبى لهن:

ــ لقد أمرونا بترك اللحم فوق العظام وإلقائه خلف ظهورنا، وذلك كى يأكل كلاب الملك منه ويشبعوا. ولكنى استيقظت فى الليلتين السابقتين، وشاهدت ثلاثة أسود وضبعا يأكلون اللحم من فوق العظام. وبعد أن شبعوا تحولوا إلى بشر ورقدوا للنوم. فها هى حقيقة فتيانكن وخادمهم.

وهنا قالت فتاتان للثالثة:

ــ هل سمعتِ أكاذيب شقيقنا الصغير؟ إن كل كلمة يقولها هى محض كذب وافتراء، وهو يدعى على أحبائنا. فيا له من شقيق!.

لكن الفتاة قالت للصبى:

ــ هل سمعت ما قالته الشقيقتان؟ إنهن على حق! فقد جئت معنا فقط كى تفسد لنا سعادتنا. والآن سوف نطلق عليك لقب الكاذب!.

وفى منتصف نهار اليوم الثالث، طلبت العجوز من إحدى الفتيات:

ــ أحضرى الماء واغسلى لى ظهرى يا بنية.

لم ترغب الفتاة فى القيام بهذا الأمر، فردت قائلة:

ــ إنى لا أستطيع.

حينئذ توجهت العجوز إلى الفتاة الثانية بنفس الطلب. ولكنها تلقت نفس الرفض. وأخيرا توجهت إلى الفتاة الثالثة:

ــ أحضرى الماء واغسلى لى ظهرى يا بنية.

أجابت الفتاة:

ــ حسنا.

خرجت الفتاة من الكهف وأحضرت دلوا مملوءًا بالماء. وغسلت ظهر العجوز حتى لمعت عظامه. فسألتها العجوز:

ــ هل أصبح ظهرى نظيفا تماما الآن؟.

ردت الفتاة:

ــ نعم، إنه يلمع مثل القمر فى السماء.

ــ شكرا لك يا ابنتى، والآن استمعى لما أقوله لكِ. إن عشاقكن هم أبنائى. وفى حقيقة الأمر فهم أسود تأكل اللحم من الفرائس. والآن بعد ما صاروا عشاقكن، فسوف يهجمون عليكن ويلتهمونكن لو عادوا إلى البيت يوما دون الحصول على فريسة. لذلك، عليكن القيام بما سوف أقوله: سلق الباذلاء وإضافة الدقيق إليه حتى يصبح حساءً سميكا، ثم إعداد حساء آخر، وإلقاء الصراصير السوداء به، وبعد ذلك إعداد حساء ثالث

من الأرز. واملأن قدحا من كل نوع من الحساء، ثم اهــربن بالأقــداح الثلاثة بأقصى سرعة. وعندما تسمعن زئيــر الأســود وهـــى تــركض خلفكن، عليكن إلقاء الأقداح واحدا بعد الآخر كى تعطلن الأسود. وبهــذه الوسيلة فقط سوف تستطعن الهروب من أبنائى والنجاة بأنفسكن.

شكرت الفتاة العجوز، ثم انتحت بشقيقتيها وشقيقها الأصغر. وأخبرتهم بكــل ما قالته العجوز. وهنا صاح الصبى قائلا:

ــ والآن لن تتعتننى بالكاذب مرة أخرى.

ردت الشقيقات:

ــ إننا لا نتحدث حول هذا الأمر الآن، بل ينبغى علينا التفكير بسرعة إعداد الباذلاء مع الدقيق والصراصير والأرز.

ومنذ ذلك اليوم مضت الفتيات فـــى جمـــع الـــدقيق وســـلقه مـــع البـــاذلاء والصراصير. وأخيرا أصبح كل شىء جاهزا، وانطلقــت الفتيــات مـــع شـــقيقهن الصغير فى الطريق، وهن يحملن الأقداح الثلاثة.

فى ذلك الوقت عادت الأسود من الصيد. ولم ينجحوا فى اصطياد فريسة فى ذلك اليوم. فأخذوا يتحدثون فيما بينهم:

ــ اليوم سوف نلتهم الفتيات الثلاث.

دخلوا إلى الكهف وسألوا العجوز:

ــ أين الفتيات والصبى أيتها الأم؟.

ردت العجوز:

ــ لقـــد رحلـــوا منذ وقت قصير لجلب الحطب. ولا أدرى الناحيـــة التـــى ذهبوا إليها.

خرج الأسود من الكهف، وأخذوا يقتفون أثر الفتيات، لكنهم لم يعثروا على أثر لهن.

حينئذ صاحوا قائلين:

ـ لابد أن الفتيات والصبي الصغير قد ساروا في الطريق إلى قرية والدهم. فلنبحث عنهم عند تلك الطريق.

ومضت الأسود في البحث عن الفتيات.

وبعد مرور بعض الوقت سمع الفارون صوت الأسود الراكضة خلفهم، عندئذ قامت إحدى الفتيات بإلقاء القدح المملوء بحساء الدقيق خلف ظهرها، فتحطم القدح وانسكب الدقيق في شتى الجوانب.

وعندما وصل الأسود إلى تلك المكان، توقفوا هناك وأخذوا يلعقون الدقيق بألسنتهم وهم يغنون مرددين:

إن الطعام الموجود هنا لا يمكن جمعه بسرعة!

إن الطعام الموجود هنا لا يمكن جمعه بسرعة!

إن الطعام الموجود هنا لا يمكن جمعه بسرعة!

في ذلك الوقت واصلت الفتيات الهروب والركض حتى ابتعدن عن الأسود.

وما إن انتهت الأسود من لعق جميع الدقيق، حتى واصلوا الركض خلف الفتيات. وبعد مضي بعض الوقت تناهى إلى سمع الفتيات صوت زئير الأسود وهي تقترب منهن. حينئذ قامت الفتاة الثانية بإلقاء قدح حساء الدقيق مع الصراصير من خلفها، فتحطم القدح وتناثرت الصراصير في شتى الجوانب.

وعندما وصل الأسود إلى ذلك المكان، توقفوا وبدأوا فى التقاط الصراصير وهم يغنون:

إن الطعام الموجود هنا لا يمكن جمعه بسرعة!

إن الطعام الموجود هنا لا يمكن جمعه بسرعة!

إن الطعام الموجود هنا لا يمكن جمعه بسرعة!

فى ذلك الوقت واصلت الفتيات الركض حتى سبقن الأسود.

وبعد انتهاء الأسود من التهام جميع الصراصير، انطلقوا ثانية يطاردون الفتيات. ولم ينقض وقت قصير حتى سمعت الفتيات صوت زئير الأسود وهى تلحق بهن. فقامت الفتاة الثالثة بإلقاء قدح الحساء مع الأرز من خلف ظهرها. فتحطم القدح وتناثرت حبوب الأرز فى كافة الأنحاء.

وعندما وصل الأسود إلى ذلك المكان، توقفوا عنده وأخذوا فى التهام حبات الأرز وهم يغنون:

إن الطعام الموجود هنا لا يمكن جمعه بسرعة!

إن الطعام الموجود هنا لا يمكن جمعه بسرعة!

إن الطعام الموجود هنا لا يمكن جمعه بسرعة!

فى ذلك الوقت ركضت الفتيات حتى سبقن الأسود. ووصلن إلى النهر. لكن مياه النهر كانت عميقة جدًا، حتى أنهن لم يستطعن عبوره. فأخذن يركضن على شاطئه للأمام وللخلف، وهن لا يعرفن كيف يَنجُونَّ بأنفسهن.

وفجأة شاهدت الفتيات ضفدعا ضخما هائل الحجم يجلس عند الماء. فأخذت الفتيات تتوسل إليه:

ـ أنت، أيها الأخ العظيم، نتوسل إليك أن تساعدنا فى عبور النهر!.

رد الضفدع:

ـ فى المرة الأولى التى جئتن فيها هنا مع عشاقكن لم تطلبن شيئا منى.

عندئذ أخذت الفتيات فى التوسل بإلحاح:

ـ أيها الأخ المبجل، إننا نرجوك أن تساعدنا! إن والدنا هو زعيم عظيم لديه الكثير من قطعان المواشى. وسوف يمنحك ثورا سمينا.

أجاب الضفدع:

ـ ماذا بكن؟ ألم تسمعن سُبابى لكن؟.



فى ذلك الوقت سمعت الفتيات صوت زئير الأسود وهى تقترب منهن.

توسلت الفتيات للمرة الثالثة.

ــ أنت، أيها الأخ العظيم، إنك الوحيد القادر علـــى مـــساعدتنا! ألا تـــسمع صوت من يلحق بنا؟.

رد الضفدع:

ــ اقتربوا من الماء.

اقتربت الفتيات واحدة بعد الأخرى من حافة الماء. فابتلع الضفدع الفتيـــات الثلاث، ثم التفت نحو الصبى الصغير قائلا: "تعال أنت الآخر هنا أيها الصغير!".

اقترب الصبى من الضفدع الذى حوله إلى قطعة من الخشب، وقذف به إلى الشاطئ الآخر. وبعد ذلك قفز الضفدع وهو يحمل الفتيات الـــثلاث فـــى جوفـــه، واقترب من صخرة تقع فى منتصف النهر وجلس عليها.

فى ذلك الوقت وصل الأسود إلى النهر. واقتربوا من الضفدع وصاحوا به:

ــ أيها الضفدع، ألم تشاهد فتياتنا الثلاث؟.

أجاب الضفدع:

ــ إنكم لم تلقوا بالا نحوى عندما مررتم من هنا مع فتياتكم. فلماذا تسألوننى الآن؟.

هتف أحد الأسود قائلا:

ــ كيف يمكنك الحديث معنا على هذا النحو أيها الضفدع؟.

وصاح أسد آخر:

ـ ما الذى ابتلعه هذا الضفدع حتى أصبح بدينا إلى هذا الحد؟.

وأضاف الثالث قائلا:

ـ هيا بنا نمسك به ونمزقه إربا.

عندما سمع الضفدع حديثهم قفز قفزة كبيرة، وأصبح فى قلب الماء!.

شاهدته الأسود فأخذت تزأر وهى تصيح:

ـ يا لنا من أغبياء! لماذا لم نلتهم الفتيات عندما كن بحوزتنا وكانت الفرصة سانحة لدينا؟ أما الآن فقد فقدناهن! ويبدو أنهن عدن إلى بيتهن.

فى ذلك الوقت سبح الضفدع حتى وصل إلى البر الآخر حيث رقدت قطعة الخشب. قام الضفدع بتحويلها إلى الصبى ثانية، وسأل:

ـ بأى الطرق سرتم حتى وصلتم إلى هنا أيها الصبى؟.

رد الصبى مشيرا بيده:

ـ عبر ذلك الطريق.

استمر الضفدع يسأل:

ـ أخبرنى، لو أننا سرنا فى ذلك الطريق الآخر الموازى للنهر، أيصبح مختصرا لنا؟.

رد الصبى:

ـ نعم، سوف يفضى بنا إلى الطريق الرئيسى المؤدى إلى قرية والدنا.

قام الضفدع بعد ذلك بتحويل الصبى إلى قطعة خشبية مرة أخرى، ثم حملها بيده ومضى يسبح فى النهر بمحاذاة الشاطئ. وبعد مضى وقت قصير خرج

من الماء، وظل يسير قافزا على الطريق الرئيسى طوال اليوم، حتى وصل أخيـرا إلى قرية الفتيات. ورقد الضفدع للنوم وهو يحمل قطعة الخشب فى يده.

وعندما استيقظ الضفدع، أعاد قطعة الخشب إلى هيئة الصبى مـن جديـد، وقـال له:

ـ ينبغى أن توجد قرية والدكم فى هذا المكان. فأشر لى عن مكان كوخه.

أشار الصبى:

ـ هذا هو كوخه الذى يقع هناك.

حول الضفدع الصبى إلى قطعة خشبية مرة أخرى، وأخذ يقفز نحو الكوخ.

وعندما وصل إليه أعاد قطعة الخشب إلى هيئة الصبى وقال له:

ـ افتح الباب!.

نفذ الصبى الأمر، وأعاده الضفدع إلى قطعة الخشب، وأمسك بها فى يده، ثم دلف إلى داخل الكوخ وقبع جالسا فى ركن به.

كان الصباح قد أشرق بنوره، ودخلت الزوجة الشابة للزعيم إلى الكوخ كـى تنظفه. وعندما بدأت فى تنظيفه، صاح الضفدع من مكانه:

ـ أيتها المرأة، اغسلينى بالماء أنا الآخر!.

تملك الرعب من المرأة، فركضت مسرعة إلى زوجة الزعيم الأكبر وقالت:

ـ ما إن بدأت فى تنظيف الكوخ، حتى تردد صوت ما قـائلا لـى: "أيتهـا المرأة اغسلينى بالماء أنا الآخر".

ذهبت الزوجة الأكبر معها إلى الكوخ، وحملت مكنسة وبدأت تنظيف المكان بها. عندئذ هتف الضفدع:

ـ أيتها الزوجة الأكبر، اغسليني بالماء أنا الآخر!.

أصاب الرعب الزوجة الأكبر مثلما أصاب الأصغر. وفرت الاثنتان إلى الزوجة الأخرى للزعيم وقلن لها:

ـ كلما بدأ أحد في تنظيف الكوخ الكبير يتردد صوت يقول: "اغسليني بالماء أنا الآخر" فلنذهب كي تشاهدي بنفسك ذلك الأمر العجيب؟.

انطلقت الزوجة الأخرى معهن إلى الكوخ. وما إن بدأت في كنسه حتى تردد صوت الضفدع:

ـ أيتها الزوجة الأخرى للزعيم، اغسليني بالماء أنا الآخر!.

سمعت النساء الصوت، فهربن من الكوخ مذعورات.

اجتمعت النساء في الشارع، وأخذن في النقاش حول مغزى ذلك الأمر. فقالت الزوجات الأصغر للزوجة الأكبر:

ـ ينبغي عليكِ الذهاب إلى الزعيم وإخباره بكل ما جرى!.

ذهبت الزوجة الكبرى إلى الزعيم وألقت إليه التحية. فسألها الزعيم:

ـ ما الذي تريدين إخباري به في هذا الوقت المبكر من الصباح؟.

ردت الزوجة الكبرى:

ـ إن زوجاتك الشابات وأنا معهن، قد ذهبن اليوم لتنظيف الكوخ. ولكن في كل مرة تبدأ إحدانا في تنظيفه، يتردد صوت مجهول قائلا: "اغسليني بالماء أنا الآخر". ولا نشاهد الشيء الذي يتحدث.

قال الزعيم:

ـ لابد أن هذا الأمر هو نذير طيب. فقد اختفى ثلاث من بناتي وصبي صغير من أبنائي. وعليكن إشعال النار في منتصف الكوخ حتى ينتشر الضوء في جميع الأركان. وعندئذ سوف تشاهدن صاحب الصوت.

غادرت الزوجة الكبرى المكان.

ودخلت الزوجات الثلاث إلى الكوخ مرة أخرى، وأشعلن نارا كبيرة أضاءت كل أرجاء الكوخ. وهنا شاهدن ضفدعا سمينا يقبع في ركن منه. فقالت الزوجة الكبرى:

ـ لا بد أن هذا الضفدع هو النذير الذى أخبرني به الزعيم!.

رد الضفدع:

ـ أفردن لي حصيرة كبيرة في منتصف الكوخ حتى يمكنني الجلوس عليها.

أسرعت الزوجات إلى الخارج لإحضار الحصيرة الكبيرة، وفردن الحصيرة في وسط الكوخ. فقفز الضفدع إليها وجلس عليها قائلا:

ـ أحضرن لي منديلا كبيرا يمكنه أن يغطيني.

قالت الزوجة الكبرى:

ـ انتظر قليلا حتى أعثر على منديل مناسب لك.

وذهبت الزوجة إلى الزعيم. فألقت عليه التحية وقالت له:

ـ إن النذير ما هو سوى ضفدع سمين بصورة لا تصدق. وقد طلب حصيرة بنفسه، وهو يجلس عليها الآن في منتصف الكوخ. وبعد ذلك طلب منديلا ضخما. فما الذى يمكننا فعله؟.

نادى الزعيم على ابنه الأكبر وقال له:

ـ أحضر منديلا كبيرا، وانظر سير الأمور بعد ذلك.

أحضر الابن الأكبر منديلا كبيرا، وذهب إلى الكوخ مع الزوجة الأولى.

وعندما دخل إلى الكوخ، رحب الضفدع به قائلا:

ـ أخيرا ظهرت أيها الفتى! هيا غطنى بالمنديل، ولا تدع أى جزء من جسمى يظهر خارجه.

فعل الابن ما طلبه الضفدع. حينئذ هتف الضفدع من أسفل المنديل:

ـ اذهب مناديا على والدك الزعيم، فسوف يحدث الآن أمر مهم.

أسرع الابن إلى والده وقال له:

ـ سوف يقوم الضفدغ الآن بأمر مهم. فلتذهب معى كى تراه بنفسك!

نهض الزعيم وذهب إلى الكوخ مع ابنه ليشاهد الضفدع، ثم جلس وسأل الضفدع:

ـ لماذا طلبت حضورى؟.

أجاب الضفدع:

ـ أيها الزعيم! لقد تحدثت مع زوجاتك حول المصيبة التى حلت بك، وذلك عندما اختفت بناتك الثلاث وابنك الصبى الصغير. والآن عليك الأمر بإحضار اللحم لى!.

أمر الزعيم بإحضار عنزة وقال للضفدع:

ـ ها هو اللحم قد أحضرته إليك.

رد الضفدع:

ـ أيها الزعيم! لا تبخل على بالعطايا. فقد تحدثت بناتك حول أسمن ثور في العالم.

قال الزعيم:

ـ أعدك بأنى لن أبخل عليك بشيء!.

بعد ذلك انكمش الضفدع أسفل المنديل وتحول إلى كتلة صغيره أسفله وقال:

ـ إنى أتقيأ موارى موكورا[١].

ما إن نطق عبارته حتى تردد صوت من أسفل المنديل: "موا"، وأخذ المنديل يرتفع عن الأرض.

وبعد مرور بعض الوقت قال الضفدع ثانية:

ـ إنى أتقيأ موارى موكورا.

وما إن نطق عبارته حتى تردد الصوت ثانية من أسفل المنديل: "موا"، وأخذ المنديل يرتفع أكثر عن الأرض.

صاح الضفدع للمرة الثالثة:

ـ إن أتقيأ موارى موكورا.

وتردد الصوت مرة أخرى من أسفل المنديل: "موا"، وارتفع المنديل أكثر فأكثر عن الأرض.

وعندما لم يعد المنديل ملامسا للأرض، ألقى به الضفدع جانبا وصاح:

ـ أيها الزعيم، ها هن فتياتك الثلاث وابنك الصبى الصغير أمام عينيك.

---

(١) تعويذة سحرية يرددها الضفدع الذى أنقذ الفتيات من مطارديهم.

وهنا شاهد الحاضرون أطفال الزعيم. فهتفت النساء يصرخن من الفرح، وقال الضفدع:

ــ أعدوا لى هذه العنزة حتى يمكننى الأكل.

سلقوا العنزة وأعدوها للضفدع، الذى أكل منها حتى الشبع. وقضى الضفدع ليلته فى قرية الزعيم.

وفى اليوم التالى منح الزعيم للضفدع أسمن ثور فى العالم. فأمسك الضفدع بالثور وساقه نحو النهر.

شاهد عدد من الناس الثور السمين يركض دون أحد يسوقه أو يسحبه، فهتف أحد من الناس:

ــ انظروا إلى هذا الثور الذى لا صاحب له، هيا بنا نمسك به.

وافق الجميع ومضوا يحيطون بالثور كى يمسكوا به. وعندما اقتربوا منه تماما صاح الضفدع:

ــ ألا تدركون أن الضفدع يعرف طريقه بنفسه.

سمع الناس تلك الكلمات لكنهم لم يروا أحدا. فتملكهم الرعب والفزع، وتفرقوا مبتعدين عن المكان.

وصل الضفدع مع ثوره السمين عند موقعه على النهر بسلام. وقام الضفدع بذبحه، وقطع لحمه وعلقه فوق الأغصان. وسرعان ما تجمع العديد من الذباب الذى حط فوق اللحم. وأصبح بوسع الضفدع التهام طعامه المحبوب من الذباب فى كل يوم. وذات يوم مر بالطريق الضبع خادم الأسود. فذهب الضبع إلى الضفدع وقال له:

ـ أيها الصديق أعطنى قليلا من لحمك المعلق الكبير! فإنى أتضور جوعـا، حيث إن أسيادى لا يطعموننى.

قال الضفدع للضبع:

ـ ألست أنت خادم الثلاثة الأسود الذين مروا قربى من هنا منذ فترة قصيرة ومعهم ثلاث فتيات؟.

رد الضبع:

ـ بلى، إنه أنا.

ـ إذا سوف أعطيك ما تأكله.

قام الضفدع بشق صخرة مستديرة وغمسها فى الدم حتى بدت كأنها قطعة من اللحم، ثم سأل الضبع:

ـ أتريد مثل هذه القطعة؟.

رد الضبع:

ـ نعم، إنى أريد هذه القطعة بشدة، فاقذف بها إلى!.

قال الضفدع:

ـ إذا فلتفتح فمك حتى يمكننى إلقاء القطعة بداخله!.

فغر الضبع فاه، وقذف الضفدع بالصخرة إلى داخله، فابتلعها الضبع وفاضت روحه ومات.

٢٧. ابنة الملك دادا سيجبو

كان ياما كان فتاة حسناء. وكانت الابنة الكبرى للملك دادا سيجبو. ولم ينجح الملك فى تزويج ابنته. فقد كانت ترفض الزواج من كل من يتقدم إليها. وعــرض عليها والدها العديد من الخطاب، ولكنها فى كل مرة كانت ترفض الزواج. فقـال الوالد لها:

ـ حسنا، لقد فعلت ما بوسعى، والآن عليك اختيار الزوج الـذى يعجبـك بنفسك.

خرجت الفتاة إلى السوق أثناء الأيام التى يقام فيها، حيث شاهدت العديد من الرجال هناك. لكنها لم تر أحدا يعجبها. وهكذا ظلت تذهب إلى السوق فى كل يوم يقام فيه، وهى تتطلع إلى الجميع دون أن يلقى هواها أحد. ولكنها ظلت تخرج إلى السوق. وعلى الرغم من أنه لم يكن لديها شىء تبيعه، إلا أنها ظلت تزور السوق. وعلى الرغم من أنها لم تشتر شيئا من السوق، إلا أنها واصلت الذهاب إليه. فكانت تسير وتبحث عن الرجل الذى يمثل فارس أحلامها كى تتزوج منه.

وها هو أحد الرجال ذات يوم جاء إلى السوق. فما إن شاهدته الفتاة حتـى هتفت قائلة:

ـ هذا هو الرجل الذى أود الزواج به.

اقتربت الفتاة منه، وتحدثا معا، واتفقا على اللقاء بعد مـرور تـسعة أيـام. وعادت الفتاة إلى البيت وقالت:

ـ لقد عثرت على ضالتى أيها الوالد. لقد عثرت على الرجل الذى أريد الزواج به.

لكن ذلك الرجل لم يكن من البشر. واتخذ هيئة البشر حتى يدخل إلى السوق. وقد استعار قميصا وسروالا وقبعة، وحتى العصا التى كان يمسك بها.

قال دادا سيجبو:

ـ حسنا، فليحضر إلى كى أتعرف إليه.

وفى اليوم الموعود ذهبت الفتاة إلى السوق حيث عثرت على رجلها. وطلبت منه مرافقتها إلى البيت كى يتعرف والدها إليه.

وعندما شاهده دادا سيجبو سأل ابنته قائلا:

ـ هل هذا هو الرجل الذى يعجبك؟.

ردت عليه:

ـ نعم.

قال الوالد:

ـ حسنا، فلتتزوجيه.

ذهبت الفتاة مع ذلك الرجل إلى بيته باعتبارها زوجة له. وظلا يسيران فى الطريق حتى وصلا إلى المكان الذى استعار منه الرجل السروال. فقال الرجل الذى أعاره السروال:

ـ منذ ذلك الوقت الذى أخذت فيه سروالى لم أخرج من البيت. فأعده إلى.

أعاد الرجل السروال.

وسار مع الفتاة لبعض الوقت، حتى وصل إلى المكان الذى استعار منه القميص.

قال الرجل الذى أعاره القميص:

– لم أخرج منذ الصباح بعد أن أخذت قميصى، فأصبحت مضطرا للمكوث فى البيت.

أعاد إليه الرجل القميص.



تملك الرعب من الفتاة لدى رؤيتها ذلك الأمر. فقد أصبح زوجها عاريا. وعندما وصل إلى المكان الذى استعار منه القبعة، طلبها صاحبها من الرجل، فأعادها إليه.

والآن لم يبق لديه سوى العصا. وواصل الاثنان سيرهما حتى وصلا إلى بيت الرجل الذى أعاره العصا، وكان رجلا مسنا. فقال له:

– إنى أجلس هنا منذ الصباح، وأنت تعلم جيدا أنى لا أستطيع الخروج دون عصاى.

وعندما أعاد الرجل العصى إلى صاحبها لم يبق لديه شىء. وطلب من المرأة أن تسير أمامه. فقد كان بيته يقع في كهف، حيث لديه هناك زوجة أخرى مع أطفالها. وكانوا جميعا وحوشا مثله.

كان زوج الفتاة قد استعار كذلك قدمين ويدين حتى يتخذ هيئة البشر. وبعد أن أعاد القدمين واليدين إلى صاحبهم أصبح شبيها بالثعبان، لكنه أكثر استدارة.

شرعت الفتاة فى البكاء، فنادى الزوج على زوجته وأطفاله وأخذوا يلدغون الفتاة ويعضونها.

وبالقرب من ذلك المكان كان هناك صياد يكمن فوق إحدى الأشجار. وعندما بدأوا فى عض الفتاة قام الصياد بضربهم بالسهام، فقتل الذين هجموا عليها، وفرت البقية هاربة. وهبط الصياد إلى أسفل، واصطحب الفتاة عائدا بها إلى بيت دادا سيجبو.

قال الصياد:

ـ لقد شاهدت وحوشا تريد التهام ابنتك فقمت بقتلها.

نادى دادا سيجبو على جميع أفراد قومه وقال:

ـ لقد عرضت على ابنتى جميع رجال مملكتى، لكنها رفضتهم جميعا. وقررت أن تختار بنفسها زوجها، وها هو ما حدث معها.

بعد ذلك قال دادا سيجبو لابنته:

ـ والآن، بعد أن عدت سليمة معافية، فمن الذى سوف تختارينه زوجا لك من بين أولئك الرجال؟.

قالت الفتاة:

ـ سوف أتزوج هذا الصياد الذى أنقذ حياتى وأحضرنى إلى هنا.

قال الوالد:

ـ حسنا، وأنا أسمح لك بالزواج بهذا الصياد. ولكن عندما تصبحين زوجته، وتريدين الذهاب إلى مكان ما لا يوافق زوجك على ذهابك إليه، فينبغى عليك أن تتصاعى له ولا تذهبى إلى هناك.

ولهذا السبب، ومنذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا، يقولون إن على المرء طاعة والده وأمه والاستماع إلى نصائحهما. وينبغى على الفتاة الزواج بالرجل الذى يختاره لها والدها.

٢٨. الفظ مع الناس هو الخاسر دائما

عاش فى مدينة جارون جاباس ملك لديه ابنة تدعى ماما. كانت الفتاة جميلة فى حد ذاتها، ولكنها كانت متعالية ومتعجرفة جدًا. وقد سعى العديد من الأمراء لخطبتها، لكنها كانت تكتفى بمنح كل منهم نظرة احتقار، والإعلان عن أنه لا يعجبها. وقد سبب هذا الأمر لوالدها إزعاجا كبيرا، حيث إن الوقت قد حان لزواج الفتاة ومغادرة بيت والديها. ولكنها لم تستطع اختيار أحد ممن تقدموا إليها. وأخيرا قرر والدها دعوة جميع الأمراء والملوك من كل البلاد، وذلك كى تختار الابنة واحدا منهم، وتتخذه زوجا لها.

قام كل ملك بارتداء أبهى الثياب ووضع أروع الزينة، وتوجهوا جميعا إلى جارون جاباس. واجتمع الكل بما فيهم الملكة، والجميع يراودهم حلم واحد، وهو الزواج من ماما، وذلك على الرغم من أن الجميع تحدثوا حول مدى استحالة هذا الأمر، الذى شبهوه بالعثور على إبرة فى مياه البحر.

وعندما حضر الجميع، أحضروا الحصر المخصصة لكبار الضيوف، وجلس عليها الملوك والأمراء وقد ربعوا أقدامهم. بعد ذلك نادوا على ماما التى جاءت إليهم تتبختر فى هيئة متعالية، ومضت توزع نظراتها عليهم باحتقار. وفى حقيقة الأمر، فعند النظر إلى ماما لا بد للمرء أن يعترف بأنه يشاهد ملكة حقيقية أمامه. فقد كانت هيئتها تشع جلالا يفوق جميع الحدود.

مضت الملكة تستعرض الملوك الشبان، وهى تتفحص كلاً منهم على حــدة. وأخذت تسير وكأنها كانت تقول: "انظروا إلى جمالى وبهائى"، ثم تطلعت إلى أول الملوك وقالت له:

ــ يالك من سمين حقا! برميل حقيقى!.

ونظرت إلى الملك الثانى وهى تقول:

ــ أما هذا فليس لديه رقبة على الإطلاق، فإنه زلعة حقيقية! وهــذا الآخــر قصير للغاية حتى أنه يشبه السلة المقلوبة. فيا له من قــزم! ويــا لهــذه الكمية الكبيرة من الدهن! لماذا لا يعطى قليلا منه إلــى ذلــك النحيــل الجالس هناك كى يصبح شبيها بالبشر!.

واستدارت إلى الفتى الجالس فى ركن من المكان وقالت له:

ــ ما الذى يضحكك ويجعلك تفغر فاك مثل الجمل؟.

باختصار لم يقع اختيار ماما على أحد يعجبها من الحضور، وبدلا من أن تــرفض عروضهم ببساطة، مضت تسخر من الجميع واحدا بعد الآخر، ثم قالت بعد ذلك:

ــ لو أن الرجال جميعا يثيرون الاشمئزاز مثلكم، فالموت أفضل لى من أن أتزوج أحدا منهم.

تفرق الحضور من الملوك وهم يعضون نواجزهم غضبا، ويفكرون بأنهم قد أحضروهم إلى هنا من أجل السخرية منهم فقط. أما ملك جارون جاباس فقد كــان يرجو أن تنشق الأرض وتبتلعه من فرط الخجل. فنادى ابنته وأخذ يسبها. وقالــت ماما:

ــ اغفر لى أيها الوالد. وإن كنت ترغب فى زواجى فسوف أتزوج. ولكنــى أشعر أنه لا يوجد على الأرض الإنسان الذى أستطيع الوقوع فى هــواه

لجماله. ومن الأفضل أن أجعل الشبان يتبارون فـى الحكمـة وتجـاوز الصعاب. ومن ينجح منهم يصبح زوجا لى أيا كان ذلك الرجل.

قال الملك:

ــ وما هى هذه الصعاب والحكمة التى تتطلبينها؟ وهل تظنين نفسك حكيمة الحكماء كى تضعى الصعاب أمام الآخرين ليحلوها؟.

قالت ماما:

ــ اسمح لى أيها الوالد أن أشرح لك الأمر. سوف أطرح سؤالا، ومن ينجح فى الإجابة عنه سوف أتزوج به.

ــ وما هو السؤال الذى تنوين طرحه؟.

ــ سوف أسألهم عن المكان الذى يذهب المطر إليه منتظرا مـرور وقـت الجفاف، وكذلك المكان الذى يذهب إليه الجفاف منتظـرا انتهـاء وقـت المطر.

نظر الملك إليها بغضب، وأشاح نحوها بيديه قائلا:

ــ ما هذا الهراء الذى تقولينه؟.

ردت ماما:

ــ ألم تدرك المغزى بعد؟ عندما يحل زمن الجفاف، فإلى أين يرحل زمـن المطر؟ وعندما يحل زمن المطر، فإلى أين يرحل زمن الجفـاف كـى ينتظر انتهاء المطر ثم يعود ثانية؟ إنى لـم أر أبـدا أن زمـن المطـر والجفاف يأتيان معا. فأين ينتظر كل منهما الآخر؟.

تملك الغضب من الملك بصورة كبيرة لدى سـماعه سـؤال الابنـة غيـر المفهوم. ونظر إليها قائلا:

ـ اغربى عن وجهى فى الحال أيتها الفاشلة!.

ركعت ماما على قدميها وطلبت المغفرة من والدها. فغفر لها الوالد.

وألحت فى أن يكتب الوالد سؤالها، ويوزعه على كل البلاد الواقعة فى الشرق والغرب، وفى الجنوب والشمال. وأن يعلن أن من ينجح فى الإجابة عن سؤال ابنته، فسوف يتزوج بها أيا كان شأنه وأصله.



كان من بين الملوك الذين سخرت منهم ماما، ذلك الأمير القصير الذى وصفته ماما بالسلة المقلوبة. وقد غضب ذلك الأمير وثار أكثر من جميع البقية. فعندما عاد إلى البيت ظل يفكر طوال الوقت فى طريقة للانتقام من الفتاة. لكنه لم يتوصل لتلك الطريقة بعد. وسرعان ما عرف حول سؤال ماما الذى طرحته للجميع.

وذات يوم سمع الأمير أن ملك الدودو؛ الذى هو عبارة عن رأس بلا جسد؛ يعيش فى إحدى الغابات النائية. وقرر أن يحاول الوصول إلى تلك الغابة التى يعيش فيها دودو- الرأس. وانطلق الأمير مسرعا على الطريق.

وبعد مرور بعض الوقت نجح فى الوصول إلى المكان الذى يعيش فيه دودو. وعندما وصل إلى هناك صاح بالتحية. وفجأة شاهد رأسا هائلة تطل عليه بارزة من الكهف. نظرت الرأس إلى الأمير وقالت:

ـ يبدو أن السماء قد أسقطت اليوم طائرا سمينا!.

انحنى الأمير وألقى التحية على الرأس التى قالت:

ـ إنى مجرد خادم ولست ملك الدودو. وسوف أذهب وأبلغ تحيتك إلى مليكنا.

انسحبت الرأس إلى داخل الكهف. وظل الأمير منتظرا فى صمت حتى خرجت الرأس ثانية وقالت:

ـ إنه يطلب منك الدخول إليه.

فكر الأمير فى نفسه: "يبدو أنى قد جئت هنا كى أواجه موتى المحتوم. وليس لدى أى فرصة للهرب، فإنى لا أستطيع العودة والهروب بسرعة، وإن حاولت فسوف يلحق بى دودو ويقبض على".

لم يعد بوسعه فعل شيء سوى الدخول إلى الكهف. وعندما دخل إلى هناك شاهد ملك الدودو جالسا على عرشه تحيط به الرؤوس الأخرى. فركع ملقيا التحية. وقالت الرؤوس الأخرى:

ـ إن ملك الرؤوس العظيم يحييك هو الآخر.

بعد ذلك تدحرجت إحدى الرؤوس، ونظرت إلى الملك قائلة:

ـ أيها العظيم الجبار! أرجو أن تتذكر أنى أحتاج إلى عينيه.

رد الملك:

ـ إذا، تحتاجين إلى عينيه؟ وبما أنى أنا الملك، فسوف أجعلكِ تحصلين على عينيه! تملك الرعب من الأمير، وخر على الأرض متوسلا:

ـ أيها الملك العظيم الجبار، لو كنت تنوى قتلى فاسمح لى أولا أن أحكى لك عن سبب قدومى إليك!.

قالت إحدى الرؤوس التى جلست بجانب الملك:

ـ هيا تكلم بسرعة، فإننا كلما ننظر إليك تُثار شهيتنا ويسيل لعابنا!.

حكى الأمير لملك الدودو حول ماما، ثم أضاف قائلا:

ـ وهأنا قد غامرت بالمجيء إليك، حيث إنى لم أر أحدا يناسبها مثلك.

قال الملك:

ـ ولماذا أحتاج واحدة مثلها؟ إن لدى سبعين زوجة الآن. وقد تزوجت آخر واحدة منهن منذ أيام قليلة.

ـ ولكن بالرغم من ذلك أيها الملك الجبار العظيم، فإن لكل إنسان قدره. وأنت تعلم جيدا أنك مضطر لاستخدام فمك فى كل شيء تفعله. وأنت مسموح لك بكل ما يُسمح به للملوك. ولكنى أعتقد أنه ليس بوسعك السير والسفر بسلاسة، بل عليك أن تتدحرج وتتدحرج. ولكن فى حال زواجك من تلك الأميرة، ورغبتك فى الذهاب إلى مكان ما، فسوف تضعك فى وعاء تحمله معها، حيث تكون مرتاحا فى جلستك. ولا تضطر إلى التدحرج عبر العشب والأشواك.

قال ملك الدودو:

ـ نعم، إنك محق. لكن الصعوبة هنا فى الإجابة عن سؤالها الصعب. وأظن أنى سوف ألجأ إلى جدى، فربما يعرف العجوز الإجابة عن السؤال.

نادى الملك على إحدى الرؤوس، وأمرها باستدعاء جده. ونظر بعد ذلك إلى واحدة من الرؤوس وقال لها:

ـ لو أنى استطعت منح تلك الفتاة الإجابة عن سؤالها، فسوف يصبح الأمر رائعا. وعلى الرغم من أنها لا تأكل البشر وتستخدم الطعام الآدمى فقط، إلا أن هذا الأمر يعد هينا.

قال الرأس:

ـ نعم، إنه أمر رائع، ولكن من الصعب الإجابة عن سؤالها.

وظلت الرؤوس تتحاور حول الأمر، حتى ظهر رأس مكسو بالشعر الأبيض الذى غطى وجهه، وتوسطه حاجبان كثيفان بالشعر. وعندما تدحرج الرأس نحوهم، أفسحت بقية الرؤوس طريقا لها. وقفز الملك من فوق عرشه، وحل الرأس العجوز مكانه. كان هذا الرأس هو جد الملك. واستدارت جميع الرؤوس نحوه هاتفة فى صوت واحد:

ـ صباح الخير!.

رد العجوز قائلا:

ـ صباح الخير!.

قفز الأمير هو الآخر لدى ظهور العجوز، ثم ركع يحيى جد الملك. رد العجوز بلطف على تحيته. وحكى الملك لجده قصة الأمير، وسبب مجيئه إليهم. فقال العجوز:

ـ إن الرجل الذى علَم تلك الفتاة هو رجل حكيم جدًا.

ونظر إلى بقية الرؤوس وقال:

ـ اخرجوا الآن واتركونا حتى ننتهى من حديثنا، حيث إنى أريد إخبار الملك بالإجابة عن هذا السؤال فى الخفاء، وكى لا يستطيع أحد سماع الإجابة ونقلها إلى أحد آخر.

خرجت الرؤوس ومعها الأمير من المكان. ونظر العجوز إلى حفيده قائلا:

ـ أكاسيا هى الإجابة عن سؤال تلك الفتاة.

صاح الملك فى دهشة:

ـ أكاسيا أيها الجد؟ وما معناها؟.

رد العجوز:

ـ أنت لم تفهم بعد. فالطفل يظل طفلا مهما كبر. فى الأوقات الممطرة تخضر جميع الأشجار وتنمو عدا شجرة الأكاسيا التى تبدأ فى الذبول. وهذا الأمر يحدث بسبب أن أعلى الشجرة يسكنها زمن الجفاف منتظرا انتهاء وقت المطر ومجىء وقته. وفى زمن الجفاف عندما تجف جميع الأشجار بسبب قلة المياه والرطوبة فإن الأكاسيا تكتسى بالأوراق الخضراء، ذلك لأن زمن المطر يسكن أعلاها وهو فى انتظار حلول وقته، فتجبر برودته شجرة الأكاسيا على الإخضرار.



شجرة الأكاسيا

أجاب ملك الرؤوس:

ـ حقا، لا يمكن لأحد عداك أن يعرف الإجابة عن ذلك السؤال. وغدا سوف أنطلق فى طريقى منذ الصباح الباكر.

أخذ الجد يلقن حفيده بعض النصائح حول ما ينبغى عليه فعله قبل الإجابة عن السؤال. وبعد ذلك نادوا على الأمير، وأخبروه بأن عليه العودة فى الغد، وحمل ملك الرؤوس معه إلى المدينة التى تعيش بها الفتاة، وتركه عند أبواب المدينة. فرد الأمير:

ـ وليوفقنا الله فى الغد وتحل علينا بركته.

تدحرج ملك الرؤوس نحو حفرة أخرج منها بعض الثياب المتنوعة التى أعطاها للأمير، ثم أخذ حافظة مملوءة بالنقود وأعطاها له. وأضاف قائلا للأمير:

ـ لو احتجت لأى شىء فى أى وقت فعليك المجىء إلى هنا، وتلاوة الصلاة. وحينئذ فسوف تحصل على كل ما تريد. كما عليك ألا تخشانى بعد الآن. فقد صرنا إخوة منذ هذه اللحظة.

أحضروا حصيرة إلى الأمير الذى رقد للنوم عليها. واستيقظ فى الفجر، وحمل ملك الرؤوس منطلقا فى طريق العودة. وظل يسير به بعض النهار وطوال الليل، وهو فى حذر حتى لا يرى أحد ملك الرؤوس.

وعندما اقتربا من جارون جاباس، وضع الأمير ملك الرؤوس فوق الأرض وقال له:

ـ ها هى المدينة أيها الملك.

ودَع كل منهما الآخر، ومضى الأمير إلى بيته.

بزغ الفجر بعد افتراقهما. وتدحرج ملك الرؤوس نحو المدينة. ونظر فلمح خلفه عجوزا تسير مهرولة على الطريق، وتمضى مسرعة نحو المدينة. فلم تر الرأس حتى تدحرج أمامها وتعثرت به. توقفت العجوز تبحث عن الشيء الذى تعثرت به، فرأت رأسا هائلاً أمامها. وتملك الرعب منها، فحاولت المرور بجانبه، لكنها توقفت عندما سمعت الرأس يتحدث قائلاً:

ـ احملينى معك إلى بيتك.

عندما سمعت العجوز تلك الكلمات، عادت إلى الخلف مسرعة وهى تقول:

ـ هل أنا حمقاء إلى درجة أن أحمل معى هذا الرأس الضخم إلى بيتى؟.

ومضت تركض مسرعة إلى البيت، وهى لا تعلم أن الرأس تتدحرج مسرعة من خلفها.

وعندما وصلت العجوز إلى البيت قالت لحفيديها:

ـ لن تصدقا ما جرى اليوم لى! والحظ الطيب الذى أنقذنى. فقد كنت أسير عبر الحقل الكبير عندما قابلت رأسا بلا جسد، ثم سألنى أن أحمله معى إلى البيت.

وهنا سمعت صوت الرأس يتردد:

ـ ولماذا تظنين أن الحظ الطيب أنقذك؟ إننا لم نفترق عن بعضنا بعد. وعليك التزام الهدوء، فلن أصيبك بسوء. ولكن لو حاولتِ الهرب منى، أو لم تطيعى أوامرى، فسوف أجعلك تحصلين على ما تستحقين.

بعد تلك الكلمات طلب ملك الرؤوس إحضار حصيرة له، ووضعها بالقرب من النار، حيث إن الجو كان باردا في ذلك الوقت.

جلست العجوز مع حفيديها يتطلعون إلى ملك الرؤوس، ويسبونه فى قرارة أنفسهم. كانت العجوز تقوم عادة بخبز الفطائر والشطائر وبيعها فى السوق، ثم تشترى الطعام لحفيديها بالمال الذى تكسبه والآن منعها ملك الرؤوس من الخروج إلى السوق. وأصبح الجوع يعصف بهم جميعا؛ لأن البيت كان خاويا من الطعام. وعندما رأى ملك الرؤوس أن المساء قد أوشك على الحلول، ولم تُعد العجوز طعاما بعد قال لها:

ـ أيتها الأم، هل من المعتاد لديكم ألا تتناولوا شيئا من الطعام؟ فمنذ مجيئى إلى هنا لم أر أحدا منكم قد وضع شيئا يؤكل فى فمه.

ردت العجوز:

ـ وهل تظن أن لدينا مثل هذه الفرصة؟.

ـ ولماذا لا تملكون هذه الفرصة؟.

ـ لأننا لا نملك قرشا واحدا نشترى به الطعام. ففى العادة أقوم بخبز الفطائر، وأخرج بها إلى السوق لبيعها، ثم أشترى بما أكسبه طعاما لنا. وأنت اليوم لم تمنحنى الفرصة للخروج إلى السوق، وليس لدينا شيء يؤكل.

قال الرأس:

ـ إذا، فأنا المذنب فى أنكم تعانون الجوع اليوم؟.

ـ نعم، ولا أخفيك سرا إن قلت لك إنك السبب فى حقيقة الأمر.

ـ فى هذه الحالة عليكم أن تطمئنوا، فسوف أحمل عنكم عبء البحث عن الطعام. وليس عبثا ما قيل إن الثراء يأتى من الرجال. والآن استمعى جيدا لما سوف أقوله. عليك الاستيقاظ فى منتصف الليل، والذهاب إلى

المكان الذى تقابلنا فيه، ثم الصراخ بصوت عالٍ ثلاث مرات: "زايرخانو" وسوف تشاهدين جنيا يظهر لك. عليك ألا تخافى منه، بل أخبريه أن سيده الملك كوجو يأمره بفتح المخزن الصغير، والحصول منه على الحافظة الزرقاء، وإعطائها لكِ.

فعلت العجوز ما طلبه منها. فنهضت فى منتصف الليل، وذهبت إلى الجسر. وعندما وصلت إلى المكان هتفت بصوت عالٍ: "زايرخانو! زايرخانو!" وفى الحال ظهر لها جن فى صورة إنسان وقال:

ـ ماذا تريدين؟.

تملك الرعب من العجوز، وقالت له بصوت مرتعش ما أمرها به ملك الرؤوس. فركع الجن وقال:

ـ أطال الله من عمر سيدى! انتظرينى هنا حتى أذهب وأعود إليك.

شاهدت العجوز الأرض وهى تنشق ليختفى الجن أسفلها. وسرعان ما عاد ثانية حاملا كيس النقود الأزرق وأعطاه لها. فأخذته وحملته مسرعة إلى الرأس وهى راكعة أمامه.

قال ملك الرؤوس:

ـ لا داعى أن تركعى أمامى، فأنت أمى، وإنى أمنحك هذا الكيس بما يحتويه. لكن عندما تبدئين فى تناول الطعام فلا تنسينى. ولا تظنى أنى لا أستطيع الأكل.

أخذت العجوز المال، وأصبحت هى وحفيداها فى غاية السعادة. وما إن أشرق الفجر حتى خرجت العجوز واشترت ثيابا فاخرة لحفيدتها، وزينة لحفيدها، كما اشترت لنفسها أيضا بعض الحلى التى يضعها العجائز عادة. وأمرت بعض

الصناع كى يصنعوا سورا جديدا حول بيتها، وبإصلاح السقف ودهان الحوائط. وتخلصت من جميع الأقداح والأوانى القديمة التى كانت تعد فيها الطعام، واشترت بدلا منها كل ما هو جديد وثمين. لم يدرك الناس السر فى الأمر. وكانوا يقولون: "حقا إن خبز الفطائر قد جلب لهم السعادة".

من المعروف أن الشيء الذى يحصل عليه المرء بسهولة لا يهتم بالحفاظ عليه، فلم تنتبه العجوز هى وأحفادها أن المال قد نفذ، ولم يعد لديهم قرش واحد، بل اكتفوا بفغر أفواهم من الدهشة.

شاهد ملك الرؤوس أن حالهم قد عاد إلى سابقه، وأن العجوز لم تعد تتمتع بروح المرح التى كانت عليها من قبل. فسأل قائلا:

ــ أيتها الأم إنى أشعر أن المال لديكِ قد نفذ.

ــ نعم يا ولدى، لقد نفذ المال بالفعل. فهو فى النهاية مجرد مال لا يمكن أن يستمر للأبد.

ــ ولماذا لم تخبرينى بهذا الأمر؟ على أية حال عليك الذهاب اليوم فى منتصف الليل مرة أخرى إلى الجسر. ولكن فى هذه المرة عليك أن تنادى على الجن داندامو وليس زايرخانو، وأخبريه بكل ما أخبرتِ به زايرخانو من قبل. وسوف يمنحك فى هذه المرة كيس نقود أحمر وليس أزرق.

فعلت العجوز ما قاله ملك الرؤوس. فنهضت فى منتصف الليل، وذهبت إلى الجسر وصاحت:

ــ داندامو! داندامو! داندامو!.

ظهر الجن لها. فأخبرته العجوز بما أمر به الرأس. فاختفى الجن من أمامها، وسرعان ما عاد حاملا كيس النقود الأحمر. وأخذت العجوز الكيس وحملته إلى الرأس. فأمرها الرأس مرة أخرى أن تأخذ النقود لنفسها. وظنت العجوز قائلة في نفسها: "حقا، إن هذه النقود لن تنفذ. فسوف أذهب وأستأجر عاملا ليبنى حول بيتى حائطا جديدا من الطين".

فعلت العجوز ما فكرت به. وسرعان ما تم بناء السور الطينى الجديد، وكذلك طابق علوى آخر، وتزيين البيت بأكمله.

وذات مرة قال ملك الرؤوس للعجوز:

ــ أيتها الأم، أريد منك الذهاب اليوم إلى المدينة، وإخبار الملك بأنى أريد الزواج بابنته.

لطمت العجوز صدرها بيديها وتوسلت قائلة:

ــ أطال الله عمرك ولكن لا تقتلنى. فإن الملك سوف يقتلنى، ولن تحصل على شيء فى جميع الحالات. فما أنت سوى رأس بلا جسد. فكيف تقول إنك تريد الزواج من ابنة الملك وأنت بلا جسد؟!.

قال ملك الرؤوس:

ــ هل نسيتِ ما أخبرتكِ به منذ البداية؟ لقد قلت لك إن عليكِ إطاعة ما أطلبه كى لا أمسك بسوء. ومن الأفضل لكِ فعل ما أطلبه بالحسنى.

ارتدت العجوز ملابسها، وخرجت وهى تتمتم فى غضب:

ــ يا للورطة التى وقعت بها، فالفهد من أمامى والضبع من خلفى.

وصلت العجوز إلى القصر، وصارت تتوسل كى يقبل الملك الاستماع إليها. وأخيرا ذهبوا بها إلى الملك. فحكت له عن سبب مجيئها. ولكنها لم تقل شيئا عن هيئة ملك الرؤوس وشكله. فنظر الملك إليها فى صرامة، وقال حراسه لها:

ـ ألا تدركين أن ماما قد وضعت شرطا لمن يريد الزواج منها بأن يجيب عن سؤالها؟ لابد أنك قد فقدت عقلك كى تأتين إلى هنا وتطلبيها زوجة لابنك.

قالت العجوز للملك:

ـ فليحفظك الله أيها الملك. إن من يسعى للزواج من ابنتك يمكنه فعل كل شىء.

سأل رجال القصر العجوز:

ـ وكيف يمكنك أن تكونى واثقة إلى هذه الدرجة؟ فأنت لا تعرفين السؤال الذى طرحته ماما. وقد جاء العديد إلى هنا ولم ينجح منهم أحد. فليأت هو الآخر على أية حال كى نسمع الإجابة عن السؤال.

عادت العجوز إلى البيت، وأخبرت ملك الرؤوس بما جرى بينها وبين الملك. وأضافت قائلة:

ـ ألم أخبرك أن تلك الفتاة ليست لك؟ لقد جاء العديد إلى مدينتنا قبل وصولك، ولم ينجح منهم أحد فى الإجابة عن سؤال ماما. وكانت تقول فى كل مرة إن الإجابة خاطئة. حتى أن البعض قالوا إن وقت المطر ووقت الجفاف يوجدان دائما معا، ولا يأتى أحدهما من أى مكان. فعندما يسقط المطر فهذا هو زمن المطر، وعندما يتوقف المطر يحل زمن الجفاف، ولكن هذه الإجابة لم تكن صحيحة هى الأخرى. وبعد ذلك أمر الملك بمعاقبة كل من يقول إجابة خاطئة عن سؤال ابنته، وذلك بإلقائه فى السجن أو فرض غرامة عليه. فنحن الآن نعيش بصورة طيبة، ولدينا أكثر مما نحتاج. فلماذا تريد أن يحل الشقاء عليك وعلينا؟ لقد سمحوا لك بالذهاب إلى القصر وقول الإجابة. لكنه أمر مستحيل. ولن تفعل شيئا

سوى جلب العار لك ولى، فكما يقولون: من الأفضل عدم الرقص إذا كنت ترقص بصورة سيئة. إن الأميرة ابنة الملك لا تحتاج إلى النقود بل الحكمة، والحكمة هبة من الله.

أخذ ملك الرؤوس يقهقه ضاحكا وقال:

– لا تغضبى أيتها الأم، فلن أجلب العار لك إن شاء الله. وفى ظهر الغد عندما يكون القصر مكتظا بالناس، اذهبى إلى هناك وأخبريهم أن ابنك قد أرسلك. واطلبى منهم إحضار شهود. وعندما تأتى ماما اسأليها أمام الشهود عن قولها إنها تقبل الزواج من أى شخص يجيب عن سؤالها. اسأليها ثلاث مرات. وبعد أن تؤكد لك قولها، أخبريها بأن ابنك قد طلب نقل إجابته إليها. والإجابة هى "الأكاسيا". واستمعى لرد فعلها على ذلك.

نظرت العجوز بغضب إلى ملك الرؤوس وقالت:

– وماذا تكون هذه الأكاسيا؟ لا بد أنك فقدت عقلك. ولا بد أنك لا تعلم جيدا أخلاق حكامنا وملوكنا. إن ملوكنا ليسوا مثلكم من الجن والعفاريت.

رد ملك الرؤوس:

– أيتها الأم، لقد أخبرتك من قبل مرتين ألا تجادلينى، فلا تكرهينى أن أفعل ذلك للمرة الثالثة، ولا شأن لك بما سوف يحدث لى.

لم يبق للعجوز سوى النهوض والذهاب إلى القصر. وفعلت هناك كل ما أمرها به ملك الرؤوس. وعندما سمعت ماما الإجابة التى قالتها العجوز، قفزت إليها واحتضنتها، ثم نظرت إلى والدها وقالت:

– أيها الوالد، سوف أتزوج. فما زال هناك بعض الأذكياء على هذه الأرض!.

طلب الملك شرح الإجابة له. فقامت ماما بشرحها كما شـــرحها جــد ملـــك الرؤوس لحفيده.

اعترى الذهول الملك والحاشية. وأصابتهم الدهشة لقدرة الفتاة على التفكيـــر فى هذا السؤال الصعب، وقدرة ابن العجوز فى الوصول إلى الإجابة الـــصحيحة. وصاحوا جميعا:

ــ نريد رؤية ذلك الفتى الفطن. هل هو صغير؟.

ردت العجوز:

ــ جدا.

ــ حسنا، أخبريه بأنى أمنحه ابنتى زوجة له. وليحضر غدا هدية الـــزواج، فإذا استطاع القيام بذلك فسوف أزوجه على الفور.

قالت العجوز بفرح:

ــ إن هذا أمر هين بالنسبة إليه. وسوف يأتى بنقود لشراء كل ما تطلبه.

سأل الملك:

ــ هل بوسعه دفع خمسمائة جنيه مهرا لابنتى؟ لـــو كـــان بوســـعه فليأخـــذ زوجته، ولن أطلب منه أى شىء آخر.

ــ أوه، إن خمسمائة جنيها بالنسبة له كخمسة قروش. وغدا سوف يحـــضر المال إليك.

وعندما همت العجوز بالرحيل سألها الملك:

ــ ومتى يمكنه الحضور كى يمكننا إلقاء نظرة إليه؟.

هذا سؤال صعب. وينبغى على التشاور معه. فهو يشغل منصبا مهمًا يأخذ كل وقته، حتى أنه لا يسير على قدميه. وعندما يريد الذهاب إلى مكان ما أحمله بنفسى. وعندما تنتهى مراسم الزواج فسوف يأتى إليكم بالحتم.

قال الملك:

ــ حسنا، أنت امرأة طيبة جدًا. أبلغى تحياتى لابنك.

ودعت العجوز الملك وأسرعت إلى البيت. وحكت لملك الرؤوس عن كل ما جرى. فأصبح سعيدا للغاية بما سمعه منها. وفى منتصف الليل أمر العجوز بالخروج مرة أخرى إلى الجسر، والنداء ثلاث مرات على الجن داكداك. وبعد أن يظهر لها تطلب منه أن يحضر من المخزن ستة أكياس بيضاء مليئة بالنقود. ويحملها بنفسه إليه معها، ذلك لأنها لن تستطيع حملها بمفردها.

خرجت العجوز وفعلت كل ما أمرها به ملك الرؤوس. وسار الجن من خلفها حاملا فى يديه ستة الأكياس البيضاء المليئة بالنقود. وعندما وصلا إلى ملك الرؤوس، ركع الجن أمامه ملقيا إليه التحية، وأعطاه الأكياس، ورحل إلى سبيله.

وما إن أشرق الفجر حتى أعطى ملك الرؤوس للعجوز جميع النقود الموجودة بخمسة من الأكياس، وأمرها بحملها إلى الملك، والاحتفاظ بالكيس السادس لاستخدامه فى حال حدوث أى أمر طارئ. وانطلقت العجوز من فورها إلى القصر.

وعندما أيقن الملك أنها قد أحضرت له المبلغ المطلوب، نظر إلى ابنته ماما وقال لها:

ــ نعم أيتها الابنة، لقد ثرنا عليك هباءً عندما رفضت التعجل فى اختيار الزوج. وقد كان الناس محقين فى قولهم: "عندما تتعجل تضحك الناس

منك". وعلى الرغم من أننا لم نر زوجك بعد، غير أننا نرى أن الحظ قد حالفك بصورة كبيرة.

قال الوزير:

ـ حقا، كنا مخطئين عندما تعجلنا الأمر. ولم نضع فى حسباننا أنه من الأفضل الوصول فى الوقت المناسب من أن نصل مبكرين.

قال الملك:

ـ اصمت! إنها إرادة الله.

قال رئيس البلاط:

ـ نعم، لن يجد أحد فتاة على وجه الأرض بمثل هذا الكمال الذى تتمتع به ماما.

كانت ماما تحلق من السعادة بقرب زواجها من مثل ذلك الإنسان الرائع الحكيم. وقالت لأمها:

ـ ألم أقل لك إن علىَّ عدم التعجل فى الزواج. لقد كنت أدرك جيدا ما الذى أحتاج إليه. إن الأمراء الموجودين فى كافة الأرجاء لا يتمتعون بأية مواهب، بل فقط بالمظاهر الغبية الصماء.

بعد ذلك طلب الملك من العجوز معرفة اسم ابنها ووالده. لكنها لم تعرف بالطبع ما تجيب به، ولم يمكنها الاعتراف بجهلها باسم ابنها. فقالت إن ابنها يدعى نيكيرو، ووالده يدعى أدور روسى. اعترت الجميع الدهشة؛ لأنهم لم يسمعوا من قبل بمثل هذه الأسماء الغريبة. لكنهم ظنوا أنها أسماء عربية. ولم يعط الملك اهتماما بهذا الأمر، وأمر بالنداء على الناس لتقبل الهدايا وإتمام مراسم الزفاف.

قال الملك بعد ذلك للعجوز:

اذهبى وأخبرى العريس كى يأتى إلى هنا ونتعرف إليه.

ذهبت العجوز وأخبرت ملك الرؤوس بانتهاء الأمر، ورغبة الملك فى رؤيته. وأضافت قائلة:

ـ هذا هو كل ما فى الأمر، وسوف ينهار كل شيء لدى رؤيتهم لك.

قال ملك الرؤوس:

ـ لا تهتمين بالأمر، بل ضعينى فى القصعة واحملينى إلى هناك.

وضعت العجوز ملك الرؤوس فى القصعة، وذهبت به إلى الملك، وبدنها كله يرتعد من الخوف، ثم وضعت القصعة قائلة:

ـ ليوفقك الله أيها الملك، فها هو ابنى.

قفز الملك منتفضا ومعه كل الحاشية. وصاح فى دهشة:

ـ ما هذا الذى أراه؟! لن أعطى ابنتى أبدا لهذا الدودو. نادوا على ماما كى ترى بنفسها نتيجة نزقها.

وعندما دخلت الفتاة وشاهدت ملك الرؤوس، أعلنت قائلة إنها لن تتزوج منه أبدا. فقال ملك الرؤوس:

ـ لقد أردتِ الزواج بمن يجيب عن سؤالك. فما الذى تريدينه بعد أن أجبت عنه؟ كما أن مراسم الزفاف قد أقيمت بالفعل.

انتحى الناس بالملك جانبا وقالوا له:

ـ فليوفقك الله أيها الملك، فقد انتهت مراسم الزفاف ولا يمكنك الرفض، وإلا يحل علينا الموت جميعا. فإنه دودو، ولن يؤذى ماما بعد أن أعجبته.

وقع الملك وابنته فى حيرة من أمرهما. لكنهما اضطرا لإتمام مراسم الزفاف بين الدموع والحزن، ودون فرح أو بهجة. وعندما انتهى الأمر، أمــروا العجــوز بدعوة أقارب ملك الرؤوس كى يصطحبوا الفتاة معهم. وعندما أخبرت العجوز ملك الرؤوس بهذا الأمر، أمر أتباعه من الجان بإحضار خمسمائة رأس من الكهف إلى بيت العجوز. وتدحرجت الرؤوس مسرعة إلى بيت الملك، الحليقــة مــنهم وغيــر الحليقة، والنساء والرجال، والأطفال والعجائز، والبيض والسود، والحــسان منهــا والقبيحات، تدحرجوا من كل صنف ونوع، واحتلوا كل الأراضــى الواقعــة أمــام القصر.

لف الحزن الملك وأهل الفتاة وعصف بهم. وأجلــسوا الفتــاة فــوق جمــل يحملها. ومضت الرؤوس تتدحرج فى أثر الجمل وتقفز من خلفه وهى تغنى:

يا ملك الرؤوس الجبار،

من يمكنه التفوق عليك؟

يا ملك الرؤوس العظيم،

إن النجاح حليفك إلى الأبد!

حقا إن الفظ والجِلف مع الناس، لا بد أن يصبح خاسرا فى النهاية!.

٢٩. أبناء القرع



عاشت امرأة وحيدة بمفردها في إحدى القرى الواقعة عند سفح أحد الجبال الشاهقة. فقد مات زوجها ولم تنجب أطفالا أبدا. وكانت الشيخوخة الكئيبة في انتظارها.

ومرت الأيام، يومًا بعد الآخر وهي تنظف البيت، وتجلب الماء من النهر، وتجمع الحطب من الغابة، وتعد لنفسها الطعام. وكان لديها قطعة كبيرة من الأرض بجوار النهر زرعتها بالخضروات وأشجار الموز. وكانت المرأة تقضي أغلب أوقات فراغها في تنظيف الأرض من الأعشاب الضارة واقتلاعها، وكذلك في عزق التربة، وهي تحلم طوال الوقت بالأبناء والبنات الذين حُرمت منهم، وكان يمكنهم مساعدتها. أما بقية النساء في القرية فكثيرا ما كن يتعاملن معها بقسوة، ويسخرن منها عندما ينهكها التعب، وهن يقلن إنها لا بد وأن تكون امرأة سيئة؛ لأن الرب لم يرزقها بأطفال.

في تلك الأزمنة اعتقد الناس أن هناك روحا جبارة تسكن أعلى الجبل. وكانوا يتوجهون بصلواتهم إليها في الصباح الباكر، وفي وقت متأخر من المساء، وهم يتطلعون إلى قمة الجبل المكسوة بالثلج. وكانت المرأة تتلو صلاتها هي الأخرى كل يوم، وتطلب العون من الروح الجبارة لتخفف عنها همومها وعملها الشاق. وأخيرا استجابت الروح لصلاتها.

وقد جرى هذا الأمر على النحو التالى: ففى صباح أحد الأيام غرست المرأة بذور القرع فى حقلها المجاور للنهر. ومنذ البداية ظهرت النباتات الصغيرة فى هيئة قوية للغاية، ونمت بسرعة كبيرة. وكانت المرأة فى كل صباح تصاب بالدهشة وهى تنظر إلى نموها أثناء الليل، حتى أثمرت النباتات وصارت ثمارا ناضجة. وأخذت المرأة تروى كل نبتة بعناية فائقة وهى تفكر فى الموعد القريب لجنى ثمار القرع، ثم تجفيفها وتقطيعها إلى قطع لبيعها فى السوق، وذلك كى يستخدموها فى صورة أقداح وزلع كما هو متبع فى كل مكان.

وذات يوم كانت المرأة تعزق الأرض عندما شاهدت أحد الغرباء واقفا عند طرف أرضها. فاعترتها الدهشة لظهوره، حيث إنها لم تر ولم تسمع بأحد يسير على هذا الطريق الذى يؤدى إلى أرضها. كان الغريب طويلا وجميلا، وبدت هيئته مثل هيئة الزعماء. وابتسم للمرأة وقال:

– إنى رسول من الروح العظمى للجبل. وقد أرسلتنى كى أخبرك بأنها قد لبت نداء صلواتك. فعليك الاعتناء بثمار القرع هذه جيدا، وسوف تبعث إليك الروح بالنجاح.

واختفى الغريب مثلما ظهر بصورة مفاجئة.

ظلت المرأة مذهولة لبعض الوقت وهى لا تكاد تصدق ما جرى. لكنها منذ ذلك الحين أخذت تعمل فى الحقل بهمة وإخلاص، وهى لا تعرف الوسيلة التى سوف تمنحها لها ثمار القرع للنجاح الموعود.

وبعد مرور أسبوع أو أكثر قليلا نضجت ثمار القرع تماما. فقامت المرأة بقطعها فى حرص بالغ وحملتها إلى البيت. وأخرجت لب كل ثمرة، ثم وضعت الثمار فوق رف مرتفع بكوخها، كى تجف وتصبح صلبة وقوية. وعندئذ يمكن الحصول منها على الأوانى الجميلة التى يضع الناس فيها الماء ويشربون منها.

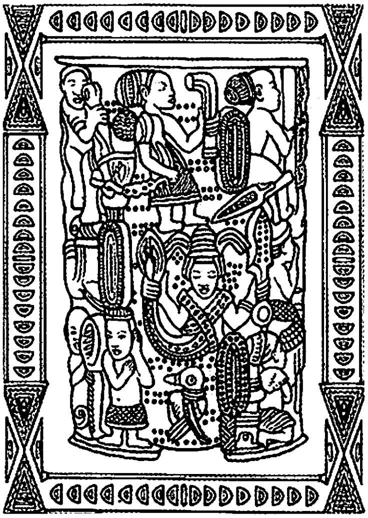
واختارت المرأة أفضل ثمرة من ثمار القرع، ووضعتها على أرض الكـــوخ بجوار النار، وذلك كى تجف بسرعة وتستطيع استخدامها بنفسها.

وفى الصباح الباكر من اليوم التالى، خرجت المرأة إلـــى الحقـــل لتـــروى الأرض حول أشجار الموز. وفى ذلك الوقت وصل رسول الروح العظمـــى إلـــى كوخها، ومس بيده ثمرة القرع الموجودة بجوار النار، فحولها إلـــى صـــبى، ثـــم تحسس بيده ثمار القرع الأخرى فوق الرف فتحولت إلى أطفال.

عندما اختفى الرسول، كان الكوخ قد أصبح مكتظا بالأطفال الـــذين تعـــالى صوتهم وهم ينادون:

ــ كيتيتى! كيتيتى أيها الشقيق الأكبر، هيا ساعدنا على النزول مـــن فـــوق الرف!

عندئذ وقف الصبى الراقد بجوار النار، وساعد بقية الأطفال فى النزول من فوق الرف.



أخذ الأطفال يركضون ويلهون ضاحكين بصخب فى الكوخ. فأمسك بعضهم بالمكانس ينظفون بها البيت، وحمل الآخرون البذور يطعمون بها الدجاج. وقام اثنان منهم بملء الزلع الكبيرة عند المدخل بالماء من النهر، بينما ركض بعض الأطفال إلى الغابة، ثم عادوا حاملين الحطب إلى الكوخ. كان كيتيتى هو الوحيد الذى لم يعمل. فلم تحوله الروح إلى طفل ذكى مثل بقية الأطفال. وبينما كان الأطفال يعملون بجد، اكتفى هو بالجلوس عند النار والابتسام ببله، والاستماع إلى حديثهم وضحكاتهم.

وعندما انتهوا من كل شىء صاح الأطفال:

ـ كيتيتى! هيا ساعدنا فى العودة إلى مكاننا!.

قام الشقيق الأكبر برفعهم واحدا بعد الآخر، ووضعهم فوق الرف، حيث عادوا مرة أخرى إلى هيئتهم السابقة، وأصبحوا من ثمار القرع، ومعهم كيتيتى الذى عاد هو الآخر إلى هيئته بمجرد جلوسه عند النار.

سارت المرأة ببطء عائدة نحو البيت، وقد انحنى ظهرها تحت وطأة الحمل الكبير الذى حملته من الأغصان كى تغطى به السقف. وما إن دلفت إلى الكوخ، حتى شاهدت أن كل ما ينبغى عليها فعله قد تم بالفعل. فصرخت من فرط الدهشة، وأخذت تتطلع إلى كل أرجاء الكوخ وفنائه، ولكنها لم تعثر على أحد به. حينئذ ذهبت إلى جيرانها وقالت:

ـ هناك أحد ما قام بكل العمل بدلا منى بينما كنت فى الحقل. فهل تعرفون من الذى كان عندى فى البيت؟.

أجابت القرويات:

ـ لقد شاهدنا اليوم العديد من الأطفال يركضون هنا وهناك فى فناء بيتك. واعتقدنا أنهم من أقربائك. ولكننا لم نتحدث معهم.

وقعت المرأة فى حيرة شديدة. وذهبت إلى البيت لإعداد طعام العشاء وهى فى ذهول لما جرى أثناء غيابها. وفجأة تذكرت كلمات الرسول الذى تحدث معها عند النهر، وأخبرها بأن الروح العظمى سوف تبعث إليها بالنجاح، لو أنها قامت برعاية ثمار القرع على نحو طيب. ففكرت المرأة فى نفسها "أيمكن أن يكون ذلك هو النجاح الذى أخبرنى به؟".

فى اليوم التالى تكرر نفس الأمر. فنادى الأطفال على كيتيتى الذى ساعدهم فى الهبوط من فوق الرف، ثم أخذوا فى العمل بهمة ونشاط، حتى أنهم أصلحوا السقف وغطوه بالأغصان التى حملتها المرأة فى الليلة السابقة.

سمع الجيران مرة أخرى أصوات الأطفال، فأخذوا يتلصصون نحو الفناء، وشاهدوا الأطفال وهم يعملون. وسرعان ما عاد الأطفال إلى الكوخ، وساد الهدوء المكان مرة أخرى.

وعندما عادت المرأة إلى البيت وشاهدت ما فعله أعوانها، خرجت من الكوخ متطلعة نحو الجبل، وأخذت تصلى إلى الروح العظمى وتشكرها على الخير الذى قدمته لها. ولكنها لم تكن تعرف بعد أن ثمار القرع تتحول إلى أطفال.

تملك الفضول من الجيران أكثر فأكثر. فما إن شاهدوا فى اليوم التالى المرأة وهى تغادر البيت إلى الحقل، حتى تسللوا إلى باب الكوخ، وأخذوا يتطلعون بأعينهم إلى الداخل.

وفجأة تحولت ثمرة القرع الراقدة بالقرب من النار إلى صبى، وترددت أصوات تنادى عليه من فوق الرف:

ـ كيتيتى! كيتيتى أيها الشقيق الأكبر، هيا ساعدنا على النزول من فوق الرف!.

أصاب الذهول النساء وهن يشاهدن الأطفال يهبطون من فوق الرف. وبالكاد استطعن مغادرة الفناء بسرعة قبل أن يخرج الأطفال من الكوخ وهم يضحكون كى يبدؤوا عملهم اليومى.

عادت المرأة فى المساء، فحكت لها النساء عن كل ما شاهدن. فقررت المرأة أن تشاهد كل شيء وتتأكد بنفسها من الأمر.

فى اليوم التالى تظاهرت المرأة بالخروج إلى الحقل، ثم عادت بسرعة وتسللت إلى باب الكوخ ملتصقة به فى حذر. وحدث ذلك فى الوقت الذى انطلق فيه الأطفال من الكوخ وهم فى صخب وضحك، ثم تجمدوا فجأة لدى رؤيتهم المرأة. وصاحت المرأة بسعادة:

ـ إذا، أنتم الذين تساعدوننى؟ فشكرا لكم جميعا.

وقفوا جميعا دون أن يجيبوا بشيء. ولكنهم سرعان ما بدؤوا فى العمل كالعادة. وظل كيتيتى فقط جالسا بلا عمل. وعندما انتهى الأطفال من عملهم طلبوا من كيتيتى مساعدتهم فى العودة إلى الرف من جديد. لكن المرأة لم تسمح لهم بالصعود إلى هناك، بل هتفت قائلة:

ـ لا، لا، فأنتم الآن قد صرتم أبنائى، ولا أريدكم أن تتحولوا إلى ثمار القرع مرة أخرى، فسوف أعد لكم طعام العشاء، ثم ترقدون للنوم على الأرض بجوار النار، كما يفعل أطفال النساء الأخريات.

وصارت المرأة تعتنى بالأطفال باعتبارهم أطفالها. وكان الأطفال يعملون كثيرا فى الحقل وفى البيت، حتى أصابت المرأة قدرا من الثراء فى وقت وجيز. وأصبح لديها الكثير من الخضروات والموز وقطيعًا من الأغنام والماعز.

كان كيتيتى هو الوحيد الذى لا يعمل. فقد كان طفلا بليدا، وقضى أيامه جالسا بجوار النار. وكان يحتفظ بها مشتعلة، ويظل يغذيها دائما بالحطب الذى يأتى به أشقاؤه وشقيقاته من الغابة.

مرت الأيام وكبر الأطفال، وكانت المرأة فى كل يوم تشكر الروح العظمى على منحتها العظيمة. وفى نفس الوقت الذى كانت فيه تنعم بالثراء أكثر فأكثر، كانت تتشاجر أكثر فأكثر مع كيتيتى البليد، وكثيرا ما كانت تعاقبه لكسله المتواصل.

وفى ظهيرة أحد الأيام، وعندما كان الأطفال مشغولين بعملهم، دخلت المرأة إلى الكوخ لإعداد طعام العشاء. وعندما دخلت من الجو المشمس المنير إلى الكوخ المظلم، لم تلحظ كيتيتى الراقد بجوار النار. فتعثرت به، واصطدمت بالوعاء المليء بالثمار المجففة. فتحطم الإناء وتناثر الطعام على الأرض.

انتفضت المرأة غاضبة وصرخت فى ثورة عارمة:

ـ يا لك من مخلوق عديم الفائدة! كم مرة أخبرتك بعدم الجلوس عند الباب! ولكن ما الذى ينتظره المرء منك؟ فأنت فى نهاية الأمر لست سوى ثمرة قرع معطوبة!.

وهنا سمعت المرأة صوت بقية الأطفال وهم عائدون من الحقل فصرخت بصوت أعلى:

ـ وهم كذلك أيضا مجرد ثمار من القرع. ولكم أن تتصوروا السبب الذى يدفعنى لإعداد الطعام لهم!.

تردد صوت صراخها عاليا فى الأرجاء حتى وصل إلى سفح الجبل. وعندما نظرت المرأة لأسفل شاهدت كيتيتى وقد تحول ثانية إلى ثمرة قرع، وما إن دخل الأطفال إلى الكوخ، حتى سقطوا بدورهم وتحولوا إلى ثمار القرع.

أدركت المرأة السبب فى حدوث هذا الأمر، فصارت تتوسل وتلطم صدرها قائلة:

ـ يا لى من حمقاء بائسة. لقد أطلقت على أطفالى اسم ثمار القرع فدمرت كل شىء. لقد أغضبت الروح العظمى، ولم يصبح لدى أطفال بعد!.

كان هذا ما جرى. ولم يظهر الأطفال بعد ذلك أبدا. وعاشت المرأة وحيدة فى كوخها. وأصبح الفقر يعتصرها أكثر فأكثر. وماتت وهى فى حالة شديدة من الفقر والعوز.

٣٠. حكاية ساليا نخولى



عندما عاش نزامبى[١] تزوج فى حياته عدة مرات. وأنجبت زوجاته عـددا من الأولاد الذين أسموهم: نيكيون[٢]، وإيندى، ونزى، ولـولى، ومـور بـارا[٣]، ونتومى نتومى.

وفى وقت لاحق ظهرت لدى نزامبى ابنة أطلقوا عليها اسم جوامبو. وبعـد أن حملت الفتاة أطلق السحرة سحرهم، فجعلوها تضع بيضة بدلا مـن المولـود. وأخفت الفتاة البيضة ولم تجعل أحدا يشاهدها.

وفى أحد الأيام ظهرت أمام جوامبو امرأة ميتة تدعى نجالى نكالى.

جلست المرأة بينما أخذت جوامبو فى إخفاء البيضة. وأخيرا خرجت جوامبو إلى الحقل، وظلت المرأة الميتة بمفردها فى المطبخ.

أخذت المرأة سلة صغيرة، وأخرجت منها نـسى[٤] وفتحتهـا. وأحـضرت البيضة وصارت تدعكها بورقة شجر سحرية من أوراق نسى. فتـشققت البيـضة

---

(١) نزامبى- طبقا لمعتقدات شعب نوين ولوندا - هو خالق كل الأحياء والجماد فى الطبيعة. وكان نزامبى يعيش فـى البداية تحت الأرض، ثم خاف أن يقتله كامونو - الإنسان الأول - فصعد إلى السماء يعيش بها، ولم يهبط إلـى الأرض إلا فى صورة قوس قزح. وفى أساطير تاكونفو يرد ذكره باعتباره خالقا للحيوان والشجر، وأول البـشر الذين منحهم الكلاب وغيرها من الحيوانات الأخرى. وطبقا لتعاليمه فقد تفرق الناس فى شتى الأرجـاء بعـد أن ظلوا قبل ذلك فى أماكنهم التى خلقها بها. (المترجم).

(٢) نيكيون- الصرصور.

(٣) مور بارا- ابن نزامبى.

(٤) نسى (Nsie) - علبة من الجلد يحفظ بداخلها أوراق الشجر والجذور وغيرها من المواد التى تستخدم فـى عمـل العقاقير التى تتمتع بقدرات سحرية.

وتكسرت قشرتها، وخرج منها إنسان يدعى ساليا نخولى[١]. وتزوجت منه نجالى نكالى.

ذهب ساليا نخومى إلى البيت الذى تجتمع فيه العائلة، حيث كان هناك والداه. لكنهما لم يتعرفا إليه وسألاه:

ــ من أنت؟.

رد قائلا:

ــ أنا ساليا نخولى نزامبى.

فرح والداه فرحا كبيرا.

وكان ساليا وزوجته سعيدين فى حياتهما الزوجية. وكان ساليا طبالا بارعا. فكان يضرب الطبل بمهارة أثارت إعجاب النساء به.



(١) ساليا نخولى – تعنى الجسد الذى تم إنقاذه.

خرج ساليا إلى حلبة الرقص تاركا زوجته بالبيت. فغضبت الزوجة وقالت:

ـ لقد أنقذته وحولته إلى إنسان. فلماذا يتركني وحيدة ويخرج مع النساء الأخريات؟.

وقامت الزوجة بجمع أجزاء قشرة البيضة التي خرج منها ساليا نخولي. وذهبت خلف زوجها إلى حلبة الرقص، التي كان يضرب فيها على الطبل ويرقص مع النساء. وأخذت تغني هناك:

ساليا نخولي كان بيضة،

فانظروا إليه الآن انظروا.

لقد جئت أشاهده هو البيضة،

فانظروا إليه الآن انظروا،

جئت كي أشاهده.

وقامت نجالي نكالي بفرك أجزاء قشرة البيض بجسم ساليا نخولي. فتحول على الفور إلى بيضة مرة أخرى مثلما كان يوم مولده.

وحملت نجالي نكالي البيضة إلى جوامبو قائلة لها:

ـ هذه بيضتك.

وأعادته إلى مكانه السابق. وأخذت جوامبو تبكي بمرارة وحزن.

٣١. حكاية البيضة

كان الرجال فى ساحة الحرب. وذات يوم أثناء توقف القتال، خرج رجل يتجول بجوار النهر. فعثر على بيضة أثناء سيره، فحملها ووضعها فى حقيبته، ثم ذهب إلى البيت وأخفاها فى حفرة بحظيرة الدجاج. كبرت البيضة حتى ضاقت بها الحفرة. فوضعها الرجل فى سلة للحبوب. وسرعان ما صارت السلة صغيرة بالنسبة للبيضة. فاضطر الرجل إلى وضعها فى العنبر. وظلت البيضة تكبر حتى أصبحت هائلة الحجم، فأخذها الرجل ووضعها فى البيت.

وفى يوم من الأيام الرائعة تشقق قشر البيضة، وخرجت منها فتاة بيضاء بارعة الجمال. حملها الرجل على يديه وذهب بها إلى زوجته الأولى قائلا:

ـ انظرى إلى بياضها الشاهق! إنها سوف تصبح زوجتى الثانية!.

وعندما كان الرجل ينظر إلى الفتاة كانت تنتابه حالة من السعادة ويضحك غير مصدق:

ـ لقد أتت إلى هذه الفتاة ببساطة لا تصدق(١).

لم يدرك الرجل أنه لم يحصل على شىء بلا مقابل.

قالت الفتاة ذات يوم لزوجها:

---

(١) تدور الحكاية حول موضوع "الزوجة المدهشة" والفتاة التى أتت بشرط ألا تعمل.

ـ لقد أخبرنى والدى ألا أحمل فى يدى حجـــرين[١]. ولا يمكننـــى أن آخــذ سوى حجر واحد.

رد زوجها قائلا:

ـ إنه ليس بالأمر المهم! ولا داعى أن تحملى حجرين.

لم تفعل الفتاة شيئا، ولكنها فى جميع الأحوال رفضت أن تحمـــل الحجـــرين بيديها. فكرهتها الزوجة الأولى كرها شـــديدا، وأرادت أن ترغمهـــا علـــى حمـــل الحجرين:

ـ هيا احمليهما واعملى أيتها الكسولة.

ـ محظور علىَّ حمل حجرين!.

نزعت الفتاة حقيبتها الصغيرة من حول رقبتها، وذهبت إلى المكـــان الـــذى عثروا فيه عليها. وشاهدها الرجل وهى تبتعد وتسير فى السهل. فركض خلفها كى يحملها على العودة. وأخذ يهتف ويصيح:

ـ عودى!

لكن الفتاة أخذت تغنى بكلمات غير مفهومة:

لقد قال لى والدى،

ألا أحمل فى يدى حجرين.

وإننى راحلة.

فوالدى يعيش فى قلب النهر.

---

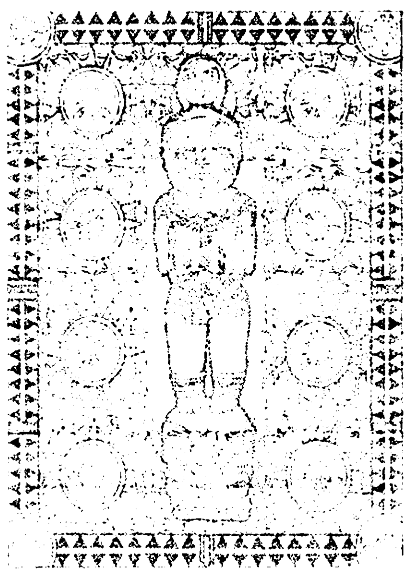
(١) المقصود هنا هو حجر الرحى الذى يطحن الحبوب. وكانت نساء الأكامبا يحملن كل يوم فى أيديهن حجرين.

يا قوسى الصغير، ويا عصاى التى أحفر بها،

لماذا لا أعرف، لا أعرف،

سوف تبقى زلعة الماء سليمة بالقرب من الباب،

لماذا– لا أعلم، لماذا– لا أعلم!.



ظـــل الرجل يهتف بالعديد من العبارات المحببة و الكثير من نداءات الغزل، ثم هتف:

ـــ لن يجبرك أحد على حمل حجرين، وسوف أعاقب من يحاول إجبـــارك على ذلك!.

عادت الفتاة. وفى يوم آخر أرادت زوجة الرجل الأولـــى إكراههـــا علـــى العمل، و أشارت إليها فى صمت، نحو المطحنة. و عندما خرج الرجل يحتسى الجعة،

حملت الفتاة حقيبتها وعصاها التى تحفر بها، وانطلقت إلى المكان الذى جاءت منه. وعندما رآها الزوج ركض خلفها وأخذ يناديها. ولكنها رفضت العودة.

وعندما اقتربت من النهر، وبالقرب من المكان الذى عثر فيه الزوج على البيضة، ألقت بنفسها فى قلب الماء واختفت فيه. عاد الزوج وصار يسب زوجته كما ينبغى.

٣٢. لماذا لا تقول النساء الحقيقة أبدا؟

ذات مرة شاهد الصياد الظبية أجبانيلى فى الغابة. فصار يسير من خلفهـــا. ورأها وهى تتحول إلى فتاة مليحة. وخلعت الفتاة فراء الظبية وخبأته فى حفـــرة. وبعد أن تحولت إلى فتاة، حملت سلة الباميا وتوجهت إلى السوق لبيعها. فقد كانت الفتاة تبيع الباميا دائما فى الأوقات السابقة.

وعندما غادرت الفتاة السوق، أخذ الصياد فراء الظبية دون أن تدرى الفتـــاة التى واصلت طريقها.

فى الليل وقبل عودتها جاء الصياد ثانية إلى نفس المكان. وعنـــدما عـــادت الفتاة من السوق، ذهبت إلى الحفرة التى خبَّأت فيها فراءها فلم تجد له أثرا. وأخذت الفتاة تبحث فى كل مكان. حينئذ اقترب الصياد منها قائلا:

ـــ ما الذى تبحثين عنه أيتها الفتاة؟.

ردت الظبية أجبانيلى:

ـــ سوف أخبرك لو قطعت لى وعدا ألا تخبر أحدا عن أمرى.

وعدها الصياد قائلا:

ـــ لن أخبر أحدا أبدا بأمرك.

عندئذ قالت أجبانيلى:

ـ لقد فقدت فرائى.

قال الصياد:

ـ لو أنى أحضرت لك فراءك، فماذا تعطيننى فى المقابل؟.

ردت أجبانيلى:

ـ لو أنك احتفظت بسرى ولم تخبر أحدا به فسوف أصبح زوجة لك.

قطع الصياد لها وعدا بذلك وقال:

ـ حسنا.

كان الصياد يحتفظ بالفراء فى بيته. فاصطحب معه أجبانيلى إلى هناك باعتبارها زوجة له.

وعندما وصل إلى البيت، ذهب الصياد إلى زوجته الأولى وقال لها:

ـ فلتكونى حذرة فى تعاملك مع زوجتى الجديدة، فهى فى حقيقة الأمر ليست فتاة بل ظبية، ولا ينبغى عليكِ الشجار معها.

بعد مرور أربعة أيام، وعندما كان الصياد غائبا عن البيت، بدأت الزوجتان فى الشجار.

قالت الزوجة الأولى:

ـ كيف تجرؤين على الصراخ فى وجهى وأنت مجرد ظبية؟.

بدأت الفتاة فى البكاء، وفكرت فى نفسها: "لقد وعدنى الصياد أن يتكتم سرى ولا يحكى عنه لأحد، ولكنه أفشى السر".

وعندما عاد الصياد إلى البيت قالت الفتاة له:

ــ ألم أطلب منك ألا تخبر أحدا بشيء من أمري؟.

سأل الصياد:

ــ وما الذي سمعتِه؟.

قالت له:

ــ عندما تشاجرت اليوم مع زوجتك قالت لي إنني مجرد ظبية.

وأخذت الفتاة في الغناء بحزن:

آه يا قرائي العزيز يا قرائي العزيز،

ماذا أفعل بدونك الآن؟.

بعد أن سرقك مني الصياد.



قال لها الصياد:

ــ اصمتي.

فى اليوم التالى خرج الصياد إلى الغابة مرة أخرى. وبعد مرور خمسة أيام بدأت الزوجتان فى الشجار من جديد.

قالت زوجة الصياد الكبرى:

ـ أليس من الأفضل لك أن تبحثى عن فرائك؟ إنه مخبأ خلف المنزل، وأنا لا أريد أن تقاسم منزلى الخاص ظبية مثلك.

أخذت الفتاة فى البحث عن فرائها، ولكنها لم تعثر عليه. عندئذ ذهبت إلى الزوجة الأخرى وقالت لها:

ـ لن تشاهدى بعد الآن أبدا ظبية تتحول إلى فتاة وتصبح زوجة لزوجك. وسوف تظلين هنا وحيدة.

وعندما عاد الصياد إلى البيت حكت الفتاة له عما جرى. فطلب منها مرة أخرى ألا تغضب. وفى اليوم الثالث خرج الصياد إلى الغابة، وقضى هناك عشرة أيام. أما المرأتان فأخذتا فى الشجار للمرة الثالثة. وعندما احتدم الشجار خرجت الزوجة الأولى وعثرت على الفراء، وألقته فى وجه الزوجة الظبية.

ـ ها هو فراؤك! فخذيه وارحلى عن بيتى! فأنت لا تصلحين زوجة أبدا!

أخذت الفتاة فراءها ووضعته فوق جسمها، فتحولت إلى ظبية مرة أخرى، وركضت كالسهم هاربة من المكان. وفى الطريق قابلت زوجها الذى ما إن شاهدها حتى أشهر سلاحه وصوبه نحو الظبية. ولم يكن الصياد يعلم أنها زوجته. فوقفت الظبية على قائمتيها الخلفيتين كعلامة له حتى لا يطلق النار عليها، ثم أشارت إليه أن يقترب منها.

رفض الصياد، فأخذت تشير له بالحركات والإيماءات المختلفة كى يقترب منها. لكنه رفض مرة أخرى.

ـ لم يحدث مثل هذا الأمر معى أبدا، ولم يطلب منى حيوان الـذهاب إليـه أبدا!.

قالت الظبية:

ـ أتوسل إليك ألا تطلق النار قبل أن تقترب منى.

اقترب الصياد من الظبية، فقالت له:

ـ إنها أنا التى تحولت من أجلك إلى فتاة صغيرة. والآن قد عدت إلى هنـا، ولكن الذنب ليس ذنبى. فأنت الذى أخبرت زوجتك عن حقيقتى، وهـى التى أحضرت لى الفراء.

قال الصياد:

ـ أتوسل إليك أن تصبحى زوجتى من جديد ونذهب إلى البيت معا. وسوف نناقش كل تلك الأمور فى البيت، وكى أعرف المذنب منكن.

قالت الظبية:

ـ لا أريد الذهاب معك إلى البيت مرة أخرى، فلو أنى ذهبـت معـك الآن، فسوف تقول لى زوجتك عن السر الذى حذرتك من إفـشائه. فأنـت لا تستطيع الحفاظ على الأسرار.

وهناك حيث وقف الرجل يتحدث مع الظبية، جلس الطائران أدجا وآيو فوق إحدى الأشجار، وهما لا يدركان أن الصياد يقف مع الظبية فى الأسـفل. وتحـدث الطائران فيما بينهما قائلين:

من الصعب فهم البشر،

الذين يأكلون بمساعدة أصابعهم الخمسة،

من الصعب فهم سلوك البشر.

قال طائر الأدجا لطائر الآيو:

ــ إن البشر حمقى للغاية. فلو أنهم أخذوا فضلاتنا وخلطوها بــأوراق تلــك الشجرة، ثم وضعوا الخليط فوق رأس الحيوان، يتحول هذا الحيوان إلى امرأة على الفور.

كرر طائر الآيو ما قاله طائر الأدجا، ثم طار الطائران محلقان بعيدا.

سمع الصياد ما قاله الطائران. ففعل كل ما تحدثا عنه، واقترب من الظبيــة. ووضع الخليط فوق رأسها. فسقط الفراء الذى يغطى جسمها، وتحولت إلى امــرأة شابة. وعاد الاثنان إلى البيت. وعندما رأتهما الزوجة الأولى قالت:

ــ لقد أحضرت الظبية مرة أخرى.

منع الصياد زوجته من الشجار مع الزوجة الجديدة. ولهذا، يقال إن النساء لا تقول الحقيقة أبدا. ولا ينبغى كتمان أى سر للنساء.

٣٣. مانديجا

كان ياما كان رجل يعيش مع زوجته. وكان لديهما ابنة حسناء. ولم يكن الأب والأم يسمحان لها بالقيام بأى عمل. فكانت الفتاة تجلس أياما بأكملها وهى تلدم اللآلئ التى توضع فى شريط حول الفخذ. وكان العديد من الفتيان يتقدمون لخطبة الفتاة. لكن الوالد كان يقول لهم جميعا:

ــ إن ابنتى لا تستطيع الزواج؛ لأنها لا تستطيع القيام بأى عمل.

كان هناك فتى يدعى إيرفاتيبيدزا تقدم هو الآخر لخطبة الفتاة مانديجا. وبعد أن تحاور الأب والأم والابنة معا وافقوا على زواجها. ولكن والديها حظرا عليها القيام بأى عمل كان، وإلا ستغطس فى باطن الأرض. فقد كانت الفتاة من بين اللاتى يغطسن فى الأرض إذا قمن بأى عمل.

لم تعجب أم الفتى بتلك العروس التى لا يمكنها القيام بشىء أو فعل شىء. لذلك، طلبت من ابنها ألا يتزوج مانديجا. لكن الابن رفض طلب الأم. وعندما حل يوم الزفاف الموعود، ذهبت الفتاة مع الفتى إلى قريته. وفى الطريق إلى هناك أخذت الفتاة تغنى مرددة:

تعالى إلينا يا مانديجا،

تعالى إلينا يا مانديجا،

انظر إلى،

تعالى إلى يا مانديجا،

التفت نحوى أيها الفتى،

لنلهو ونضحك معا.

لكن الفتى لم يلتفت إليها، حيث إنهم قد أخبروه بأن الفتاة سوف تعـود إلـى بيتها لو أنه نظر إليها أثناء الطريق.

وهكذا، ظلوا يسيرون حتى اقتربوا من القرية. وأخبروا الفتاة أن القرية قـد أصبحت قريبة. عندئذ جلست الفتاة على الأرض، بينما مضى إيرفاتيبيدزا مواصلا طريقه دون أن يلحظ أن الفتاة لا تتبعه. وعندما وصل إلى البيت سأله الناس:

ــ وأين هى زوجتك؟.

رد عليهم:

ــ إنها هنا معى.

لكنه التفت فلم ير لها أثرا. فعاد الفتى إلى الطريق حيث شاهدها جالسة على الأرض. كما أتى الناس من القرية إلى هناك، لكن الفتاة استمرت فـى جلوسـها. وعندما قاموا بمنحها الهدايا الثمينة نهضت الفتاة وذهبت إلى قرية الفتى.

قضت مانديجا وقتها كله فى كوخ الفتى، ولم تقم بشىء من أمـور البيـت. وكانت حماتها ناقمة على هذا الأمر. وذات يوم خرج زوج مانديجا مـسافرا إلـى مكان بعيد. عندئذ قالت أمه للفتاة:

ــ أيتها الزوجة، غربلى تلك الحبوب كى أقوم بطحنها.

قبلت الفتاة بعد أن ضجرت من كثرة اللوم الذى توجهه إليها حماتها. فحملت المدق والجرن وأخذت فى طحن الحبوب كى تساعد حماتها. وأخـذت الفتـاة فـى ترديد أغنيتها وهى تطحن الحبوب:

فى بيتنا لم نكن نطحن الحبوب،

فى بيتنا لم نكن نطحن الحبوب، هى هى.

بل كنا فقط نلدم اللآلئ.

ونضع شرائط اللآلئ فوق الفخذ.

لم نكن فى بيتنا نطحن الحبوب، هى هى.



أخذت الفتاة فى الغناء وهى تغوص تدريجيا فى الأرض. وظلت الفتاة تغوص مع المدق حتى لم يعد ظاهرا على السطح سوى طرف المدق.

عندئذ أسرعوا إلى قريتها وأخبروا والديها عما جرى لها. لكن والدها وأمها رفضا الذهاب إلى هناك، وذهبت معهم شقيقتها الصغرى. وجذبت الشقيقة طرف المدق الذى ظل على سطح الأرض، فأمسكت به ورددت نفس الأغنية التى غنتها شقيقتها الكبرى. وأثناء غنائها برز المدق من تحت الأرض، ثم تبعه الجرن، وبعد ذلك خرجت الفتاة بنفسها.

وعندما عاد الزوج إلى البيت أخبروه بما جرى مع زوجته. فخاف الزوج خوفا شديدا، وأرسل مبعوثا محملا بالهدايا إلى أهل زوجته. لكن والديها طلبا حضور الابنة وزوجها إليهم. وعندما ذهبا إلى هناك سأل الوالد الفتى:

ــ ألم أخبرك أن مانديجا لا ينبغى عليها القيام بأى عمل؟.

وقاموا بإرسال الفتى إلى بيته. وظلت مانديجا لدى والديها.



٣٤. طفلة الشمع

كان ياما كان رجل يعيش وحيدا بمفرده. ولم يكن لديه زوجة، فقام بنحت تمثال لفتاة من الشمع. وبعث الحياة فى التمثال.

وعندئذ قال الرجل:

ـ والآن أصبح لدى ابنة يمكنها إعداد الطعام لى.

بعد مرور بعض الوقت كبرت الفتاة وتزوجت من أحد الفتيان. وعند زواجها قال الوالد للفتى:

ـ سوف تتزوج من ابنتى، وعليك أن تضع فى اعتبارك عدم خروجها للعمل تحت أشعة الشمس. ويمكنها الخروج إلى عين الماء فقط أثناء هطول المطر.

وذات يوم فى الصباح قالت أم الفتى للفتاة:

ـ لن يحدث شىء لو أنكِ ذهبتِ مرة إلى عين الماء.

خرجت الفتاة إلى العين، وفى طريق العودة كان الجو حارا والهواء الساخن يلفح جسدها تحت أشعة الشمس. عندئذ أخذت الفتاة فى الغناء:

يا للشمس المتوهجة،

هو نداندى! هو نداندى! هو نداندى!

إنى أذوب،

هو نداندى! هو نداندى! هو نداندى!

إنى أتلاشى يا أمى،

هو نداندى! هو نداندى! هو نداندى!

كل شيء يحدث تماما كما أقول،

هو نداندى! هو نداندى! هو نداندى!

غنت الفتاة وذابت تحت أشعة الشمس. ولم يبق منها شىء سوى قطعة من الشمع وزلعة الماء الواقفة بمفردها على الأرض.

وعندما ذهب سكان القرية إلى العين لم يجدوا هناك سوى الزلعة وقطعة من الشمع فوق الأرض. فذهبوا إلى والد الفتاة وحكوا له كل شىء. ورد الوالد قائلا:

ـ ألم أقل لكم إنها لا تستطيع العمل تحت أشعة الشمس المتوهجة؟ لهذا، عليكم أن تدفعوا لى فدية عنها.

دفعوا له الفدية.

وهكذا، انتهت حكايتنا.

٣٥. ابن الأحياء والأم الميتة

ذهب ابن الأحياء إلى قرية الموتى، وذلك كى يتزوج من ملونج نكالى الفتاة المقيمة فى تلك القرية. وعندما وصل إلى هناك ذهب إلى بيت الاجتماعات وجلس على الفراش. قام الموتى بالترحيب به وقالوا:

ـ أتشى، أتشى، إننا نرحب بك. ولكننا لا نعرف من أنت[١].

رد عليهم:

ـ أنا ابن الأحياء. وقد جئت للعثور على زوجة لى. لقد جئت إليكم أنا الغريب من أجل ملونج نكالى.

أخذوا ينادون:

ـ ملونج نكالى! تعالى إلى هنا للتعرف على الغريب الذى ينتظرك هنا.

حضرت الفتاة وأخذت فى تنظيف البيت بالماء وقالت:

ـ نحن الأموات لا نأكل هنا الفطر الذى يسمى بالعظام[٢]. فهذا أمر ممنوع.

---

(١) أتشى- صيحة الترحيب للضيوف.

(٢) نشير إلى أن هذا المنع بسبب أن "الفطر" يتمتع باسم وربما بشكل "العظام"، وأن هذا الأمر قد جرى فى قرية الموت.

وخرجت ملونج نكالى لصيد السمك. فقتلت مينلومبى[١]، وغلفتها بأوراق شجر الموز، وحملتها إلى بيت والديها. وبعد ذلك خرجت إلى الصيد وقتلت بعض الحيوانات، وحملتها إلى البيت. وفى الصباح خرجت إلى العمل فى الحقل.

ظل الرجل بمفرده. وأخذ الفطر الذى يسمونه "العظام"، وألقى به فى قدر من الحديد مملوء بالماء، ووضع القدر فوق النار. بعد ذلك أخذ يشرب ويشرب المغلى فى القدر، حتى وضع رأسه فى القدر.

عندئذ صاح قائلا:

ـ اخرج أيها القدر.

عادت زوجته من الحقل. وعندما قابلت زوجها شاهدت رأسه والقدر فوقها. فصرخت وبدأت فى الغناء:

أنا ميلونج نكالى: أموت من الجوع.

وأخذ من حولها يغنون بدورهم:

أنا ميلونج نكالى: أموت من الجوع.

غنت الفتاة:

لقد ذهبت لصيد السمك، وبالأمس اصطدت سمكة.

ردد الجميع:

---

(١) مينلومبى- نوع من الأسماك الميتة عديم الحراشيف.

أموت من الجوع، أموت من الجوع، أنا ملونج نكالى.

وقالت:

لقد وضعت مينلومبي فى أوراق الموز، وأرسلتها إليك فى البيت.

رد الجميع:

إنى أموت من الجوع، أموت من الجوع، أنا ميلونج نكالى

ردت تغنى:

لقد شربت مغلى الفطر، شربت مغلى الفطر.

رد الآخرون:

إنى أموت من الجوع، أموت من الجوع، أنا ميلونج نكالى.

وصاحت:

لماذا لا يتمتع الأحياء بالصبر؟.

رد الجميع:

إنى أموت من الجوع، أموت من الجوع، أنا ميلونج نكالى.

بعد ذلك قالت المرأة:

ـ ألم أخبرك ألا تأكل الفطر الــذى يــسمى "بالعظـــام"؟ وأن هــذا الأمـــر محظور؟. لقد انفض الزفاف قبل أن ينتهى، فعد إلى قريتك.

وعاد ابن الأحياء إلى قريته.

وانتهت الحكاية.



٣٦. فارا الهزيلة وكوتو ذو البطن الكبيرة

يحكى أنه عاش زوج وزوجة. وكان لديهم الكثير من الأطفال. كان لأصغر الأبناء بطن كبيرة، ولهذا السبب أطلقوا عليه اسم إيكلوتو بكيبو-كوتـــو. وكانـــت أصغر الأبناء تتمتع بساقين نحيلتين مثل أغصان الشجر الجافة. وأطلقوا عليها اسم إيفارا مالينى- فارا. وبسبب هيئتهما المشوهة لم يحبهما الوالدان، وكثيرا ما كانـــا يضربان فارا قائلين لها:

ــ إن هذه الفتاة لا يمكنها حتى غزل حزمتين من الألياف، وهى لا تكـــف عن التهام الطعام.

كما كانا يسبان كوتو قائلين:

ــ أما هذا ذو البطن الكبيرة، فهو حتى لا يستطيع رفع المعول مـــن فـــوق الأرض.

ومع مرور الوقت كره الوالدان تماما هذين الطفلين، وفكرا فـــى الـــتخلص منهما. فقاما بحفر حفرة عميقة حتى يدفناهما بها أحياءً. وذات مرة سأل الطفلان:

ــ ما الهدف من هذه الحفرة التى حفرتماها؟.

رد الوالدان:

ــ هذه الحفرة من أجل الموز (١).

---

(١) يحفر الأهالى مثل تلك الحفر، ويضعون بها ثمار الموز الأخضر حتى تنضج.

سأل الطفلان من جديد:

ــ وأين ذلك الموز؟.

ــ سوف نشتريه لاحقا.

لكن الطفلين اعتراهما القلق وقالا:

ــ هل حقا هذه الحفرة من أجل الموز وليس لأجل سبب آخر؟!.

وبعد مرور بعض الوقت أدرك الطفلان أن الحفرة مخصصة لهما. فتملك الحزن من فارا وكوتو، واعترتهما الحيرة. وأخيرا ذهبا إلى الأشقاء الأكبر وقالا لهم:

ــ دعونا نهرب عند حلول الليل.

رد الأشقاء:

ــ عليكما الهروب بالطبع، بما أن الوالدين يريدان التخلص منكما. وسوف نأتى لزيارتكما سرا بين الحين والآخر.

وعندما هبط الليل فرت فارا هى وكوتو. ومضت فارا تسير وهى تجرجر بالكاد قدميها النحيلتين المنحنيتين، أما كوتو فقد كان يزحف على أربع تقريبا، وذلك بسبب ثقل بطنه. ونجحا فى الخروج من التل. لكن كوتو لم يعد لديه أى قوة للزحف وجر بطنه معه. فشرع فى البكاء. وأخذت فارا تواسيه قائلة:

ــ ما الذى يبكيك؟ أنت تعلم بأننا ينبغى أن نهرب لننقذ حياتنا. ولم نختر لأنفسنا هذا القدر. فلتحاول مواصلة السير، حيث إن الطريق ما زال طويلا أمامنا.

تأوه كوتو قائلا:

ـ لا أستطيع السير أكثر من ذلك.

أشفقت عليه شقيقته وقالت:

ـ تعال إلى، وسوف أحملك على ظهرى لبعض الوقت.

وهكذا، حملته فارا على ظهرها، واستطاعت عبور تل آخر على الرغم من ثقل وزنه وضعف قدميها. وعندما شعر كوتو بتعبها قال:

ـ من الأفضل لى أن أزحف على أربع مرة أخرى، حيث إنكِ منهكة جدًّا.

وضعته فارا على الأرض. وواصل الاثنان طريقهما وهما يجرجران أقدامهم بالكاد. ونظرت فارا ثانية إلى شقيقها، فانهمرت دموعها من العطف عليه. ولكنها لم تجرؤ على البكاء بصوت عالٍ خشية أن يسمعها كوتو ويأخذ فى البكاء هو الآخر، مما سوف يعطل سيرهما. فابتلعت دموعها فى صمت وهى تواصل السير.

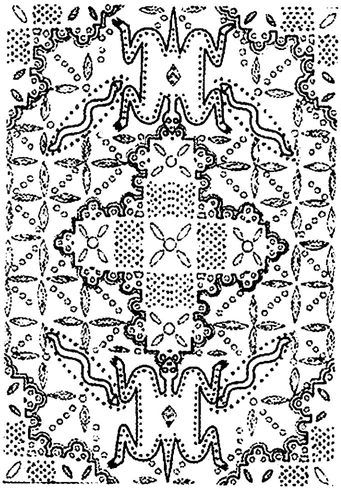
بعد مرور ثلاثة أيام وصلا إلى بقعة جميلة. فقررا المكوث بها. وجمع الاثنان الأغصان وقطعا الأشجار وصنعا الفخار، وشيدا كوخا يقيمان به.

عندما كبر كوتو أصبح صيادا ماهرا، وتبدلت علاقته بشقيقته. فقل حبه لها. وكان فى كل مرة يعود فيها من الصيد بفريسة معه يقول لها: "ضعى الحاجز يا فارا"، أو يضعه بنفسه. وعندما يعود من الصيد خاوى الوفاض، يقوم برفع الحاجز. قال كوتو لشقيقته قبل خروجه إلى الصيد:

ـ عليكِ يا فارا عدم الخروج إلى الصيد ناحية الشرق والشمال والجنوب. فإنها جميعا مناطق خاصة لى أصيد منها. ولو ذهبتِ إلى أى منها فسوف أضربك ضربا مبرحا بالعصا، وألقى بكِ إلى ذئاب الأرض.

ردت فارا:

ـ سوف أفعل ما تطلبه، وأذهب إلى الغرب فقط كي أصطاد السمك والجنادب.



وذات مرة قررت فارا الذهاب إلى الصيد فى مكان آخر، حيث إن الجانب الغربى كان خاليا من الفرائس والأسماك. فاتجهت إلى الشرق، وظلت تسير متوغلة هناك، حتى وجدت نفسها أمام بيت إيتريموبى[1]. وعندما تأكدت أن البيت خاليا، دخلته فارا وأخذت منه كل العسل والملابس التى وجدتها هناك وحملتها معها عائدة بها.

وعندما عادت إلى البيت سألها شقيقها:

ـ أين كنت طوال هذا الوقت يا فارا؟.

ـ لقد ذهبت بعيدا؛ لأنك منعتنى من الصيد بالقرب من هنا.

وقامت فارا بإخفاء كل ما أخذته من بيت إيتريموبى.

---

(١) إيتريموبى- هو وحش آكل البشر.

وبعد أن أعد كوتو العشاء لنفسه صاح قائلا كعادته:

ــ ضعى الحاجز بيننا يافارا.

ووضع الحاجز بنفسه.

أخذت فارا تأكل مما أخذته من بيت إيتريموبى. وقامت بتقسيم حساء الأرز باللبن إلى نصفين. ووضعت نصفا منهما إلى جانب شقيقها. فاعترت الدهشة كوتو وصاح قائلا:

ــ أوه، فارا، لقد بعث لى أندريا مانيترا[1] بحساء الأرز واللبن!.

لم تجب فارا بشيء، بل أخذت ثعبان ماء ووضعته أمام شقيقها. اعترت الدهشة كوتو ثانية وصاح:

ــ أوه، فارا، لقد بعث لى أندريا مانيترا بثعبان ماء!.

ومرة أخرى لم تجب فارا بشيء، بل فتحت زلعة العسل الذى فاح عبقه فى أرجاء البيت. وعندما اشتم كوتو رائحته، لم يتمالك نفسه وقام بتحطيم الحاجز بينهما وسألها:

ــ من أين لكِ كل هذا؟!.

لم ترغب فارا إخباره؛ لأنها خافت أن يذهب كوتو إلى هناك، وعندئذ سوف يأكل ويأكل حتى يعجز عن حمل بطنه والخروج من هناك. وسوف يقبض عليه إيتريموبى ويقتله.

ألح كوتو على فارا، حتى اضطرت أن تعترف له فى النهاية بأنها قد أخذت كل هذه الأشياء من بيت إيتريموبى. وقالت له:

---

(١) أندريا مانيترا - هو أحد الآلهة خالقة الأشياء.

ـ لو أنك ذهبت إلى هناك فأرجوك ألا تأكل كثيرا، وإلا فلن يمكنك الخروج من البيت. وعندئذ سوف يمسك بك إيتريموبى ويقتلك.

وافق كوتو. وذهب الاثنان إلى هناك.

وعندما دخلا إلى كوخ إيتريموبى لم يتمالك كوتو نفسه، وظل يأكل بشراهة ونهم حتى لم يعد بوسعه الحركة من مكانه. فماذا تفعل فارا؟ لم يكن لديها قوة كافية لحمل كوتو، ولو تركته فسوف يقتله إيتريموبى. فأخذت تفكر فى الأمر. واستطاعت أن تحمل شقيقها وتضعه فى السندرة. وأعطته بكرة خيط، ورمحا، وسكينا كبيرا، وغيرها من الأشياء الحادة التى عثرت عليها فى البيت، ثم غطت كوتو بالحصيرة وقالت:

ـ عندما يأتى إيتريموبى فلا تصدر أية حركة! ولو قال لك: "أظهر لى أسنانك" فأخرج الرمح وهز طرفه أمام أنفه. وإذا قال لك "أظهر لى لسانك!" فأظهر له السكين الكبير. وعندما يسألك: "وأين ذيلك؟" فأظهر له الخيط الملفوف على البكرة. وإذا حاول الصعود إليك، فاضربه بالرمح والسكين الكبير.

وانطلقت فارا إلى البيت بعد أن ألقت بنصائحها على شقيقها.

وبعد مرور بعض الوقت عاد إيتريموبى وهتف مزنجرا:

ـ إنى أشم رائحة لحم بشرية... يوجد رائحة إنسان هنا!.

ودخل إلى البيت وألقى على كوتو الأسئلة التى أخبرته بها فارا. وفعل كوتو ما أمرته به شقيقته. وعندما ثار إيتريموبى وهاج وأراد الصعود إلى السندرة، وما إن وطأ بقدمه عليها حتى ضربه كوتو بالرمح. لكن إيتريموبى واصل الزحف نحو السندرة. فضربه كوتو عندئذ بالسكين الكبير فى رأسه حتى قطعها، وتدحرجت الرأس على الأرض، وسقط إيتريموبى على الأرض ميتا.

وعندما علمت فارا بموت إيتريموبى انتقلت إلى بيته مع شقيقها، وصارا يعيشان هناك. واستولى الاثنان على كل أملاك إيتريموبى حتى أصبحا من الأثرياء. وعندما علم والداهما بهذا الأمر، جاءا إليهما ليتصالحا معهما.

ولهذا السبب يقولون ويقول المثل: "لو أنك سليم معافى وثرى، فسوف تصبح غاليا على والديك، أما لو كنت ضعيفا وفقيرا، فلن يحتاجا إليك".

٣٧. حكاية زوجة الأب

ذات مرة تزوج رجل من امرأة. وبعد ذلك تزوج من أخرى. وأنجبت الزوجتان له صبيين. وأطلقوا عليهما اسما واحدا، وهو كيمفالى[1].

مر بعض الوقت وماتت الزوجة الأولى. وقامت الزوجة الثانية بتربية ابنها.

خرج البالغون من الرجال إلى الحرب مع الماساى. واستطاعوا القتال بنجاح وغنم الكثير من المواشى. وحصل والد الابنين كيمفالى على نصيبه من الماشية التى ساقها إلى بيته. وبعد مرور شهر خرجت كتيبة المقاتلين مرة أخرى إلى الحرب. وقررت الزوجة عدم الاحتفاظ أو تخزين طعام للطفل الآخر، حيث إنه لم يكن ابنها.

وقامت بحفر حفرة فى البيت بجوار الباب، وغطتها بقطعة من الجلد حتى لا يراها أحد.



(١) كيمفالى ــ الحفرة المغطاة بالحصير (الفخ).

قضى الصبيان طوال النهار فى رعى الماشية. وفى المساء ســاقا الماشــية عائدين بها إلى الحظيرة الواقعة بجوار البيت. وقال كيمفالى ابن الزوجة لشقيقه:

ـ اذهب إلى البيت واحضر لنا طعام الغداء إلى هنا فى الحظيرة!.

ذهب الشقيق إلى البيت وجلس هناك. فقالت زوجة الأب له:

ـ لا تجلس هناك، بل اجلس فوق قطعة الجلد!.

نهض الصبى وجلس فوق الجلد، فوقع فى الحفرة. وقامت المرأة بسد الحفرة بالأحجار. أما ابنها فأخذ يبحث عن شقيقه فى كل مكان، لكنه لم يجد له أثرا.

مر بعض الوقت، وتركت الأسرة ذلك المكان وانتقلت إلى مكان آخر. وذات مرة ساق كيمفالى ماشيته إلى نفس المكان الذى عاشوا به سابقا. وفجأة سمع صوتا يتردد قائلا:

ـ كيمفالى، كيمفالى! لأجل من ترعى بمفردك ثورنا الضخم يا كيمفالى؟ إن أمك شريرة يا كيمفالى. فقد حفرت لى حفــرة، وأرادت أن تقبرنـــى يـــا كيمفالى.

عاد الصبى بقطيعه إلى البيت وقال لوالده:

ـ لقد سمعت صوت كيمفالى يا والدى.

صاح الوالد:

ـ أرنى المكان الذى سمعت فيه صوته!.

ذهب الاثنان إلى المكان الذى عاشوا فيه سابقا. وتردد الصوت قائلا:

ـ كيمفالى، كيمفالى! لأجل من ترعى بمفردك ثورنا الضخم يا كيمفالى؟ إن أمك شريرة يا كيمفالى. فقد حفرت لى حفــرة، وأرادت أن تقبرنـــى يـــا كيمفالى.

هتف الوالد:

ـ هيا نخرجه من الحفرة.

أخذ الاثنان فى الحفر حتى أخرجا الصبى وذهبا به إلى البيت. وفى الطريق سألاه:

ـ من الذى دفع بك إلى الحفرة؟.

ـ لقد كنا نسوق الماشية إلى الحظيرة، وذهبت إلى البيت لإحضار الطعـــام. وعندما جلست فوق الجلد، سقط بى إلى قلب الحفـــرة. وعندئـــذ قامـــت زوجتك بردم الحفرة بالأحجار.

عندما وصل إلى البيت قال الزوج لزوجته:

ـ فلنذهب إلى النهر!.

ذهب الزوج مع زوجته إلى النهر، حيث قام هناك بتمزيق جسمها إلى أشلاء بالسيف.

والآن لم يبق شىء نحكيه لكم!.

٣٨. سوق الموتى

كان لدى أحد الرجال زوجتان. وأنجبت إحداهما توأما: هويسى وهويوى. وماتت الأم أثناء الولادة. فظل التوأمان يعيشان مع زوجة الأب. ولم تحب زوجة الأب الولدين. وكانت تطعمها النخالة فقط.

وذات مرة أعطت زوجة الأب لكل منهما وعاءً صغيرا، وأرسلتهما لجلب الماء. خرج الاثنان إلى مجرى النهر حيث قاما بملء الوعائين بالماء. وأثناء طريق العودة إلى البيت تعثر هويسى فسقط وتحطم الوعاء. وفكر هويوى قائلا فى نفسه: "عندما نصل إلى البيت سوف تضرب زوجة أبينا هويسى ولن تمسنى بسوء، ومن الأفضل أن أحطم أنا الآخر وعائى، ولتسبنا معا".

ألقى هويوى بوعائه على الأرض فتحطم.

وعندما علمت زوجة الأب بما جرى، قامت بضرب التوأمين بعنف وقسوة.

عندئذ قرر هويوى:

ــ ينبغى علينا الذهاب إلى أرض الأموات كى نقابل أمنا. وينبغى على كل منا شراء الخرز من أجل أمنا. فربما يسمح لنا حارس أرض الأموات بالدخول إليها، وعندئذ يمكننا رؤية أمنا.

القبر عميق،

عميق، عميق.

لقد أعطتنا زوجة أبينا وعائين،

ولكن هويسى حطم وعاءه،

وقام هويوى هو الآخر بتحطيم وعائه.

وعندما علمت زوجة أبينا بالأمر،

ضربتنا بقسوة وعنف حتى تألمنا.

عندئذ اشترى هويسى الخرز،

وهويوى هو الآخر اشترى الخرز.

وها هما التوأمان قد وصلا إلى حارس أرض الموتى. فسألهما الحارس:

ـ ماذا تريدان؟.

حكى هويوى للحارس قائلا:

ـ لقد ذهبنا بالأمس لجلب الماء، وفى طريق العودة تعثر شقيقى هويسى فتحطم وعاؤه. وعندئذ حطمت أنا الآخر وعائى. فقامت زوجة أبينا بضربنا ضربا شديدا. ولم تعطنا طوال اليوم أى طعام نأكله. فقررنا زيارة أمنا فى أرض الموتى. ونرجوك أن تسمح لنا بالذهاب إلى هناك.

استمع الحارس إلى حكاية الصبيين، ثم فتح لهما الباب، وسمح لهما بالدخول إلى أرض الموتى.

القبر عميق،

عميق، عميق.

لقد أعطتنا زوجة أبينا وعائين،

ولكن هويسى حطم وعاءه،

وقام هويوى هو الآخر بتحطيم وعائه.

وعندما علمت زوجة أبينا بالأمر،

ضربتنا بقسوة وعنف حتى تألمنا.

عندئذ اشترى هويسى الخرز،

وهويوى هو الآخر اشترى الخرز.

وقد حكينا للحارس عن كل شيء،

ففتح لنا بوابة أرض الموت.

دخل الصبيان إلى أرض الموتى. وكان كل من يقابلهما ميتا كان أو حيا يسألهما: "من أين أتيتما؟".

وحكى التوأمان للجميع:

ـ لقد حطمنا بالأمس وعائين صغيرين أعطتهما لنا زوجة أبينا. فقامت بضربنا ومنعت عنا الطعام. وطلبنا من حارس أرض الموتى السماح لنا بالدخول إلى هنا. ونحن نبحث عن أمنا كى تشترى لنا وعائين جديدين.

وفجأة شاهد التوأمان أمهما. فأعطت الأم إلى أحد الرجال الأحياء مالا، وطلبت منه شراء وعائين من سوق الأحياء، ثم أعطت الوعائين لولديها. وبعد ذلك ذهبت إلى سوق الموتى واشترت ثمار جوز الهند. كانت زوجة والد التوأمين تحب هذه الثمار جدًا. وأمرتهما الأم بحمل الثمار إليها. فقد عرفت أن زوجة الأب سوف

تموت على الفور، بمجرد أن تتذوق ثمار جوز الهند المجلوبة من سوق المــوتى. لذلك، قالت للولدين:

ــ اذهبا إلى البيت، وأبلغا تحياتى إلى زوجــة أبيكمــا. وأبلغاهــا شــكرى وامتنانى لها، لرعايتها الطيبة لكما. واحملا معكما هذه الثمار إليها.

القبر عميق،
عميق، عميق.
لقد أعطتنا زوجة أبينا وعائين،
ولكن هويسى حطم وعاءه،
وقام هويوى هو الآخر بتحطيم وعائه.
عندما علمت زوجة أبينا بالأمر،
ضربتنا بقسوة وعنف حتى تألمنا.
عندئذ اشترى هويسى الخرز،
وهويوى كذلك اشترى الخرز.
وقد حكينا للحارس عن كل شيء،
ففتح لنا بوابة أرض الموت.
وعندما علمت أمنا بهذا الأمر،
اشترت لنا وعائين،
كى نعطيهما لزوجة أبينا.

فى ذلك الوقت كانت زوجة الأب تبحث عن التوأمين فى كل مكان. وعندما عادا إلى البيت صرخت فيهما:

ــ أين ذهبتما أيها الفاشلان؟.

ــ لقد ذهبنا لرؤية أمنا.

ــ يا لكما من غبيين! هل سمعتما من قبل أن أحدا قد ذهب لزيارة المــوتى ورؤيتهم؟.

عندئذ أعطى الصبيان ثمار جوز الهند للمرأة قائلين:

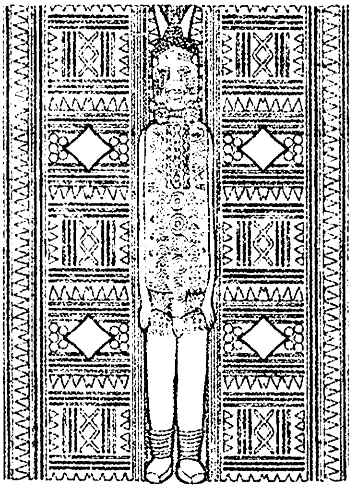
ــ نعم، وقد أرسلت أمنا هذه الثمار إليكِ.

لكن زوجة الأب أخذت فى السخرية منهما:

ــ أتقولان إن المرأة الميتة هى التى أرسلت ثمار جوز الهند إلى؟!.

وبدأت المرأة فى التهام الثمار.

وهنا سقطت زوجة الأب ميتة بلا حراك.



القبر عميق،

عميق، عميق.

لقد أعطتنا زوجة أبينا وعائين،

ولكن هويسى حطم وعاءه،

وقام هويوى هو الآخر بتحطيم وعائه.

عندما علمت زوجة أبينا بالأمر،

ضربتنا بقسوة وعنف حتى تألمنا.

عندئذ اشترى هويسى الخرز،

وهويوى كذلك اشترى الخرز.

وقد حكينا للحارس عن كل شيء،

ففتح لنا بوابة أرض الموت.

وعندما علمت أمنا بهذا الأمر،

اشترت لنا وعائين،

كى نعطيهم لزوجة أبينا.

وأرادت زوجة أبينا الحياة،

لكننا أعطيناها ثمار جوز الهند،

أعطيناها الكثير والكثير منها.

عندما يموت المرء فى داجومى، فإن أسرة المتوفى تذهب إلى المنجم الـذى يجعل المتوفى يتحدث معهم.

وهكذا، عندما ماتت زوجة الأب، أصبحت تتكلم وسمع الجميع كلماتها:

ــ احكوا لجميع النساء أن التوأمين قد جلبا الموت لى. وأبلغوا الجميع بعقاب ماوو: عندما تموت المرأة، ينبغى على الزوجات الأخريات لزوجها رعاية أطفالها حتى يكبروا.

ومنذ ذلك الحين، يعطى الناس طفل المرأة التى تموت أثناء الولادة إلى الزوجة الأخرى لزوجها، فتقوم الزوجة الأخرى برعاية اليتيم بصورة أفضل من أبنائها أنفسهم. ولا يمكن لأحد أبدا أن يؤذى اليتيم. ولهذا، فمن تجرؤ على إيذاء اليتيم تموت فى نفس اليوم، حتى لو كانت بصحة جيدة. وأضاف الراوى:

ــ لقد كنت أنا نفسى يتيما، وأعرف هذا الأمر جيدا. لم يكن والدى يتركنى أخرج فى الليل بمفردى أبدا. ولم يكن يرفض طلبا لى أبدا.

٣٩. راعى الغنم

عاش فى بلاد الله خلق الله رجل وحيد. وعندما تزوج الرجل أنجبت له زوجته ثلاثة من الأطفال: صبيين وفتاة. ومر بعض الوقت ومات الأب والأم والابنة. وعندما كانت الأم تحتضر قبل موتها، أوصت ابنها الأكبر قائلة:

ـ عليك أن تجعل شقيقك الأصغر يرعى الغنم دائما.

رد الابن الأكبر:

ـ حسنا يا أمى، سوف أعمل على ذلك.

ماتت الأم، ومضى بعض الوقت. وتزوج الشقيق الأكبر. أما الشقيق الأصغر فظل يرعى الغنم. لكن زوجة الشقيق الأكبر قالت ذات مرة:

ـ لقد أصبح العمل فى الحقل يتطلب كثيرا من الجهد، فينبغى على شقيقك الأصغر أن يساعدك فى أعمال الرى والعناية بالحقل.

ذهب الشقيق الأكبر إلى شقيقه الأصغر وقال له:

ـ ساعدنى فى العمل بالحقل، واترك رعى الغنم لبضعة أيام.

سأل الشقيق الأصغر:

ـ ومن الذى سوف يهتم بالأغنام لو أننا ذهبنا معا إلى الحقل؟ ألا تذكر وصية أمنا لك قبل موتها؟.

قال الشقيق الأكبر:

ــ أنت محق. ابق لترعى الغنم.

وخرج الشقيق الأكبر مع زوجته إلى الحقل. وظل الاثنان يعملان لثلاثة أيام. وفى اليوم الرابع قالت الزوجة لزوجها:

ــ عندما يأتى الحديث حول الطعام يظهر شقيقك الأصغر على الفور هنا. وعندما يدور الحديث حول العمل فى الحقل فهو يتذرع بشتى الأعذار. ومن الآن فصاعدا لن أعد الطعام لشقيقك الأصغر.

ومنذ ذلك الوقت لم يحصل الشقيق الأصغر على الطعام. فكان ينام جائعا. وذات مرة شاهد الشقيق الأصغر أمه فى المنام.

قالت الأم له:

ــ تحدث فى صباح الغد مع أكبر أغنامك عمرا. وقل لها: "افعلى ما كان يفعله أبوك وأمك فى الماضى، وكما كان يفعل جميع أجدادك!".

وفى صباح اليوم التالى فعل الشقيق الأصغر ما قالته أمه له فى المنام. فبدأت أكبر الأغنام فى إحضار جميع أنواع الطعام إليه. واستطاع أن يأكل حتى الشبع. وأصبح الفتى كلما يشعر بالجوع يذهب إليها قائلا: "افعلى ما كان يفعله أبوك وأمك فى الماضى، وكما كان يفعل جميع أجدادك!". فتقدم له أكبر الأغنام طعاما وفيرا. ولهذا، سرعان ما كبر الشقيق الأصغر.

عندما شاهدت زوجة الشقيق الأكبر أن الشقيق الأصغر ينمو ويكبر، على الرغم من أنها لا تطعمه، فكرت فى الأمر التالى. وقالت لزوجها:

ــ إنى أوافقك على ضرورة أن يرعى أحد ما الغنم. وسوف آخذ هذه المهمة على عاتقى. بينما تقوم أنت مع شقيقك الأصغر بالعمل فى الحقل.

رد الزوج:

ـــ سوف أتحدث مع شقيقى الأصغر حول هذا الأمر.

وذهب إلى شقيقه وقال له:

ـــ إن زوجتى تريد أن ترعى الغنم بنفسها، بينما نذهب نحن الاثنان للعمل فى الحقل.

وافق الشقيق الأصغر قائلا:

ـــ حسنا.

وفى الصباح التالى ترك الشقيق الأصغر الأغنام إلى زوجة شقيقه، وقال لها:

ـــ يمكنك قطع الأعواد من جميع الأشجار لتأكلها الأغنام، عدا شجرة الباماباسول[١] التى ينبغى ألا تقتربى منها.

قالت المرأة:

ـــ سوف أتذكر هذا الأمر.

خرج الشقيقان إلى الحقل، وما إن وجدت المرأة نفسها بمفردها، حتى قامت بقطع الأغصان من شجرة البامباسول وقدمتها إلى الأغنام. عندما أكلت الأغنام منها فرت جميعها مسرعة نحو جبل شاهق الارتفاع، ليس به شيء سوى الأحجار. وعندما عاد الشقيقان إلى البيت فى المساء قالت المرأة:

ـــ لقد ركضت الأغنام إلى جبل شاهق، ولم أستطع الإمساك بها.

---

(١) نوع من أشجار الخيزران. (المترجم).

رد الشقيق الأصغر:

ـ سوف أخرج فى الصباح، وأبحث عن الأغنام فى الجبل.

وفى اليوم التالى، ومع بزوغ أول خيوط الفجر، انطلق الشقيق الأصغر نحو الجبل. وبدأ فى تسلقه، لكنه لم يستطع مواصلة تسلقه، ذلك لأن الصخور كانت ملساء وتنتصب مرتفعة. فجلس الشقيق الأصغر على الأرض، وسرعان ما شاهد طائرا كبيرا يحط بجانبه ويسأله:

ـ ماذا بك؟.

قال الشقيق الأصغر:

ـ إن زوجة شقيقى الأكبر قد فقدت الأغنام، وتركتها تهرب وتصعد إلى قمة الجبل.

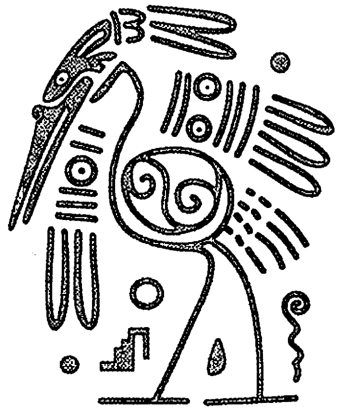
قال الطائر الكبير:

ـ سوف أساعدك، فتشبث بى بقوة.

تعلق الشقيق الأصغر بالطائر الكبير بقوة. وارتفع الطائر محلقا به إلى أعلى، حتى وصل إلى قمة الجبل، فوضع الفتى بالقرب من عين ماء. وشاهد الشقيق الأصغر قرية تقع أعلى الجبل. وقال الطائر الكبير:

ـ فى هذه القرية تعيش عجوز. ويمكنك العثور على أغنامك لديها. فاذهب إليها، وعندما تسألك فى المساء: "أتريد النوم فى حجرة الفتيان أم فى حجرة الجنادب؟" عليك الإجابة بأنك ترفض النوم فى المكانين. وعندما تعرض عليك جميع الأماكن، فعليك اختيار حجرة الفتيات. ولا تظل باقيا عند العجوز لفترة أكثر من صباح الغد. وبعد ذلك احضر إلى هذه العين حيث أكون بانتظارك.

وحلق الطائر مبتعدا بعد قوله.



انطلق الشقيق الأصغر نحو القرية، وعندما وصل إلى بيت العجوز سألته:

ـــ ما الذى كنت تشكو منه فى الجبل؟.

رد الشقيق الأصغر:

ـــ لقد فرت أغنامى إلى الجبل.

سألت العجوز:

ـــ وكم عدد أغنامك؟.

رد الشقيق الأصغر:

ـــ اثنا عشر.

ـــ حسنا، فى صباح الغد سوف أعطيك أغنامك.

وعندما حل المساء سألت العجوز الشقيق الأصغر:

ـــ أين تريد النوم؟ فى حجرة الفتيان أم فى حجرة الجنادب؟.

ـــ إن الأمر يعود إلى صاحبة البيت، فهى التى تقرر المكان الذى يبيت فيه الضيف، ولكن لو أذنتِ لى فسوف أبيت فى حجرة الفتيات.

ــ فليكن الأمر كذلك.

دخل الشقيق الأصغر إلى مكان الفتيات، وشاهد فتاة هناك سألته قائلة:

ــ ما الذى أتى بك إلى قرية تقع أعلى الجبل؟.

ــ لقد فرت أغنامى إلى الجبل. وتريد العجوز إعادتها إلى فى صباح الغد.

قالت الفتاة:

ــ لقد جئت إلى هنا أنا أيضا كى أستعيد أغنامى الهاربة. ولو رغبت فيمكننا الذهاب من هنا معا فى صباح الغد.

قال الشقيق الأصغر:

ــ حسنا، فإن الطائر الكبير سوف يكون بانتظارى عند العين. ويمكنه حملنا إلى أسفل الجبل.

فى الصباح التالى أعادت العجوز اثنى عشر من الأغنام إليه. فقال لها:

ــ إنى أمنحك خمس أغنام نظرا لجهودك، ويبقى لى سبع أغنام.

ردت العجوز:

ــ خذ كل الأغنام لك. فإن هناك ألفا منها ترعى فوق جبلى، ولا يأتى أحد من أجلها.

انطلق الشقيق الأصغر مع أغنامه الاثنتى عشرة نحو العين، حيث كان بانتظاره الطائر الكبير.

سأله الطائر:

ــ فى أى حجرة قضيت ليلتك؟.

ـ في حجرة الفتيات.

ـ ومن قابلت هناك؟.

ـ لقد قابلت فتاة فقدت هي الأخرى أغنامها.

وفي هذه اللحظة وصلت الفتاة. فقال الطائر الكبير:

ـ هيا بنا أولا نسوق الأغنام إلى أسفل، ثم أحملكما من فوق الجبل.

دفع الفتى والفتاة بالأغنام إلى أسفل. وقال الطائر الكبير:

ـ والآن فلتتشبثا بي جيدا.

تعلق الفتى والفتاة بظهر الطائر الذي حلق وطار، ثم حط بهما أسفل الجبل.

في ذلك الوقت أرسلت العجوز الفهد والأسد والثعبان إلى عين الماء، كي يفترسوا الفتى والفتاة، ولكنهم لم يصلوا في الوقت المناسب بعد أن هبط الطائر من فوق الجبل.

عاد الشقيق الأصغر ومعه الفتاة والأغنام إلى البيت. فقال الشقيق الأكبر:

ـ إن فتاتك سوف تصبح زوجة صالحة، أما زوجتي فهي سيئة الطباع. والآن اسمح لي بالذهاب مع الأغنام ورعيها.

وافق الشقيق الأصغر قائلا:

ـ حسنا، يمكنك قطع الأعواد من جميع الأشجار لتأكلها الأغنام، عدا شجرة البامباسول التي ينبغي ألا تقترب منها.

ـ حسنا، سوف أتذكر ذلك الأمر.

في الصباح التالي ساق الشقيق الأكبر الأغنام إلى المرعى. ونسي ما حذره منه الشقيق الأصغر، فقام بقطع الأعواد من شجرة البامباسول، وقدمها إلى غنمه.

وفى التو انطلقت الأغنام تركض نحو الجبل وتسلقته إلى أعلى. واندفع الشقيق الأكبر من خلفها محاولا الإمساك بها. وأخذ فى تسلق الجبل حتى أصبحت الصخور ملساء ولم يستطع مواصلة التسلق. فهبط ثانية على الأرض يائسا. وحط الطائر الكبير بجواره وسأله:

ــ ماذا بك أيها الفتى؟.

ــ لقد فقدت الأغنام، وفرت منى إلى قمة الجبل.

قال الطائر الكبير:

ــ لا تحزن وسوف أساعدك فى استرجاعها، فتعلق بى بقوة.

ارتفع الطائر محلقا بالفتى إلى أعلى، حتى وصل إلى قمة الجبل، فوضعه بالقرب من عين الماء وقال له:

ــ لقد أخبرك شقيقك الأصغر بكل شىء حول قرية العجوز. ولكن عليك اختيار حجرة الجنادب لتبيت بها، وذلك عندما تسألك العجوز عن المكان الذى تريد النوم به. وغدا سوف أعود إلى هنا أثناء النهار.

انطلق الشقيق الأكبر إلى قرية العجوز. وعندما وصل هناك سألته:

ــ ما الذى أتى بك؟.

رد الشقيق الأكبر:

ــ لقد فرت أغنامى إلى الجبل.

سألت العجوز:

ــ وكم عدد أغنامك؟.

رد الشقيق الأكبر:

ـ اثنتا عشرة.

ـ حسنا، فى صباح الغد سوف أعطيك أغنامك.

وعندما حل المساء، سألت العجوز الشقيق الأكبر:

ـ أين تريد أن تنام؟ فى حجرة الفتيان أم فى حجرة الجنادب؟.

ـ رد الفتى قائلا:

ـ أريد النوم فى حجرة الجنادب.

وعندما ذهب الفتى إلى الحجرة، أشعل النار وبدأ فى العمل على الفور. فصنع بلطة وسكينا وقوسا وسهاما.

فى الصباح التالى أعطت العجوز للشقيق الأكبر اثنتى عشرة من الأغنام. فقال الفتى:

ـ احتفظى لنفسك بعشرة منها مكافأة لك، وسوف آخذ اثنين فقط.

ردت العجوز:

ـ خذ جميع الأغنام لك. فهناك ألف منها فوق جبلى، ولا يأتى أحد من أجلها.

انطلق الشقيق الأكبر مع أغنامه الاثنتى عشرة نحو العين. ولم يكن الطائر الكبير قد وصل بعد. فجلس الشقيق الأكبر بانتظاره.

فى ذلك الوقت أرسلت العجوز الفهد والأسد والثعبان إلى عين الماء، كى يفترسوا الفتى والأغنام. فأمسك الشقيق الأكبر بالقوس والسهام وقتل الأسد، ثم رفع بلطته وقتل الفهد. وبعد ذلك قتل الثعبان بالسكين. وسرعان ما حط الطائر الكبير بالقرب من الشقيق الأكبر، وقال الطائر:

ـ ادفع بأغنامك إلى الأسفل فى البداية، ثم تعلق بى كى أنزلك من فوق انجبل.

دفع الشقيق الأكبر بالأغنام إلى أسفل، ثم تعلق بالطائر الكبير الذى حمله من فوق الجبل.

عاد الشقيق الأكبر إلى القرية مع أغنامه. وخرج الشقيق الأصغر لاستقباله وقال:

ـ لقد رحلت زوجتك أثناء غيابك.

رد الشقيق الأكبر:

ـ لقد كانت امرأة سيئة جدًّا، وإن لم تمانع فسوف أجعلك تتولى مع زوجتك القيام بأعمال الحقل، بينما أقوم برعى الأغنام.

ـ إنى أوافق. وسوف تحصل دائما على طعام طيب؛ لأن زوجتى امرأة صالحة.

٤٠. الشقيقتان

كان ياما كان شقيقتان تعيشان معا. تزوجت كبراهن. وبعد مرور بعض الوقت عادت إلى قريتها كى تصطحب معها شقيقتها الصغرى، وتأخذها إلى بيت زوجها باعتبارها زوجة ثانية له. وكان زوجهما يدعى إيلوفى.

ذات مرة قرر إيلوفى الذهاب إلى قرية أمه، وقال لزوجته الكبرى:

ــ أعدى لنا الطعام من أجل الطريق، فسوف نذهب لزيارة أمى.

أعدت الزوجة الطعام. وفى الصباح الباكر انطلقا فى طريقهم. وبدأ الزوج أثناء سيرهما يلقى بنصائحه على زوجته:

ــ سوف أحكى لك الآن عن العادات المتبعة فى قرية أمى. فعندما ترين أن ثمار النخيل قد بدأت فى النضج من أسفل، وأن ماء البركة يغترفونه بالرأس، فلا تضحكى. وعندما تبدئين فى شى الموز، فعليك بخبز القشرة فقط، والتى سوف تتحول إلى ثمار. وعندما يعطونك السمك، فعليك شى عظامه وأشواكه فقط، وسوف يتحول إلى سمك شهى. ولو أنهم عرضوا عليك ثمار النخيل، فلا تأخذيها، بل خذى فقط البذور والتى سوف تتحول إلى ثمار. وهذا ما عليكِ فعله مع أى طعام يقدمونه. وفى المساء سوف يبدأ الناس فى الرقص، فعليكِ عدم الخروج والنظر إليهم. وسوف

يأخذون فى قرع الطبول وترديد الأغانى، فعليكِ عدم الخروج فى جميع الأحوال من البيت. وسوف أعطيكِ طبلا صغيرا، ويمكنك الضرب عليه فى البيت بمفردك. وعندما نستعد للعودة إلى بيتنا، فسوف يطلبون منك الغطس فى مياه البركة التى تعج بالعلقات (نوع من الديدان الطفيلية التى تخترق الجلد وتمتص الدماء منه- المترجم)، فعليكِ عدم الرفض والاستحمام فى ذلك الماء؛ لأنك سوف تخرجين منه محملة بالكثير من الهدايا الجميلة، والأساور التى توضع حول الساقين، والحلقات النحاسية حول العنق، واللآلئ المزينة بالورود الحمراء الجميلة. وهذه هى هدايا الوداع لكِ من سكان القرية.

فعلت الزوجة كل ما أمرها به زوجها. وعاد الاثنان فى طريقهما، وهى محملة بالهدايا الثمينة. وعندما وصلا إلى البيت، منح إيلوفى قسما من الهدايا لأقربائه، واحتفظ بالقسم الآخر لزوجته الكبرى.

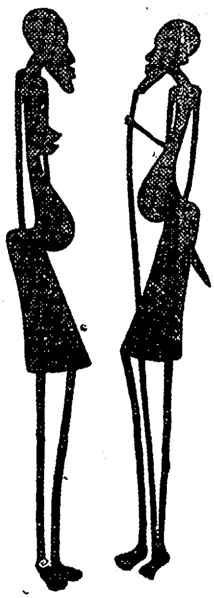
وبعد مرور بضعة أيام، قرر إيلوفى الذهاب ثانية إلى قريته وزيارة أمه. وعندما عرفت الزوجة الصغرى هذا الأمر قالت لزوجها:

ـ سوف أذهب معك فى هذه المرة، ولتبق شقيقتى الكبرى فى البيت.

حزن إيلوفى وقال لزوجته الكبرى:

ـ إن شقيقتك تريد الذهاب معى، وعليكِ البقاء بالبيت فى هذه المرة.

ـ حسنا، سوف أظل فى البيت، لكن شقيقتى الصغرى متهورة للغاية، ومن الصعب عليها التأقلم مع قرية أمك، التى يفعلون كل شىء فيها على نحو غير مألوف. وأظن أنه من الأفضل لها البقاء هنا.



وقامت الشقيقة الكبرى بعد قولها بالنداء على شقيقتها الصغرى وسألتها:

ـ هل حقا تريدين الذهاب إلى قرية أمه؟.

ـ نعم.

ـ لكن الأحوال هناك سوف تكون صعبة عليك.

صاحت الشقيقة الصغرى فى غضب:

ـ كيف يمكنها أن تكون صعبة علىّ؟ وكيف لم تكن صعبة عليكِ عندما ذهبت فى المرة السابقة؟.

ردت الشقيقة الكبرى:

ـ نعم لقد كنت هناك بالطبع، لكنكِ لن تتحملى ما رأيته.

ـ إنكِ تريدين الحصول على الهدايا لنفسك مرة أخرى، مثلما فعلتِ في المرة السابقة، ولهذا لا تريدين السماح لى بالذهاب إلى هناك.

ـ لا، ليس الأمر كما تظنين، ولو أردت فخذى الهدايا التى منحونى إياها.

ـ أنا لا أحتاج إلى أغراضك. ويمكننى الحصول على مثلها بنفسى. وسوف أذهب إلى هناك شئتِ أم أبيتِ!.

وظلت الشقيقتان تتشاجران لفترة طويلة. وحاول الجميع تهدئتهما، وقالوا للشقيقة الكبرى:

ـ عليكن التوقف عن الشجار! وإن لم ترغب فى الاستماع إليكِ فاتركيها. وعندما تتعرض لما تقولينه، فدعيها تتحمل عواقب الأمر.

استعد إيلوفى للسفر وقال لزوجته الثانية:

ـ أعدى لنا طعاما للطريق.

أسرعت الزوجة بفرح إلى عين الماء، وقامت بغسل الآنية الكبيرة لوضع الطعام بها، وجمعت كل ما يلزم للطريق.

وما إن بزغت أول خيوط الفجر، حتى انطلقا فى طريقهما. وعندما اقتربا من الغابة قال إيلوفى:

ـ اسمعى جيدا أيتها الزوجة. هناك عادات غريبة جدا فى قرية أمى. فإذا رأيتِ رجلا يقطع ثمار النخيل بقدميه، أو برغوثا ينسج الحصيرة، فلا تضحكى أو تسخرى من تلك الأمور. وعندما يقدمون لك الطعام فعليك فعل الآتى...

ولقن الزوج زوجته الصغيرة كل ما ينبغى عليها معرفته، مثلما فعل سابقا مع زوجته الكبرى.

استمعت الزوجة إلى ما قاله وهتفت فى دهشة: "يبدو أن الأمور لديكم سيئة جدا!".

وأخذت الزوجة الصغيرة فى الضحك. فقال إيلوفى:

ـ قد تكون هذه الأمور صعبة عليك، ولن يصبح بوسعك تحملها. وعندئذ فمن الأفضل لنا العودة إلى بيتنا، حيث إنى أخشى من حماقتك وتهورك، وأنكِ لن تتحملى عادات أولئك الناس.

ـ لا، لا يا زوجى العزيز، لا تقلق ولا تخش شيئا. ولنذهب وسوف أتحمل كل ما أرى.

واصل الاثنان طريقهما.

وما إن دخلا إلى القرية، حتى سمعت الزوجة أصوات الترحيب بزوجها تتردد:

ـ مرحبا إيلوفى، هأنت قد ظهرت هنا مرة أخرى!.

رفعت الزوجة الصغيرة عينيها، فشاهدت رجلا فوق النخلة يقطع الثمار بقدميه. فضحكت المرأة مقهقهة. ولكزها زوجها مشيرا لها بعينه، وقال:

ـ توقفى عن الضحك.

لكن الزوجة استمرت فى الضحك.

بعد ذلك دخلا قرية صغيرة أخرى. وشاهدا برغوثا ينسج الحصيرة. وقام البرغوث بتحيتهما:

ـ مرحبا، هأنتما قد وصلتما!.

وهنا سألت الزوجة إيلوفى:

ـ ياله من أمر غريب، فالبرغوث لديكم يمكنه نسج الحصيرة!.

قال الزوج بصوت خفيض لزوجته:

ـ اصمتى!

وصلا الاثنان إلى دغلة صغيرة تقع بين هذه القرية والقرية الكبيرة الأخرى. وهنا شاهدا الناس يغترفون الماء من البحيرة برؤوسهم. وقام كل أولئك الناس بإلقاء التحية على إيلوفى:

ـ أهلا وسهلا بك يا إيلوفى.

وبعد ذلك سألوه:

ـ هل هذه هى زوجتك؟.

رد إيلوفى:

ـ نعم، إنها الشقيقة الصغرى لزوجتى التى حضرت معى فى المرة السابقة.

وأخيرا وصل إيلوفى وزوجته إلى القرية التى تعيش بها أمه.

واستقبلهما أهل القرية بالترحاب وكرم الضيافة. وأحضروا إليهما الكثير من الطعام. وقام إيلوفى بتذكير زوجته بما أخبرها به أثناء الطريق. لكن الزوجة لم ترغب فى الاستماع إلى زوجها، وسار كل شىء بصورة سيئة. فالطعام الذى أعدته لم ينضج، وتحول الموز الذى وضعته فوق النار إلى قشر موز، ولم يبق من السمك الذى أعدته سوى العظام والأشواك، وظلت ثمار النخيل نيئة.

وعندما شاهد إيلوفى كل ذلك قال لأهله:

ـ لن يمكننى البقاء هنا لفترة طويلة؛ لأن زوجتى الكبرى تنتظرنى فى البيت.

مالت الشمس للغروب فى ذلك الوقت، فقام إيلوفى بتذكير زوجته قائلا:

ــ عندما يبدأ الناس فى الرقص، فإياكِ والخروج إليهم، حتى لو قاموا بالنداء عليك فلا تخرجى من البيت. وسوف أتركك بمفردك الآن، حيث إن الأزواج والزوجات هنا لا ينامون معا فى بيت واحد، ولا فى فراش واحد.

ردت الزوجة:

ــ اذهب وكن مطمئنا.

وعندما استعدت الزوجة للنوم، اجتمع سكان القرية فى فناء بيت عم إيلوفى، وبدؤوا فى الرقص. وحاولت المرأة النوم، لكن النعاس غاب عنها. واشتدت بها الرغبة فى الرقص. ومهما حاولت أن تتمالك نفسها لم تستطع. وأخيرا فتحت الباب وخرجت إلى حلبة الرقص والغناء.

وما إن خرجت إلى الفناء، حتى أمسك الناس بها وقاموا بقطع رأسها، ثم مزقوا جسمها إلى أشلاء، وظلوا طوال الليل يقسَمون لحمها فيما بينهم.

أشرق الصباح بنوره، وجاء إيلوفى إلى البيت الذى ترك به زوجته، فلم يجد لها أثرا. فقام بجمع أهله وقال لهم:

ــ لماذا قتلتم زوجتى؟.

ردوا عليه:

ــ ولماذا تسأل؟ ألا تعرف عاداتنا وتقاليدنا؟ سوف نمنحك المال، حتى بمكنك شراء زوجة أخرى.

عندئذ قال إيلوفى لهم:

ـ إذا، أحضروا المال لي وسوف أرحل من هنا.

أحضر الأهل إليه سلة مملوءة بالمال الذي يكفي لـشراء زوجتـين ولـيس زوجة واحدة. وانطلق إيلوفي عائدا إلى بيته.

وعندما وصل إلى البيت، حكى لأقربائه كل شيء، فحزنت زوجته وحـزن أقرباؤه. ولكنهم جميعا ألقوا بالذنب في ذلك على الشقيقة الصغرى فقط.

٤١. حكاية الشقيقتين

قالت الفتاة لشقيقتها:

ــ أنا أجمل منك.

ردت شقيقتها:

ــ لا، بل أنا الأجمل بالطبع.

فقالت الأولى:

ــ لو أنكِ الأجمل حقا، فسوف نخرج إلى بلاد الله خلق الله، ونرى من منا سوف تحصل على الهدايا والهبات أكثر من الأخرى.

ردت شقيقتها:

ــ حسنا.

أعدت الفتاتان أغراضهما وخرجتا. وظلتا تسيران حتى وصلتا إلى إحدى المدن، وهناك سألتا:

ــ من منا الأجمل؟ امنحوا الأجمل منا هداياكم.

أُعجب البعض بإحدى الشقيقتين، وأعجب الآخرون بالأخرى. وحصلت الشقيقتان على الهدايا فى تلك المدينة. وعندئذ رحلتا إلى مكان آخر. وهناك أحضر الناس لهن الهدايا معا. وواصلت الفتاتان السير إلى بلد آخر.

وهكذا ظلت الفتاتان تسيران وتتجولان. وحصلت الشقيقة الأصغر على قدر أكبر من الهدايا. وبعد أن طافتا العديد من البلدان، انطلقتا عائدتين إلى البيت. وأثناء سيرهما وصلتا إلى بركة الماء. فقامت الفتاتان باقتياد أبقارهن وأغنامهن إلى الماء. وعندما شـــرب القطيع اغترفت الشقيقة الصغرى الماء لنفـــسها. فقالـــت الـــشقيقة الكبرى لها:

ــ أحضرى لى الماء أنا الأخرى.

ــ حسنا.

وأحضرت الفتاة الماء لشقيقتها التى قالت:

ــ إنه ماء عكر. فقد شربت الأغنام والماعز والأبقار منـــه حتـــى تعكـــر، فأحضرى لى ماءً من مكان آخر.

وقد قالت الشقيقة الكبرى ذلك؛ لأنها حـــسدت شـــقيقتها الـــصغرى وأرادت التخلص منها.

وذهبت الشقيقة الصغرى إلى مكان آخر، وصاحت من هناك:

ــ أتريدين أن أجلب لكِ الماء من هنا؟.

ردت الشقيقة الكبرى:

ــ لا، فهذا المكان لا يصلح بدوره.

ذهبت الشقيقة الصغرى أبعد من ذلك، حتى توغلـــت فـــى الميـــاه العميقـــة وغرقت فيها. فاستولت الشقيقة الكبرى على كل الهدايا، وذهبت بها إلـــى البيـــت. وهناك سألوها:

ــ أين شقيقتك؟.

ـــ لقد ضلت الطريق.

ـــ وأين المكان الذى ضلت فيه الطريق؟.

ـــ فى الماء.

خرج الشقيق الأصغر للفتاتين ليرعى أغنامه عند تلك البركة. ووقف بجوار شاطئ البركة مرددا أغنية، يرجو فيها من شقيقته العودة إلى البيت. فخرجت الفتاة من قلب الماء، واقتربت من شقيقها. وجلست بجانبه وأخذت تمشط شعره، ودهنته بالزيت. وبعد مضى بعض الوقت قالت:

ـــ والآن، سوف أعود إلى البيت.

سأل الفتى شقيقته:

ـــ إلى أى بيت؟.

ـــ البيت الواقع فى قلب الماء.

وسارت الفتاة نحو الماء حتى اختفت فى جوفه.

وفى المساء عاد الفتى إلى البيت وقال للناس:

ـــ لقد رأيت شقيقتى.

لم يصدقه الناس.

وفى اليوم التالى ذهب إلى البركة مرة أخرى، وجلس عند طرفها يردد أغنيته. فخرجت شقيقته من الماء، وألقت عليه التحية. وجلس الاثنان عند البركة طوال النهار. وعندما بدأ الليل فى الهبوط اختفت الشقيقة فى الماء ثانية. وعاد الفتى بمفرده إلى البيت.

قال الفتى فى البيت:

ـ لقد شاهدتها. وهذه هى الحقيقة. ولو أردتم رؤيتها فعليكم التحول إلى أغنام، والذهاب معى فى الصباح مع القطيع.

وفى الفجر تجمع الناس بما فيهم أهل الفتاة، وتحولوا جميعا إلى أغنام. وذهب الفتى معهم إلى البركة، حيث جلس على شاطئها وبدأ فى الغناء. فخرجت شقيقته من قلب الماء وألقت عليه التحية. وجلس الاثنان يتحدثان، وقالت له:

ـ لم يكن لديك حتى اليوم هذا العدد الكبير من الأغنام.

ـ إنها كلها أغنامى.

ـ إنى لا أصدقك.

كانت الأغنام فى ذلك الوقت تأكل العشب وهى تتطلع إلى الفتاة.

قالت الفتاة فى المساء:

ـ لقد حان وقت ذهابى إلى البيت.

رد شقيقها:

ـ حسنا.

قامت الشقيقة بتمشيط شعره ودهنه بالزيت، ثم اختفت فى قلب الماء. وسأل الفتى والديه:

ـ هل رأيتم ابنتكم؟.

ـ نعم، لقد رأيناها، واتضح حقيقة ما تقوله. فقد مشطت شعرك ودهنته بالزيت. وشاهدناها جميعا. ولكن، كيف يمكننا استعادتها؟.

كان ابن الملك معهم فى ذلك الوقت فقال:

ـــ لو أنى استطعت استعادة الفتاة، فهل تعطونها لى؟.

أجابت الأم:

ـــ نعم، ويمكنك الزواج بها بالطبع.

عندئذ تحول ابن الملك إلى مجذوم تغطى القروح وجهه بالكامل وجسمه كله. وقال للناس:

ـــ سوف أذهب إلى الماء وأغطس فيه. وعندما ترون الماء قد تحول إلى اللون الأبيض لا تفرحوا. وعندما ترونه وقد تحول إلى اللون الأسود فابدؤوا فى البكاء. وعندما يتحول لون الماء إلى الأحمر، عندئذ يمكنكم أن تفرحوا.

ردوا عليه قائلين:

ـــ حسنا.

أخذ ابن الملك موسا للحلاقة وسكينا، وغطس فى قلب الماء.

وصاح يهتف إلى دودو زوج الفتاة:

ـــ مرحبا يا ملك الماء، ألا تريد حلاقة ذقنك؟.

رد دودو:

ـــ نعم، أريد.

أخرج ابن الملك موس الحلاقة، ومضى يحلق به شعر ذقن دودو. وبينما وقف الناس ينظرون إلى الماء فى ذلك الوقت، صار لون الماء أبيض. وظلوا ينتظرون لبعض الوقت حتى شاهدوا لون الماء وقد أصبح أسود. عندئذ بدؤوا فى البكاء. وأخيرا شاهد الناس الماء وقد صار أحمر اللون. وكان هذا الأمر يعنى أن

ابن الملك قد قطع رأس دودو. ففرح الناس ومضوا فى قرع الطبول والأجراس. وأخرج ابن الملك الفتاة من الماء. وشاهد والداها ابنتهم، فانهمرت دموعهم من السعادة.

تزوج ابن الملك من الفتاة وذهب بها إلى بيته.

لم تحب الفتاة زوجها المجذوم. وعندما كانت تعد الطعام، كانت تقدمه عادة إلى زوجها فى طبق قذر، فلم تكن تغسل الأطباق بعد تناول الطعام، بل تتركها متسخة. وكانت تعطيه الماء فى قدح متسخ أيضا.

وذات يوم نادى ابن الملك على الناس وقال لهم:

ــ أترون الأطباق القذرة التى آكل طعامى فيها؟ أترون القدح المتسخ الذى أشرب الماء منه؟ إن زوجتى لا تحبنى؛ لأن جسمى مغطى بالقروح. ولهذا فإنى اليوم أريد تغيير هيئتى.

وغطس ابن الملك فى الماء وأخذ يستحم فيه، حتى أصبح جسمه نظيفا وجميلا.

وأسرعت إحدى النساء لتخبر الفتاة بذلك الأمر:

ــ إن زوجك الذى لا تحبينه قد أصبح اليوم رائع الجمال. فاذهبى بسرعة واغسلى أطباقه وقدحه الذى يشرب فيه، اغسليهم جيدا.

ــ حسنا.

قامت الفتاة بغسل الأطباق والقدح، وأعدت لزوجها طعاما طيبا، وجلست تنتظره.

عاد زوجها إلى البيت وشاهد الأطباق والقدح بعد أن أصبحت نظيفة، ونظر إلى الطعام الشهى الذى أعدته الزوجة. فقال:

ـــ لا أريد تناول الطعام فى هذا الطبق النظيف، ولا الشرب من هذا القدح النظيف، بل قدمى لى الطعام فى طبقى القذر، وصبى لى الماء فى قدحى المتسخ. ولكن لو أنكِ ذهبتِ وأحضرتِ لى ذيل اللبؤة، ونظفت به طبقى وقدحى، فسوف أتناول منهما الطعام والماء.

ردت الفتاة:

ـــ حسنا.

وذهبت إلى حجرتها وأخذت تفكر فى نفسها: "كيف يمكننى الحصول على ذيل اللبؤة؟"، ثم ذهبت إلى امرأة أخرى وقصت عليها كل شيء قائلة:

ـــ إن زوجى لا يريد تناول الطعام فى طبق نظيف، ولا يريد الشرب من قدح نظيف، بل طلب منى الذهاب للحصول على ذيل اللبؤة، وغسل الطبق والقدح به، وعندئذ فسوف يأكل ويشرب منهما.

ردت المرأة:

ـــ لقد فعل ذلك لأنك أسأتِ معاملته. وهو ينتقم منك الآن، ولكننى سوف أساعدك. فخذى قليلا من الحبوب واغسليها، ثم اتركيها حتى يلتف الذباب عليها. واجمعى ذلك الذباب وقومى بسلقه، ثم احمليه إلى الغابة. وعندما تصلين إلى الغابة وتشاهدين اللبؤة هناك، تسلقى الشجرة واجلسى فوقها حتى تفتح اللبؤة فاها. وعندئذ عليكِ إلقاء الذباب داخل فم اللبؤة، فيمكنك الحصول على ذيلها.

دخلت الفتاة بيتها، وأحضرت الحبوب وغسلتها، ثم تركتها حتى حط عليها الذباب. فقامت بسلق الذباب، وحملته معها إلى الغابة. وهناك شاهدت اللبؤة.

كانت اللبؤة تضفر شعر الضبع. وعندما أصابها التعب فغرت فاها. فحملت الفتاة بعض الذباب، وألقت به مسرعة فى فم اللبؤة التى ابتلعته. وبعد مرور بعض الوقت فتحت اللبؤة فاها ثانية، فألقت الفتاة بالذباب داخل فمها. وقالت اللبؤة للضبع:

ــ عد إلى البيت فقد تعبت اليوم.

لم يدرك الضبع أن اللبؤة قد شعرت بالمذاق الحلو فى فمها، ولذلك طلبت منه الرحيل. ورحل الضبع، أما اللبؤة فوقفت تتطلع نحو الشجرة. وعندما لم تر أحدا سألت:

ــ من الذى هناك فوق الشجرة؟.

ردت الفتاة:

ــ إنها أنا الفتاة.

سألتها اللبؤة:

ــ اهبطى من فوق الشجرة.

ــ لا يمكننى الهبوط.

ــ ولماذا لا يمكنك الهبوط؟.

ــ لأن أطفالك سوف يفترسوننى لو أننى هبطت.

ــ لا، لا، لن يأكلك أحد. فاهبطى ولا تخشى شيئا.

هبطت الفتاة من فوق الشجرة، وأعطت بقية الذباب إلى اللبؤة. فسألتها اللبؤة قائلة:

ــ ما الذى أتى بك إلى هنا؟.

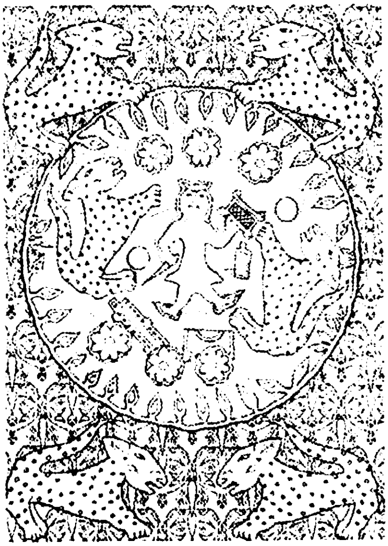
ـ إنى أحتاج إلى ذيل أحد من أشبالك.

ـ حسنا. فلنذهب معا وسوف أخفيكِ عنهم كى لا يشاهدوك عندما يعــودون إلى البيت.

دخلت الفتاة إلى الحجرة، وأغلقت اللبؤة الباب عليها هناك.

وعنــدما هبط المســاء عاد أشبال اللبؤة إلى البيــت، واشتمــــوا رائحــة بشرية فقالــوا:

ـ أيتها الأم العزيزة! نحن اليوم نشتم رائحة إنسان.



ردت اللبؤة:

ـ هذا غير حقيقى، فليست هناك أية رائحة لإنسان.

وأخذت اللبؤة فى البكاء وقالت:

ـ اهئ اهئ، أنتم تقولون إن هناك رائحة لإنسان، بينما لا أشعر أنا بها.

وعندما ذهب الأشبال للنوم، دخلت اللبؤة حجرة الفتاة وقالت لها:

ــ اذهبى واقطعى ذيل أصغر الأشبال. ولكن لو شاهدتِ ضوءا فى الحجرة فلا تدخليها، فهذا يعنى أن الأشبال لم يستغرقوا فى النوم بعـد. وعنـدما ترين الحجرة مظلمة تماما فيمكنك الدخول، حيث إن ذلك يعنى أنهم قـد راحوا فى النوم.

دست الفتاة السكين فى جيبها، ودخلت إلى حيث ينام الأشبال. لكنها شاهدت ضوءا فركضت مسرعة واختبأت. وذهب الأشبال إلى اللبؤة وقالوا لها:

ــ لقد شاهدنا إنسانا يا أمنا.

ــ هذا ليس حقيقيًا. فاذهبوا للنوم.

ذهب الأشبال وراحوا فى النوم. وعندما شاهدت الفتـاة أن الظـلام يلـف الحجرة، دخلت إليها وقطعت ذيل أصغر الأشبال. وعادت إلى اللبؤة التى قالت لها:

ــ والآن عليكِ الهروب من هنا والعودة إلى مدينتك.

شكرت الفتاة اللبؤة وفرت هاربة.

كان الأشبال يستيقظون كعادتهم فى الصباح بتلك الكلمات: "لقد استيقظت مع ذيلى". وقد استيقظوا فى هذه المرة وهم يرددون كعادتهم: "لقد استيقظت مع ذيلى". وعندما استيقظوا جميعا صاح أصغر الأشبال مذعورا:

ــ إنى لا أجد ذيلى! فلم يبق منه سوى قطعة صغيرة. فمن الذى قطع ذيلى؟.

حمل الأشبال طبولهم وأخذوا يقرعون عليها صائحين:

ــ عد إلـى الخلف! إلى الخلـف! يا من قطعت ذيل أصغر الأشبال، عـد إلى هنا!.

سمعت الفتاة صوت قرع الطبول، فاستدارت عائدة بعد أن صارت بالقرب من مدينتها. وعندما شاهدت اللبؤة الفتاة تسير عائدة إليها قالت لأشبالها:

ـ اتركوا لى هذه الطبول، فسوف أضرب عليها بنفسى.

حملت اللبؤة الطبول وأخذت تضرب عليها وهى تصيح:

ـ إلى الأمام! إلى الأمام!.

استدارت الفتاة ثانية ومضت تسير إلى الأمام نحو مدينتها. وعندما وصلت إلى هناك ذهبت إلى بيتها، وقامت بغسل طبق الزوج وقدحه بذيل الشبل، ثم وضعت له الطعام فى الطبق، وصبت الماء فى القدح، وقدمتهما إليه. وعندئذ أكل الزوج طعامه وشرب ماءه، وكان سعيدا. وفى هذا اليوم عرفت الفتاة أن زوجها هو ابن الملك.

وهذا كل ما جرى، وانتهت الحكاية.

٤٢. فارا وأطفالها

(١)

عندما كان أندريام باهواك أعزب بعد، كان هناك ثلاث شقيقات. وأرادت كل منهن الزواج منه. فقالت أكبرهن:

ـــ لو أننى تزوجت من أندريام باهواك، فسوف أغزل له مفرشا من الحرير.

ووعدت الثانية بنفس الشيء.

أما فارا فقالت:

ـــ لو أننى أصبحت زوجة له، فسوف أنجب له ثلاثة أبناء.

مرت الأيام وتزوجت الشقيقات الثلاث من أندريام باهواك، الذى أحب فارا أكثر من الأخرتين. فقد كانت أجملهن!.

بعد مرور بعض الوقت أرادت فارا الحصول على ثمانية قطعان من الثيران. وسافر أندريام باهواك لشراء الثيران، حيث إن ما لديه منها لم يكف.

وأنجبت فارا التواءم الثلاثة أثناء غياب زوجها. وفى تلك الليلة التى وضعت فيها، خبت النار فى البيت وانطفأت. فطلبت فارا من الخادمة:

ـــ اذهبى إلى شقيقتى للحصول على النار. وتصنعى البكاء والحزن، ولا تخبرى أحدا بأننى وضعت.

خرجت الخادمة وتصنعت الحزن والبكاء وهى تقول:

ـ افتحوا الباب، لقد ضربتنى فارا!

فتحت الشقيقتان الباب وأخذتا فى النميمة عن فارا:

ـ يا لها من آثمة! إنها تلهو بضرب خادمتها المسكينة!.

جلست الخادمة بالقرب من النار. واختطفت قطعة حطب مشتعلة وأخبأتها فى جرابها دون أن يلحظها أحد، وعندما التفتت الشقيقتان عنها فرت مسرعة، وأحضرت قطعة النار إلى سيدتها.

بعد مرور بعض الوقت من الولادة شعرت فارا بالتحسن، ولكن فجأة صرخ أحد الأطفال وبكى بصوت عالٍ. وسمعت الشقيقتان صوت بكائه، فاقتربتا من الباب تصيحان على الخادمة:

ـ افتحى الباب أيتها الفاشلة!.

فتحت الخادمة الباب، فانقضت الشقيقتان عليها وهن فى ثورة من الغضب:

ـ لقد أنجبت شقيقتنا وأخفيتِ عنا الأمر أيتها اللئيمة!.

فقد شعرت الشقيقتان بالحسد يفور بداخلهن، عندما شاهدتا شقيقتهما الصغرى وقد أنجبت. فقد خشيت الفتاتان من أن زوجهما لن يحبهما بعد ذلك. فحملتا فك ثور، وعصا من الحديد ومطرقة، ووضعتا هذه الأشياء فى المكان الذى أنجبت فيه فارا. أما المواليد الصغار فحملتهما الفتاتان، ووضعتهما فى صندوق، وألقتا به فى مياه النهر.

وعندما عادت الفتاتان إلى القرية جمعتا الناس وقالتا:

ـ أيها الناس! لقد حدث مكروه لشقيقتنا، فقد أنجبت فك ثور، وعصا من الحديد، ومطرقة. وعندما سمع الناس بهذا الأمر طردوا فارا من القرية، وأقاموا لها كوخا خارج القرية، حيث أصبحت تعيش به.

جاء الصباح، وحمل تيار الماء الصندوق الذى يحتوى على المواليد الثلاثة بعيدا. ووصل الصندوق إلى مكان بالقرب من البيت الذى عاش به الساحر رانا كومبى مع زوجته. وعندما شاهد الزوجان الصندوق، أدركا أن الصندوق يعود لأندريام باهواك، فأمرا الصندوق قائلين:

ـ لو أنك صندوق أندريام باهواك فاسبح إلى هنا!.

غير الصندوق اتجاهه فى الحال وسبح نحوهما. وعندما فتحا الصندوق اعترتهما الدهشة والخوف، وذلك عندما شاهدا بداخله التواءم الصغار الثلاثة.

أخذ الزوجان يفكران: "لمن أولئك الأطفال الحسان؟". ونظر الزوجان فى كتاب التنجيم، فعرفا أنهم أطفال فارا زوجة أندريام باهواك.

حمل الزوجان الصغار وأخذا فى تربيتهم ورعايتهم. وعندما كبر الأطفال منحهما الزوجان الأسماء. فأطلقا على الأكبر منهم اسم أندريام نيتسيماتيناسايكيا، والأصغر أندريام أندريادياڤوليا، وأطلقوا على الفتاة اسم إينجيالين جياليفولا.

وعندما استطاع الأطفال التجول بمفردهم، خرجوا للعب فى قرية أندريام باهواك. ومضوا فى الغناء:

ـ هل عاد أندريام باهواك من سفره البعيد؟.

ـ لا.

ـ هل ما زالت فارا تعيش خارج القرية بعد؟.

ـ نعم.

ـ وهل سوف تلقى العذاب من اعتقدت أنها لن تلقى العذاب؟.

ـ نعم.

ـ وهل سوف تبكى. تلك التى ظنت أنها لن تبكى أبدا؟.

ـ نعم.

وفى كل مرة تجول الأطفال فيها، كانوا يرددون نفس الأغنيـــة. وتملكــت الدهشة الناسَ لدى سماعهم الأغنية وصاروا يسألون بعضهم بعضا:

ـ من أولئك الأطفال الذين يغنون بصورة جيدة على هذا النحو؟.

ومع مضى الوقت عرفت الشقيقتان أن أطفال فارا ما زالوا أحياءً، فتملكهما الرعب والخوف.



مر زمن وعاد أندريام باهواك من سفره. وكان فـــى حالـــة مـــن الدهـــشة والذهول عندما شاهد فارا، وقد أصبحت نحيلة كالغصن الذابل. فقد كانـــت تأكـــل القليل والسيئ من الطعام الذى كانت تحضره لها خادمتها خلسة، وذلك لأنها كانت تخشى شر الشقيقتين.

قالت الشقيقتان لأندريام باهواك:

ـ لقد أنجبت زوجتك فك ثور، وعصا من الحديد ، ومطرقة.

قالت فارا لزوجها إن هذا الأمر غير حقيقى، وإنها أنجبت لـه ثلاثـة مـن الأبناء، ووضعت الشقيقتان الحاقدتان أطفالها فى صندوق، وألقتا به فى مياه النهر.

نادى أندريام باهواك على جميع الشقيقات، وتجلت الحقيقة أمامه على الفور. فقد كان لدى فارا شهود، وهم الزوج رانا كومبى وزوجته، اللـذان قامـا بتربيـة أطفالها.

عندئذ أمر أندريام باهواك بقتل شقيقتى فارا من أجل مـا سـببتاه مـن أذى وحزن لزوجته المحبوبة. أما فارا وأبناؤها الثلاثة، فقد عاد إليهم الفرح والـسرور، ورجعوا إلى قريتهم.

(٢)

كان هناك كهف يقع جنوب قرية أندريام بـاهواك. وعاشـت بـه إكليياليـا مبيسيمبا، وهى نصف امرأة بيد واحدة وساق واحدة. وذات يـوم كانـت إكليياليـا مبيسيمبا- وقد كبرت فى ذلك الوقت- تلعب مع الأطفال بجوار الكهف، ونظـرت إكليياليا مبيسيمبا فشاهدت إينجيالين جياليفولا وقالت لها:

ـ يا إلهى! يا لكِ من جميلة يا إينجيالين جياليفولا! ولكن لو وضعتِ عقـدا من أسنان التمساح فسوف تصبحين أكثر جمالا!.

ذهبت إينجيالين جياليفولا وقالت لوالدها:

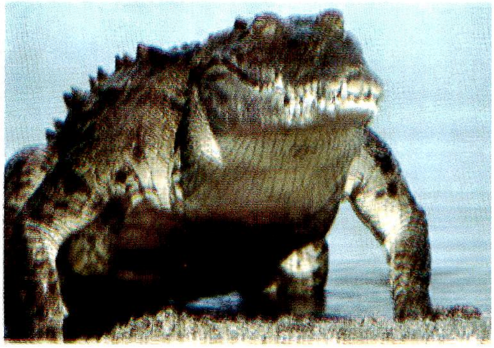
ـ أيها الوالد، لو كان لدى زينة من أسنان التمساح، لأصبحت أكثر جمـالا. فمن أين لى الحصول عليها؟.

رد أندريام باهواك:

ـ إن التمساح يعيش فى أعماق النهر، فكيف يمكن الحصول على أسنانه؟.

وغضب غضبا شديدا على إكلياليا مبيسيمبا بسبب نصيحتها لابنته، فأخرج سلاحه وأطلق النار عليها. ولكن إكلياليا مبيسيمبا اختبأت فى الكهف ولم تصبها الرصاصة. وهنا قال أندريام نيتسيماتيناسايكيا:

ـ ما دامت شقيقتنا تريد أسنان التمساح فقط، فسوف نحصل عليهما!.



وخرج الاثنان حاملين أسلحتهما لقتل التمساح. وعندما وصلا إلى شاطئ النهر، شاهدا التمساح نائما فوق الرمال. فقاما بإطلاق النار عليه وقتلاه، ثم انتزعا أسنانه وحملاها إلى شقيقتهما. وعندما حصلت إينجيالين جياليفولا على أسنان التمساح، أسرعت نحو الكهف ومضت تسير بخيلاء أمام إكلياليا مبيسيمبا وهى تقول:

انظرى إلى زينتى الرائعة!.

ردت الأخرى:

ـ نعم، لقد أصبحت الآن رائعة الجمال، ولا ينقصك سوى شىء واحد صغير. فلو كان لديك أنياب فرس النهر لأصبحت جميلة الجميلات!.

ذهبت إينجيالين جياليفولا إلى والدها وقالت له:

ـ لو كان لدى أنياب فرس النهر لأصنع منها زينة أتحلى بهـا، لـصرت أجمل الجميلات.

رد أنرديام باهواك:

ـ ما الذى جرى لك يا طفلتى؟ إن فرس النهر يعيش فى أعمق المياه، ولو أن أحدا جرؤ على النداء عليه، فلن يخرج فى جميع الأحوال، ولو خرج فلن يستطيع أحد مواجهته. فهو وحش ضخم وقوى جدا. فكيـف يمكـن الحصول على أنيابه؟.

واجتمع الأشقاء مرة أخرى وقالوا:

ـ اسمح لنـا أيها الوالد بالذهاب والحصـول على أنياب فرس النهر مـن أجْل شقيقتنا.



وانطلق الشقيقان حتى وصلا إلى المكان الذى ينام فيه فرس النهر. واسـتمرا وقتا طويلا وهما يهزانه ويدفعانه حتى خرج من الماء. وكانت أنفاس فرس النهر تنفث سخونة وهو فى عمق الماء. وفكر الشقيقان: "كيف يمكننا أن نهزم هذا الوحش؟".

وفكر أحدهما:

ــ عليك أنت الذهاب للأمام قليلا، بينما أتراجع أنا إلى الخلف، وعندما يهجم علينا نختبئ بين الشجيرات.

وهكذا، فعل الاثنان. وعندما خرج فرس النهر من الماء، شاهد أحدهما يقف أمامه بين الشجيرات، فأسرع يهجم عليه، لكن أنياب فرس النهر انغرست في الشجيرات. أما شقيقه الواقف في الخلف، فقام برشق رمحه في رقبة فرس النهر حتى شق بطنه. وعندما سقط فرس النهر ميتا، انتزع الشقيقان أنيابه وحملوها إلى شقيقتهم.

عندما حصلت إينجيالين جياليفولا على أنياب فرس النهر أسرعت للعب في كهف إكلياليا مبيسيمبا. وقالت لها:

ــ انظري إلى زينتي!.

اعترت الدهشة إكلياليا مبيسيمبا وقالت:

ــ إن أشقاءك يحبونك حبا كبيرا. فقد أصبحت الآن جميلة الجميلات. ولكن لا ينقصك سوى شيء صغير جدا، فلو كان لديك عائلة من الماموكور ليصبحوا خدما لك، لصرت أسعد السعيدات.

عادت إينجيالين جياليفولا إلى البيت. وحكت لوالدها، كالعادة، الأمر. فأجابها:

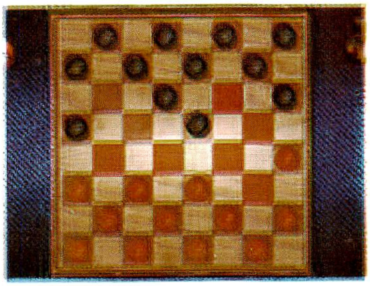
ــ كيف يمكن الإمساك بعائلة من الماموكور يا ابنتي؟ فلو أن أحدا جرؤ على الذهاب إليهم، فسوف يمزقونه إربا.

جاء الشقيقان مرة أخرى وأخذا يتوسلان إلى والدهما:

ــ اسمح لنا أيها الوالد أن نقوم بهذا الأمر!.

وانطلق الاثنان إلى أرض المامو كور. وأخذا قاربا وصارا يجدفان فى النهر الفاصل بين أرض أندريام باهواك وأرض المامو كور. وعندما اقتربا من قريتهم لم يدخلها الشقيقان عبر الجانب الشرقى، بل التفا من حولها واتجها ناحية الغرب.

وعند اقترابهما من القرية، شاهدا المامو كور يلعبون لعبة فانورون[١]. كما شاهد المامو كور الشقيقين أيضا، فسألاهما:



ـ من أين أتيتما؟.

رد الشقيقان:

ـ لقد أتينا من الغرب.

فقد عرف الشقيقان أن المامو كور لا يقتلون القادمين من الغرب؛ لأن أصل المامو كور أنفسهم من هناك.

فرح المامو كور وقالوا:

ـ فلتنضما إلينا إذن.

انضم الشقيقان إلى جلسة المامو كور، ودار الحديث بينهم:

ـ كيف حال فلان وفلان هناك؟.

---

(١) (لعبة الداما- المترجم).

ـــ إنهم بصحة جيدة.

ـــ وكيف يعيش فلان؟.

ـــ إن فلانًا هذا قد مات!.

أخذ الماموكور يبكون لدى سماعهم بموته، ثم بدؤوا فى إعداد طعام العشاء.

وعندما حل المساء وحان وقت النوم، سأل الماموكور الشقيقين:

ـــ أتريدان النوم هنا فى البيت الكبير أم فى مكان آخر؟.

ـــ هنا بالطبع.

ـــ إذن، سوف تنامون مع أطفالنا.

وأعدوا الفراش للشقيقين.

وعندما انطفأت النار ظلت الحجرة مضيئة كما كانت، ذلك لأن الذيول الحادة لأطفال الماموكور تشع نورا مثل الشموع.

وبعد أن راح الجميع فى النوم حمل كل من الشقيقين طفلا، ووضعا الذيل الحاد لكل طفل داخل جراب جلدى، وذلك حتى لا يجرحهما، ثم وضعا الطفلين فوق أكتافهما وفرا هاربين.

خرج الماموكور فى الصباح يبحثون عن الشقيقين، ولكنهم لم يلحقوا بهما.

نجح الشقيقان فى العودة إلى البيت بسلام. وقاما بقطع ذيلى طفلى الماموكور، وذهبا بهما إلى شقيقتها. فخرجت الشقيقة ثانية وهى تسير مزهوة بنفسها، أمام إكلياليا مبيسيمبا التى ازدادت دهشتها وقالت:

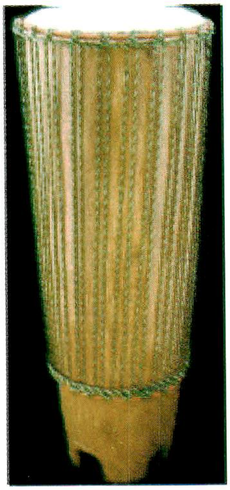
– نعم، لقد أصبحت الآن أسعد السعيدات حقا، ولا ينقصك سوى شىء صغير جدا كى تصبحى فاتنة الفاتنات، وهذا الشىء هو طبل إيماسو أمباتان[1]، الذى يظل صوت قرعه يتردد عاليا حتى لو لمسته الذبابة.

ذهبت إينجيالين جياليفولا إلى البيت، وحكت لوالدها الأمر. ورد الوالد قائلا:

– وكيف يمكن الحصول على ذلك الطبل؟ فمجرد الاقتراب يعنى المخاطرة بالحياة والتعرض للقتل!.

لكن الشقيقين قالا:

– لو أن الأمر كذلك فاسمح لنا بالخروج للحصول على الطبل.



وانطلق الشقيقان إلى عاصمة أرض إيماسو أمباتان، لكنهما دخلا إليها من الجنوب، بعد أن التفا حولها من الشمال.

---

(١) إيماسو أمباتان– هم الناس ساكنو الجنوب، الذين يضعون عيونهم فى الموقد عندما يرقدون للنوم.

وعندما وصلا إلى هناك، كان شقيقان من الإيماسو أمباتان يتناولان طعام الغذاء، وسألا القادمين:

ـ من أين أتيتما؟.

ـ لقد جئنا من الجنوب.

ـ إذا، انضما إلينا.

انضم الشقيقان إلى جلستهما، ودار بينهم الحديث:

ـ وكيف الحال هناك؟.

ـ كل الأمور تسير على نحو طيب.

ـ وكيف حال قريبنا فلان؟.

ـ للأسف، لقد مات.

ـ وكيف حال فلان الآخر؟.

ـ أحواله طيبة.

بعد انتهاء الحديث أخذ الجميع فى تناول الطعام.

لم يحزن شقيقا إيماسو أمباتان كثيرا لدى سماعهم خبر موت قريبهما؛ لأنهما كانا فى حالة من السعادة بالتعرف على الشقيقين.

وعندما هبط الليل رقد الجميع للنوم. فنام شقيقا إيماسو أمباتان بفراش، ونام الشقيقان على فراش آخر. وعندما راح شقيقا إيماسو أمباتان فى النوم، شاهد الشقيقان أعين شقيقى إيماسو أمباتان فى الموقد. فاعترتهما الدهشة وتسللا بحذر وأخذا الطبل. وما أن لمساه بالكاد، حتى تردد قرع صوته عاليا. كان شقيقا إيماسو أمباتان يشاهدان حلما فى ذلك الوقت. فهتفا فى نومهم:

ـــ يا له من شيء رائع!

وضع الشقيقان الطبل فى حقيبة جلدية كى يكتمان صوته.

أما شقيقا إيماسو أمباتان فكانا يهذيان فى حلمهما:

ـــ ما الذى جرى لطبلنا؟ ولماذا أصبح صوته مكتوما؟.

وراح الاثنان فى النوم مرة أخرى.

وتحرك الشقيقان من جديد، فهتف شقيقا إيماسو أمباتان:

ـــ اقرعوا الطبل أيها الأخوة!.

وعندئذ زال الخوف عن الشقيقين، وأخذا يضربان الطبل بصوت عال. وراح شقيقا إيماسو أمباتان فى نوم عميق، ولم يسمعا شيئا مما يدور حولهما. فرحل الشقيقان حاملين الطبل معهما.

وعندما عادا إلى البيت، أحضرا الطبل إلى شقيقتهما، التى أسرعت إلى إكلياليا مبيسيمبا وقالت لها:

ـــ والآن، كيف أصبح حالى يا إكلياليا مبيسيمبا؟.

ردت إكلياليا مبيسيمبا:

ـــ لقد صرت الآن أعظم العظيمات، ولا يستحق أن يكون زوجك سوى ابن الإله.

عادت إينجيالين جياليفولا وحكت لوالدها الأمر. فرد عليها بخوف:

ـــ ألا ترين كيف أن السماء بعيدة عالية؟ فكيف يمكنك الزواج من ابن الإله؟.

هتف الشقيقان بشجاعة:

ـ اسمح لنا أيها الوالد أن نأخذ ابن الإله زوجا لها!.

حمل الشقيقان معهما زادا يكفى للطريق الطويل. وانطلقا نحو الشرق، حيث كان هناك بئر يجلب منه الماء أتباع أندريا مانيترا (هو خالق الأشياء والبشر).

وصل الشقيقان إلى البئر، وجلسا يأخذان قسطا من الراحة. وبعد مرور بعض الوقت، جاء الأتباع لجلب الماء فشاهدوهما. وعند عودتهم حكوا الأمر لأندريا مانيترا:

ـ يوجد بالقرب من البئر شابان آية فى الجمال.

أصدر أندريان مانيترا أمره قائلا:

ـ اذهبوا واسألوهما، إن كانا من النساء أم الرجال.

عاد الأتباع إلى البئر وسألوا:

ـ هل أنتم من النساء أم الرجال؟.

لم يرغب الشقيقان فى الإجابة. ولكن بعد إلحاح الأتباع عليهما قال الشقيقان:

ـ أخبروا أندريا مانيترا أننا من الرجال؟.

عاد الأتباع وحكوا الأمر لأندريا مانيترا. فثار غاضبا وقال:

ـ اذهبوا واقتلوهم بما أنهما من الرجال:

ـ ذهب الأتباع وقتلوهما.

كانت القرية فى ذلك الوقت قد تعبت من انتظار عودة الشقيقين. وذات مرة قالت إينجيالين جياليفولا لوالدهما:

ـ سوف أذهب للبحث عن شقيقى. فأنا أخشى أن يكون مكروه قد أصابهما.

لم يسمح لها الوالد بالخروج. لكنها أصرت على ذهابها ورحلت فى طريقها. وعندما وصلت إينجيالين جياليفولا إلى البئر، شاهدت شقيقيها ميتين بجوار البئـــر. لكن جثتيهما لم يصبهما سوء، ولم تتبدل ملامح وجهيهما. وعندما أتى الأتباع لجلب الماء وشاهدوا إينجيالين جياليفولا تبكى وتنوح، عادوا إلى أندريا مانيترا، وحكوا له أن هنـــاك فتاة رائعـــة الجمـــال فاتنة الوجه تجلس بالـــقرب من البئـــــر. فقـــال أندريا مانيترا:

ــ اذهبـــوا واعرفوا إن كانت رجلا فاقتلوه، وإن كانـــت امرأة فـــأتوا بهـــا إلى هنا.

عاد الأتباع إلى البئر وسألوا إينجيالين جياليفولا:

ــ هل أنت رجل أم امرأة؟.

ردت الفتاة:

ــ أنا امرأة.

ــ فلتذهبى معنا إذا.

ــ لن أذهب معكم حتى تعود الحياة إلى أشقائى.

عاد الأتباع ثانية إلى أندريا مانيترا، فقال لهم:

ــ ابعثوا فيهما الحياة ثانية!.

عاد الشقيقان إلى الحياة، وصعدت الشقيقة مع شقيقيها إلى السماء. وهكـــذا، أصبحت إينجيالين جياليفولا زوجة لابن أندريا مانيترا.

٤٣. العجوز وبناتها

كان ياما كان فى سالف العصر والأوان عجوز تعيش فى الدنيا.

كانت العجوز أرملة فقيرة معدمة، لا تملك شيئا من المتاع سوى عشر بنات تركها لها زوجها.

وبعد أن استطاعت الأرملة تربية بناتها العشر حتى صرن فتيات بالغات، أرادت أن تزوجهن. ولم تكن ترغب فى أزواج متكبرين أو مغرورين، ينظرون بازدراء نحو الفقراء أو يحتقرونهم.

حملت العجوز بناتها ووضعتهم فى إحدى ركبتيها. فأصبحت الركبة على الفور أضخم بكثير من الركبة الأخرى.

ورحلت العجوز تجوب الأراضى والبلاد البعيدة. وكانت تضطر أثناء ترحالها للمبيت فى مختلف القرى والنجوع، ولكن أحدا من سكان تلك القرى لم يستقبلها بكرم الضيافة، حيث إن الناس ظنوا أنها من المتسولين، وذلك بسبب هيئة ركبتها المتضخمة بعد أن وضعت بناتها العشر بداخها.

وذات يوم وصلت إلى أحد الزعماء الذى استقبلها بحفاوة بالغة. وسأل العجوز عن المكان التى أتت منه، والأماكن التى مرت بها فى سيرها. فردت العجوز على الزعيم:

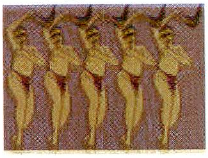
ـ إنى أجوب الدنيا باحثة عن الأخيار من الناس الذين يمكنهم الاهتمام بى. وقد كنت فى يوم من الأيام زوجة، مثلى فى ذلك مثل كل الناس.

لكن زوجى تركنى ورحل عن الدنيا إلى حيث ذهب أسلافنا. والآن بعد أن جئت إلى هنا، لا أتصور كيف يمكننى مواصلة السير، حيث إن التعب قد حل بى.

أشفق الزعيم عليها، وذهب بها إلى كوخ زوجته الكبرى كى يطعموها هناك. لكن الزوجة الكبرى رفضت استقبالها، وقالت إنها لا ترغب فى العيش مع عجوز فقيرة مثلها. عندئذ طلب الزعيم من زوجته الثانية استقبال العجوز لديها ومشاركتها مسكنها، غير أن الزوجة الثانية رفضت بدورها مثل الأولى. ورفضت جميع الزوجات استضافة العجوز لديهن، حتى جاء الدور أخيرا على أصغر الزوجات، والتى وافقت على رعاية العجوز، واصطحبتها معها إلى كوخها. وأمرها الزوج بحسن معاملة المرأة العجوز.

صارت الزوجة الصغرى تشعل النار طوال الوقت، وتطعم العجوز بالحساء والعصيدة وبكميات كبيرة. وقد أسعد هذا الأمر العجوز، حيث إنها لم تأكل الطعام بمفردها. وشاهدت الزوجة الصغرى أن العجوز كانت تأكل كل الطعام ولا تبقى منه شيئا. وعندما يسود الظلام كانت تعطيها الزيت حتى تدهن به جسمها ولا تشعر بالبرد أثناء النوم.

وفى صباح أحد الأيام طلبت العجوز سلة ضخمة من الحبوب، كى تقوم بطحنها عندما تصبح بمفردها. ولما خرج الجميع إلى الحقل، أخرجت العجوز بناتها من ركبتها، وقدمت إليهن الطعام ليأكلن منه. وعندما انتهين من تناول الطعام، قام البعض منهن بطحن الحبوب، وخرج البعض لجلب الماء، والبعض الآخر لجلب الحطب. أما العجوز فقد تسلقت صخرة عالية، وجلست عليها تترقب عودة سكان القرية، وذلك كى تخفى بناتها فى ركبتها قبل عودة السكان.



وعند الغروب بدأ الناس فى العودة إلى بيوتهم، فهبطت العجوز من فوق الصخرة، ونادت على بناتها كى تعدن وتدخلن فى ركبتها. ودخلت البنات واحدة تلو الأخرى كما تفعل الجرذان وهى تتسلل إلى جحورها. عندما عاد الناس اعترتهم الدهشة، عندما شاهدوا العجوز جالسة بركبتها المتضخمة كما لو أن شيئا لم يحدث. أما المرأة التى شاركتها بيتها، فقد دهشت أكثر من الجميع لما قامت به العجوز من أعمال البيت. فقد كان هناك ما يكفى من الحطب، والكثير من الدقيق المطحون، والمياه تفيض من الزلع، وكل أعمال البيت تم إنجازها.

ظلت العجوز تفعل هذا الأمر كل يوم. وذات مرة قررت الزوجة الصغرى أن تراقب العجوز لتعرف الطريقة التى تنجز بها أعمال البيت فى وقت قصير. ويا للذهول الذى اعتراها، عندما شاهدت العجوز يخرج من ركبتها عشر فتيات آية فى الحسن والجمال. وكان بعضهن يتمتع باللون البنى الفاتح مثل ثمار جوز الهند، والبعض منهن باللون الأغمق قليلا، ولم توجد بينهن واحدة سوداء الجلد تماما. كانت الفتيات جميعهن رائعات الجمال. ولم تستطع المرأة الشابة تكتم أمر الفتيات الفاتنات؛ لذلك أخبرت زوجها عن العجوز وبناتها العشر.

وأراد الزوج أن يرى بنفسه المعجزة التى تقوم بها العجوز. فظل مع زوجته يراقبان العجوز خلسة. وعندما خرجت الفتيات العشر من ركبتها، وتسلقت العجوز الصخرة العالية، خرج الرجل فجأة قافزا من مخبئه وركض نحوها. ولم يسعف الوقت العجوز لإعادة بناتها إلى ركبتها، واضطرت العجوز أن تحكى له عما تفعله بناتها وتقوم به للمساعدة فى أمور البيت، ثم قالت لزوجة الزعيم إن زوجها يمكنه الزواج من بناتها العشر.

وعندما سمع الزعيم بذلك الأمر فرح به كثيرا، وطرد زوجاته اللاتى رفضن استضافة العجوز. أما الزوجة الصغرى التى ساعدت العجوز وأطعمتها، فقد صارت الزوجة الكبرى للزعيم. وعاش الجميع معا طويلا طويلا فى سعادة وسلام.



٤٤. فتاة البركة الجميلة

خرج الرجال إلى الصيد. وعندما ساروا بعض الوقت، قابلوا فتاة مكسوة بالأساور والأطواق الرائعة[1]. فقام أحد الرجال بإلقاء التحية عليها، وردت الفتاة بالتحية هى الأخرى. فقال لها الرجل:

ـ أعطينى بعض الطعام!.

ـ خذ ما شئت، فلدى الكثير منه.

ـ لكنى لا أريد ذلك الطعام!.

ـ وما الذى تريده؟.

ـ أريدك زوجة لى.

ـ انتظر قليلا حتى أذهب وأخبر أمى.

أخذت الفتاة فى النداء:

ـ يا أمى!.

ـ نعم؟!.

ـ إن هذا الرجل يريدنى زوجة له!.

---

(١) عند شعوب شرق أفريقيا تشتهر نساء الأكامبا بالسلاسل والأطواق الرائعة التى يصنعونها للزينة.

تحرك ماء البحيرة وهدر، حتى خرج فى أمواج متلاطمة، وبرزت رأس نارية من قلب الماء. وعندما شاهد الصيادون ذلك الأمر، انتابهم الذعر وفروا هاربين، وذلك بعد أن ألقوا بالطعام والأقواس والثياب. وعندما ابتعدوا عن المكان قالوا:

ــ لا يمكننا المبيت بالقرب من هذا المكان، فالرعب يخيم عليه، وينبغى علينا الرحيل غدا والعودة إلى البيت!.

عاد الصيادون إلى قريتهم وحكوا للناس هناك:

ــ لقد شاهدنا فتاة وأمها التى تعيش فى الماء. وكانت الفتاة رائعة الجمال، أما أمها فيا للهول!.

ــ ومن تشبه أمها؟.

ــ إنها إيمو[١].

رد الآخرون:

ــ هذا ليس بالأمر المهم. فلنذهب ونشاهد الفتاة معك. فنحن لا نخشى إيمو.

أعد الصيادون عدتهم وخرجوا ثانية إلى الغابة. وتبعهم فتى صغير حاولوا إقناعه بالعودة إلى البيت لكنه رفض. فواصلوا سيرهم حتى وصلوا إلى المكان الذى ترك به الصيادون أغراضهم من الرعب. وقالوا:

ــ والآن هيا بنا نواصل السير، ونصطحب تلك الفتاة معنا إلى البيت.

وعندما شاهدوا الفتاة صاحوا قائلين:

---

(١) إيمو هو الوحش آكل لحوم البشر.

ـ فاكيبيا[1] أيتها الفتاة!.

ـ مرحبا!.

ـ نريدك أن تطعمينا!.

ـ يوجد الكثير من الطعام فى هذا الإناء!.

ـ لكننا لا نريد الطعام.

ـ ما الذى تريدونه إذا؟.

ـ نريد أن نأخذك معنا إلى البيت فى قريتنا.

ـ حسنا، انتظروا هنا حتى أنادى على أمى كى تنظر إليكم!.

ـ ولماذا عليك أن تناديها؟ لا داعى لذلك.

ـ لا، ينبغى على أمى أن ترى ذلك الذى يريد أن يأخذنى زوجة له!.

ـ إذا، نادى عليها.

ـ أيتها الأم!.

ـ نعم؟!.

ـ انظرى إلى الرجل الذى يريدنى زوجة له.

شاهد الصيادون الماء وهو يهدر ويرتفع فى أمواج صغيرة، سرعان ما تحولت إلى أمواج عالية. وبعد ذلك أطلت من قلب الماء الرأس الملتهبة. ففر جميع الصيادين مذعورين، بعد أن ألقوا على الشاطئ بأوانى الطعام. ولم يبق هناك سوى

---

(١) فاكيبيا هى صيحة التحية التى يلقيها الأصغر سنا على الأكبر، والرد الرقيق من الأصغر على نداء الأكبر.

الفتى الصغير. أخذت رأس الوحش المشتعلة فى مطاردة الصيادين أولا، وبعد ذلك عادت ببطء إلى الماء وأصبحت صغيرة جدا. وقالت إيمو للفتى:

ـ مرحبا أيها الصهر!.

أجاب الفتى بجدية:

ـ مرحبا!.

قالت إيمو للفتاة:

ـ لقد سمعت أن هناك رجلا يريدك زوجة له، وهأنا أرى أمامى طفلا!.

قال الفتى:

ـ هذه هى الحقيقة أيتها الأم، ولكن هذا ليس بالأمر المهم!.

قالت إيمو:

ـ إذا فلتجلس مع زوجتك وتتحدث معها! واحضر معها فى المساء لزيارتى!.

قالت إيمو عبارتها واختفت فى ماء البركة.

وعندما هبط الليل قالت الفتاة للفتى:

ـ فلنذهب إلى حيث دعينا!.

رد الفتى:

ـ لكن الوقت قد حان للنوم، فهل يمكننا النوم فى الماء؟.

ـ نعم، يمكننا. فأغلق عينيك!.



أمسكت الفتاة بيد الفتى ومضت به، ثم قالت:

ــ والآن افتح عينيك.

وجد الفتى نفسه فى الكوخ حيث جلست حماته تغزل حقيبة، وهى فى هيئة امرأة عادية من نساء الأكامبا. وقالت المرأة له:

ــ اذهب للنوم هناك على فراش الأطفال!.

خرج الفتى فى الصباح للعناية بالبستان من أجل حماته، مثلما يفعل الأزواج الحقيقيون[١]. وعندما عاد سألته المرأة:

ــ هل تريد العودة إلى البيت؟.

ــ نعم!.

ــ إذا، اجمع أغراضك واذهب!.

---

(١) ينبغى على الأزواج فى العادة القيام ببعض أعمال الحقل لحميهم.

وقالت المرأة للفتاة:

ـ عندما تذهبان إلى بيته فربما يموت زوجك. وفي هذه الحالة عليك المطالبة بعدم دفنه، بل وضع جسمانه بين الشجيرات كما يفعلون مع الأطفال. وعندما يبدأ جسمه فى التحلل خذى يرقة من الجثة وضعيها فى زلعة العسل، ثم عليك دهان هذه اليرقة بالزيت كل يوم. وتظلين تفعلين ذلك حتى تكبر وتنمو وهى تحمل الطفل بداخلها، ثم تتحول إلى طفل. وتواصلين دهان الطفل بالزيت حتى يكبر هو الآخر، وكذلك عليك أن تعطيه اللبن. وشيئًا فشيئًا سوف ترين أنه زوجك الذى عاد إليك.

ردت الفتاة:

ـ سوف أفعل كل ما قلته.

فى الصباح التالى وصلا إلى قرية الفتى. وعندما شاهد الناس الفتى يسير مع الفتاة هتفوا قائلين:

ـ يا للعار، أمثل هذه الحسناء تصبح زوجة لهذا الطفل؟ إن مثل هذا الشيء لم يحدث من قبل أبدا!.

وحاولوا وضع السم للفتى، لكنهم لم ينجحوا فى ذلك، عندئذ قالوا للفتى:

ـ سوف نريك شيئا ما!.

وخرجوا حاملين السهام لصيد الغزال. واتخذ شقيق الفتى مكانا له فى الغابة، وأمر الفتى بالوقوف أمامه. وعندما بدأ ضرب السهام صوب الشقيق سهمه نحو شقيقه الفتى الصغير فقتله، ثم صاح مناديا للقوم:

ـ تعالوا هنا جميعا! فقد أصبت سيانى[١] دون قصد منى عندما أردت التصويب نحو الغزال.

---

(١) هو اسم الفتى الصغير الذى لم يذكر من قبل.

قال الصيادون:

ــ بما أن هذا الفعل قد أتى منك وأنت شقيقه، فلا يمكن أن يكون قد جرى عن قصد شرير.

وضعوا الفتى بين شجيرات الغابة، حيث تركوه هناك وعادوا إلى بيوتهم.

وفى المساء قالوا للفتاة:

ــ لقد مات سيانى.

ــ وكيف حدث هذا الأمر؟.

ــ أصابه شقيقه دون قصد.

ظلت الفتاة تبكى طويلا ثم سألت شقيق سيانى:

ــ كيف قتلته؟.

ــ لقد كنت أريد قتل الغزال!.

ــ نعم؟ ما هذا الذى تقوله؟ إن جميع الرجال سواء بالنسبة لى، وسوف أعيش بمفردى[١].

ظلت الفتاة تبكى زوجها شهرا. وبعد ذلك سألتهم عن المكان الذى وضعوا فيه سيانى. وذهبت الفتاة إلى هناك وأخذت يرقة من الجثة إلى البيت، ثم وضعتها فى زلعة العسل. وظلت تدهنها بالزيت كل يوم حتى كبرت اليرقة وهى تحمل الطفل بداخلها. وعندما وصلت اليرقة إلى الدرجة التى لا يمكنها النمو بعدها داخل الزلعة، أخرجت الفتاة الطفل من الزلعة، ووضعته بجوارها فى الفراش. وكان شقيق زوجها يعيش فى نفس البيت. لكنها كانت تنام بمفردها. وسرعان ما

(١) طبقا للتقاليد المحلية يتزوج الشقيق الأكبر من زوجة شقيقه المتوفى ويرثها.

كبر الطفل. وكانت الفتاة تعد له الطعام وتحمله له أسفل الفراش. وعندما شاهد شقيق سيانى هذا الأمر سألها:

ــ من الذى تطعمينه أسفل الفراش؟.

ردت الفتاة:

ــ الفئران! إنها كثيرة هناك!.

وذات مرة خرج من البيت ذلك الذى كانت تطعمه. وشاهدت الفتاة فجأة رجلا بالغا يقف أمامها. فأعطته سيفا ورمحا وقوسا وقالت له:

ــ لقد كنت ذلك الطفل الذى قتلوه عمدا عندما خرجوا لصيد الغزال. واليوم عليك الانتقام.

رد سيانى:

ــ حسنا!.

كان شقيقه الأكبر قد خرج لشرب الجعة فى قرية أخرى، وعاد مخمورا فى المساء، وعندما اقترب من البيت سمع صوت حديث يدور. فصرخ فى الفتاة:

ــ من الذى كنت تتحدثين معه؟!.

ردت الفتاة:

ــ ادخل وشاهد بنفسك!.

حمل الشقيق عصا كى يضرب بها الرجل الذى تحدثت الفتاة معه. وما إن وصل إلى الباب حتى ضربه الشقيق الأصغر فقتله انتقاما لما فعله به.

وفى الصباح التالى رحل سيانى مع زوجته من هذه القرية. واستقر بهما المقام فى مكان آخر لا يعرفه أحد.

٤٥. الريشة البيضاء

(النموذج الأول للحكاية)

كان لأحد الرجال ست زوجات. وكانت واحدة فقط منهن هى التى أنجبت له أربعة أبناء ذكور. وعندما كان أصغرهم ما زال صبيا مات الوالد وماتت الأم.

قام الأشقاء الثلاثة الأكبر بتقسيم المواشى وزوجات الوالد فيما بينهم، بينما تركوا للصغير رمحا وقالوا له:

ـ انظر لنفسك كم أنت محظوظ.

فكر الشقيق الأصغر فى نفسه: "ما الذى يمكننى فعله؟ أليس من الأفضل لى الرحيل من هنا؟". ورحل الصبى من المكان.

ظل يسير فى طريقه بعيدا بعيدا، حتى شاهد فجأة طائرا صغيرا. فقام بقتله، وجلس فوق صخرة ملساء. وفى ذلك الوقت ركض بالقرب منه أرنب. وقام الأرنب بتحية الصبى وسأله:

ـ من أين أتيت؟.

رد الشقيق الأصغر:

ـ من ذلك المكان هناك.

سأل الأرنب:

ــ ألا تريد الشرب؟.

ــ أريد.

ألا تريد تناول الطعام؟.

ــ أريد.

ــ إذا، فلتذهب معى.

قال الأرنب عبارته وأخذ الفتى معه إلى بيته حيث أطعمه وأسقاه. وعنــدما شبع الفتى وارتوى قال له الأرنب:

ــ والآن علينا مواصلة السير، فإنى أريد أن أجعل منك ثريا.

اصطحبه الأرنب إلى البركة وقال:

ــ انظر لتلك الأعشاب وخمن فائدتها.

ــ هذه الأعشاب طعام للأبقار.

أشار الأرنب إلى نوع آخر من العشب وسأل:

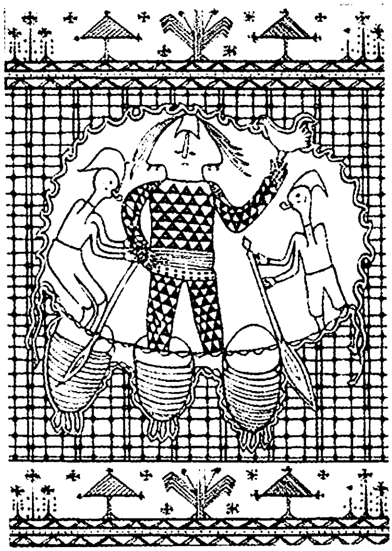
ــ وماذا تفيد هذه الأعشاب برأيك؟.

ــ هذه الأعشاب طعام للماعز.

أشار الأرنب إلى نوع ثالث من العشب وسأل:

ــ وهذه؟.

ــ هذه تصلح طعاما للدجاج.



قال الأرنب للصبى:

ـ سوف أرحل لفترة قصيرة، وتظل أنت هنا تتطلع فى الأرجاء من حولك. وما إن ترى ريشة بيضاء تسقط من السماء، فعليك الإمساك بها بقوة. وعندما تفعل ذلك وتقبض على الريشة، عليك الذهاب فى أثرى. وينبغى عليك عدم الالتفات وأنت سائر فى الطريق، ولا تنظر لأى شىء من حولك حتى تدركنى.

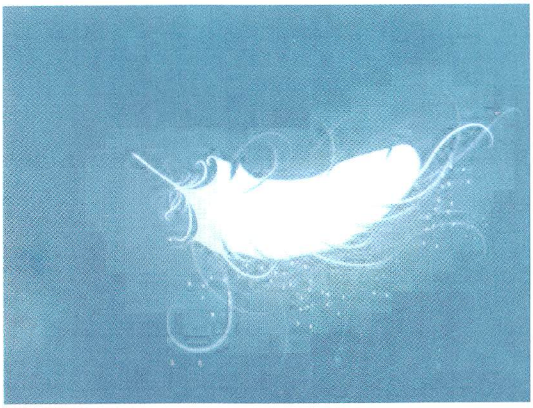
ـ سوف أفعل ما ترغب فيه.

قفز الأرنب راحلا فى طريقه بعد ما قاله للصبى.

ظل الصبى بمفرده، وسرعان ما شاهد ريشة بيضاء تهبط من السماء. فركض الصبى مسرعا وأمسك بها. وقبض عليها بيده فى قوة، ثم انطلق يسير فى أثر الأرنب.

وبعد مرور وقت قصير، سمع الصبى خلفه أصوات ناس، وخوار أبقار، وثأثأة ماعز، وصياح دجاج. وكلما توغل أكثر فأكثر ترددت الأصوات أعلى فأعلى. فلم يستطع الفتى أن يتحمل أكثر من ذلك والتفت حوله.

وفى هذه اللحظة طارت الريشة البيضاء من يده. واختفى على الفور جميع الناس والمواشى والدجاج الذين سمعهم يسيرون خلفه.



عندما وصل الشقيق الأصغر إلى الأرنب، قال له الأرنب:

ـ أين الريشة البيضاء وجميع من كانوا خلفك؟.

ـ لقد تلفت حولى فاختفت الريشة من يدى، واختفى معها جميع الناس والمواشى والدجاج.

عندئذ ضرب الأرنب الصبى، وفى المساء اصطحبه مرة أخرى إلى البئر وقال له:

ـ فلتحاول مرة أخرى، ولا تنس عندما ترى الريشة البيضاء أن تمسك بها وتحملها إلىَّ، ولا تلتفت خلفك مهما جرى. واعلم أنى سوف أضربك لو تلفت أثناء سيرك على الطريق.

رد الصبى:

ـ سوف أفعل ما تأمرنى به، ولن أنسى فى هذه المرة.

ركض الأرنب واختفى من المكان، تاركا الصبى عند البحيرة. وسرعان ما ظهرت الريشة البيضاء، فركض الصبى نحوها وقبض عليها بيده بقوة. وانطلق فى أثر الأرنب. وظل يستمع أثناء سيره إلى أصوات الناس وخوار الأبقار وصياح الدجاج وهى تتردد خلفه. لكنه لم يلتفت إليها، وظل يسير بصلابة حتى شاهد الأرنب.

أعطى الشقيق الأصغر الريشة البيضاء للأرنب الذى غرسها فى الأرض وقال:

ـ لقد فعلت كل شىء على نحو صحيح فى هذه المرة، وسوف تصبح من الأثرياء. فقد أصبح جميع الناس والأبقار والماعز والدجاج الذين ساروا خلفك ملكا لك. فعليك أن تبنى قرية فى هذا المكان، وسوف تصبح زعيما قويا وثريا.

أقام الصبى قرية كبيرة فى المكان الذى نصحه به الأرنب. وأصبح لديه الكثير من الناس والأبقار والدجاج. وأخذ لنفسه عددا من الزوجات، وأصبح رجلا جديرا بالاحترام. أما الريشة البيضاء فقد أعطاها لأكبر زوجاته كى تحتفظ بها. فقامت المرأة بإخفائها فى أحد الأقداح. وسرعان ما ذاعت شهرة الفتى فى جميع البلاد، باعتباره زعيما قويا وثريا. وعرف أشقاؤه أن شقيقهم الأصغر قد أصبح زعيما قويا وثريا. وقرر اثنان منهم الذهاب لزيارته. وظلا يسيران طويلا على الطريق حتى وصلا إلى قريته. وذهبا إلى شقيقهم الأصغر، وقاما بتحيته وقالا:

ـ لقد جئنا لزيارتك.

رد الشقيق الأصغر:

ـ انتظرا هنا فلدى أمر عاجل أقوم به.

وذهب إلى الأرنب وقال له:

ـ لقد جاء لزيارتى اثنان من أشقائى الذين طردونى من البيت. فما الذى أفعله معهما؟.

قال الأرنب:

ـ عليك استقبالهم بكل الحفاوة وكرم الضيافة، واذبح ثورا على شرفهما.

عاد الشقيق الأصغر إلى البيت وأمر بذبح ثور وإحضار الجعة، ثم نادى زوجته الكبرى وقال لها:

ـ أريدك أن تهتمى بشقيقى وتقدمى لهما كل ما يطلبانه، وتضعيهما فى أفضل بيت بالقرية.

قالت الزوجة الكبرى للزعيم:

ـ حسنا، سوف أنفذ كل ما تطلبه.

وقامت بكل ما يتطلبه كرم الضيافة نحو شقيقى زوجها. وسألها الشقيقان:

ـ كيف حصل شقيقنا على جميع أولئك الناس وكل هذه المواشى والدجاج؟.

ردت الزوجة:

ـ لقد نصحه الأرنب بالقبض على الريشة البيضاء التى تهبط من السماء عند البركة. وعندما أمسك بها خرج من البحيرة الكثير من الناس والمواشى والدجاج(١). وظلوا جميعا يسيرون خلفه حتى بنى هذه القرية، وأصبحوا ملكا له.

---

(١) فى هذا الجزء من الحكاية فقط يتضح لنا أن الناس وكل الثراء قد جاء من البحيرة، ذلك على الرغم من أن الريشة البيضاء تسقط من السماء.

سأل الشقيقان:

ــ وأين توجد هذه الريشة البيضاء الآن؟.

ردت المرأة:

ــ لقد أخفيتها فى ذلك القدح هناك، وأقوم على حراستها!.

انتظر الشقيقان حلول الليل، ثم تسللا بحذر إلى بيت زوجة الزعيم الأولى، وسرقا الريشة البيضاء من القدح. وبعد ذلك فر الاثنان هاربين بالريشة. وما إن غادر الشقيقان القرية والريشة معهما، حتى اختفت القرية بأناسها ومواشيها ودجاجها، وكأنها لم توجد قط من قبل.

استيقظ الأخ الأصغر فى الصباح، فوجد نفسه راقدا بمفرده فى الوادى، وقد اختفت القرية والناس والمواشى وكل شىء.

أسرع الفتى فى التو راكضا إلى الأرنب وقال له:

ــ لقد استقبلت بكل الحفاوة والكرم شقيقى اللذين طردانى من البيت كما نصحتنى. لكنهما فى نفس الليلة تسللا إلى بيت زوجتى الأولى وسرقا الريشة البيضاء، وبعد ذلك اختفت القرية بأكملها مع المواشى والدجاج. فماذا أفعل؟.

رد الأرنب:

ــ لا تبك.

وقام الأرنب بالنداء على الصقر، وأحضر جرذا أعطاه إلى الصقر وقال له:

ــ أيها العم، حلق مع هذا الجرذ إلى قرية الأشقاء الأكبر لهذا الفتى. وعندما تصل إلى هناك ضع الجرذ على الأرض، وذلك كى يبحث عن الريشة البيضاء. وما إن يعثر الجرذ عليها، عودا معا إلىَّ.

رد الصقر:

ــ سوف أفعل ما تأمر به.

أمسك الصقر بالجرذ فى منقاره، وطار محلقا به.

ظل الصقر يطير حتى وصل إلى قرية الشقيقين، حيث هبط بالجرذ على الأرض. فأخذ الجرذ يركض إلى الأمام وإلى الخلف، ثم حدد طريقه نحو كوخ الشقيقين. كان الشقيقان يجلسان وهما يحتسيان الجعة.

قال أحدهما للآخر:

ــ والآن قد أصبح لدينا كل ما يمتلكه شقيقنا الأصغر.

رد الشقيق الأكبر الآخر:

ــ نعم، فقد أصبح لدينا القرية بالناس والمواشى والدجاج.

وهنا سأل الشقيق الثانى قائلا:

ــ هل قمت بإخفاء الريشة البيضاء جيدا؟.

ــ نعم، فقد وضعتها فى القدح الموجود أسفل وسادة فراشى التى أضع رأسى عليها.

ــ إذا فالريشة البيضاء فى مكان آمن.

سمع الجرذ حديث الشقيقين. وانتظر حتى راحا فى النوم، فتسلل وأخذ الريشة البيضاء من القدح الموضوع أسفل وسادة الشقيق الأكبر. وفر بعد ذلك من الكوخ، متجها نحو المكان الذى تركه الصقر به. وأمسك الصقر بالجرذ فى منقاره، وطار محلقا به نحو المكان الذى ينتظره به الشقيق الأصغر. وعندما وصل إلى هناك وضع الجرذ على الأرض. فأعطى الجرذ الريشة البيضاء للشقيق الأصغر.

وما إن قبض الفتى بيده على الريشة البيضاء، حتى عاد كل شيء إلى ما كان عليه: القرية، والناس، والمواشي. فذهب الشقيق الأصغر إلى الأرنب وقال له:

ــ لقد عادت إليَّ الريشة البيضاء هي وكل شيء. فكيف يمكنني إخفاء الريشة البيضاء في مكان آمن لا تصل إليه يد؟.

رد الأرنب:

ــ أعطها لي.

نادى الأرنب على آكل النمل وقال له:

ــ أريدك أن تدفن هذه الريشة البيضاء؟.

قام آكل النمل بدفنها. ونادى الأرنب على النمل الأبيض وقال لهم:

ــ أريدكم أن تبنوا جبلا عاليا في هذا المكان الذي دفن فيه آكل النمل الريشة البيضاء.

قام النمل الأبيض ببناء جبل عال في نفس المكان المدفونة به الريشة البيضاء. ومنذ ذلك الحين لم يستطع أحد العثور على الريشة البيضاء أبدا.

(النموذج الثاني من الحكاية)

ذات يوم تزوج رجل من امرأة. وأنجبا ثلاثة من الأطفال. وكانوا جميعا أولادا. وسرعان ما مات الوالدان، وأخذ الأشقاء الثلاثة يفكرون: "ما الذي يمكننا فعله الآن؟ ينبغي علينا البحث عن عمل نقوم به". قال الأكبر منهم:

ــ سوف أقوم بإعداد الطعام.

قال الشقيق الأوسط:

ـــ وأنا سوف أعمل فى الحقل.

وقال الشقيق الأصغر:

ـــ أما أنا فسوف أخرج للصيد.

وحمل قوسه وسهامه وغادر البيت.

وذات يوم صادف وحشا هائلا. كان هذا الوحش هو الفيل. لكن الفتى لم يكن قد رأى فيلا فى حياته من قبل، لذلك لم يعرف هوية هذا الوحش. فقام بالتصويب على الفيل وقتله.

عاد الفتى إلى القرية وقال لشقيقيه:

ـــ لقد قتلت وحشا هائل الحجم، فربما تعرفان اسمه؟.

رد الشقيقان:

ـــ ينبغى علينا النظر إليه كى نعرف اسمه.

خرج الأشقاء الثلاثة إلى الأحراش حيث رقد الفيل الميت. وعندما وصلوا إليه حدق الشقيق الأكبر نحوه وهتف قائلا:

ـــ هذا فيل.

قال الشقيق الأوسط:

ـــ قبل أن نقوم بتقطيع لحم هذا الفيل، ينبغى علينا الذهاب إلى الزعيم وإخباره أننا قتلنا فيلا(١).

ذهبوا إلى الزعيم وقالوا:

---

(١) طبقا لعادات الصيد القديمة فإن أحد نابى الفيل يعود للزعيم، الذى تعد أرضه هى الأقرب لمكان الفيل المقتول.

ـ لقد قتلنا فيلا.

رد الزعيم:

ـ لو كان للفيل أنياب فأحضروها إلى هنا.

عاد الأشقاء إلى المكان الذى قتل فيه الفيل، ونزعوا أنيابه وذهبوا بها إلى الزعيم.

قام الزعيم بإهدائهم فتاتين مقابل الأنياب. وعاد الأشقاء الثلاثة مع الفتاتين إلى بيتهم.

وفى البيت أخذ الأشقاء يتحدثون فيما بينهم:

ـ ما الذى نفعله مع فتاتين ونحن ثلاثة؟ وكيف يمكن أن نقتسمهن بيننا وهن فتاتان فقط؟.

قال الشقيق الأصغر:

ـ أنا الذى قمت بقتل الفيل.

وافق الشقيق الأكبر قائلا:

ـ نعم، إنه أنت بالطبع من قتل الفيل، لكنك لم تعرف هوية ذلك الوحش حتى أخبرتك بأنه فيل.

قال الشقيق الأوسط:

ـ نعم أيها الشقيق الأكبر، إنه أنت بالطبع أول من شاهد الوحش المقتول وعرف أنه فيل. ولكن، ألم أكن أنا الذى قلت لكم بضرورة إخبار الزعيم عن كل شيء؟ وألم يكن هذا هو السبب الذى جعل الزعيم يمنحنا الفتاتين؟[1].

---

(١) النزاع هنا فى تحديد الشقيق الذى يستحق هدايا الزعيم مقابل قتل الفيل. فالشقيق الأصغر هو من قتله، والأوسط هو من حدد هويته، والأوسط هو من قال بضرورة إخبار الزعيم.

تزوج الشقيقان الأكبر والأوسط من الفتاتين، وأقاما بيتا لكل منهمـــا. وكـــان الشقيق الأصغر يأكل عند شقيقه الأكبر تارة، وعند الشقيق الأوسط تـــارة أخـــرى. وأخذ الطعام الذى يتناوله لديهما يقل يوما بعد الآخر، حتى شعر ذات مرة بـــالجوع يفتك به. ففر هاربا من البيت يبحث عن شيء يؤكل في الأحراش. ووصـــل إلـــى البحيرة الكبيرة وقال:

ــ سوف أتوقف هنا وأغسل وجهى بالماء.

وانحنى بجسمه فوق حافة البحيرة يغترف الماء بيديه ويغسل بـــه وجهـــه. وفجأة هبت ريح عاصفة دفعته وألقت به فى قلب البحيرة.

وجد الفتى نفسه فى قاع البحيرة. فأخذ يسير حتى شاهد قرية يعـــيش فيهـــا الناس تحت الماء. واستقبله سكان القرية بكل المودة والترحاب. وقدموا إليه طعاما وفيرا، حتى أنه لم يستطع التهامه بالكامل. وعاش الفتى فى القرية الواقعة فى قـــاع البحيرة لخمسة أيام. وذات مرة سأله السكان:

ــ أتعرف كيف وجدت نفسك فى البحيرة؟.

رد الفتى:

ــ لا، لا أعرف.

وهل يشتد بك الشوق للعودة إلى أهلك؟.

ــ نعم، إنى أريد العودة.

فقال له أحد سكان الماء:

ــ إذا، فلتأت إلى فى الصباح الباكر، واطرق بابى.

وما إن بزغ ضوء النهار حتى ذهب الفتى إلى كوخ ذلك الرجل. ودق على الباب بقوة. فصدر صوت الرجل من الداخل:

ـ ادخل أيها الفتى.

دلف الفتى إلى الكوخ. فقال سيد الكوخ لزوجته:

ـ املئى إناءً كبيرا بالماء وأعطيه للفتى كى يشرب.

ملأت المرأة الإناء بالماء، وأعطته للفتى الذى بدأ فى الشرب منه. وظل يشرب ويشرب حتى فرغ الإناء.

قال سيد الكوخ:

ـ والآن يمكنك الذهاب فى طريقك.



غادر الفتى الكوخ، وانطلق فى طريقه حاملا قوسه وسهامه. وهنا هبت رياح أمسكت به وحملته من البحيرة إلى نفس المكان الذى سقط منه فى الماء.

عندما شعر الفتى بنفسه على الأرض من جديد، لم يعرف الطريق الذى يسلكه. وشاهد الفتى ظبيا، فشد قوسه بعد أن وضع به سهما كى يقتله. فقال الظبى له:

ـ لماذا تريد قتلى؟.

تملكت الدهشة الفتى ورد:

ـ لم أعرف أن بوسعك الكلام. وقد نظرت إليك باعتبارك ظبيا يتمتع باللحم شهى المذاق.

سأل الظبى:

ـ وإلى أين تذهب؟.

ـ أذهب إلى حيث تقودنى قدماى، وليست لى وجهة محددة.

ـ لو أنك سرت للأمام فسوف تصل إلى البحيرة التى يتفرع عندها عدد من الدروب. فعليك بالاختباء والانتظار حتى تشاهد ريشة بيضاء تسقط من السماء. فأمسك بها بقوة، واركض مسرعا نحو الشجرة العالية التى تقع فوق التل.



قال الشقيق الأصغر:

ـ سوف أفعل ما قلته لى.

ومضى يسير للأمام حتى وصل إلى شاطئ بحيرة كبيرة يتفرع عندها عدد من الدروب. فاختبأ هناك، وظل منتظرا لفترة طويلة. وأخيرا ظهرت الريشة البيضاء تسقط من السماء وتسبح فى الهواء. فنهض الفتى من مكمنه وقفز نحوها عاليا، وأمسك بها فى قبضة يده. وركض مسرعا نحو الشجرة العالية الواقعة فوق التل[١]. وشعر الفتى بالتعب الشديد وقد حل به، حتى أنه ارتمى فوق الأرض عند الشجرة العالية وراح فى النوم. وعندما استيقظ وجد نفسه راقدا فى قلب قرية كبيرة بها الكثير من الناس، والعديد من قطعان المواشى، وغيرها من الحيوانات التى اجتمعت من حوله. واقتربت إحدى النساء منه وقالت له:

ــ أيها الزعيم، إن طعامك جاهز.

أدرك الفتى أنه قد أصبح زعيما لقرية كبيرة.

وسرعان ما أصبح اسم الفتى معروفا فى كل مكان باعتباره زعيما ثريا جبارا. حتى وصلت أخباره إلى شقيقيه. وتحدثا فيما بينهما:

ــ لقد ظهر زعيم جديد ثرى وجبار، ألا يجدر بنا الذهاب إليه وزيارته؟.

انطلق الشقيقان فى طريقهما، وهما لا يعرفان أن ذلك الزعيم الثرى الجبار ما هو إلا شقيقهما الأصغر. ووصلا إلى القرية الكبيرة للزعيم الجديد الذى تعرف على شقيقيه فى الحال. فقام باستقبالهما بالحفاوة والكرم، واصطحبهما إلى بيت الزوجة الكبرى للزعيم بكل مظاهر الاحترام. وعندما هبط المساء تحدث الشقيقان مع زوجة الزعيم وسألاها:

ــ كيف أصبح الزعيم ثريا وقادرا على هذا النحو؟.

---

(١) يفترض الراوى أن الشجرة المذكورة هنا هى "شجرة الحياة"، التى يخرج منها الناس والحيوانات. وهى تتميز بوجودها بالقرب من منبع الماء.

ردت الزوجة:

ــ إن كل هذا بفضل الريشة البيضاء التى احتفظ بها.

سأل الشقيقان:

ــ أيمكننا النظر لتلك الريشة البيضاء؟.

ــ وما المانع أن أريها لكما؟.

ورفعت الزوجة الريشة من داخل القدح كى يشاهدها الشقيقان، اللذان تطلعا إليها ثم أعاداها إلى الزوجة، بعد أن عرفا المكان الذى تخبئ به الزوجة الريشة.

وعندما هبط الليل تسلل الشقيقان إلى حجرة الزوجة، وسرقا الريشة البيضاء وفرا بها هاربين. وفى نفس اللحظة التى غادر فيها الشقيقان القرية، اختفى كل شيء: البيوت والناس، والحيوانات.

فى الصباح التالى استيقظ الشقيق الأصغر، فوجد نفسه راقدا أسفل الشجرة الكبيرة. ووجد نفسه معدما تماما، ولم يعد لديه شيء سوى القوس. فانطلق الفتى إلى الظبى حتى عثر عليه وقال له:

ــ لقد جاء شقيقاى لزيارتى فى القرية. واستقبلتهما بكل الكرم والضيافة. لكنهما سرقا الريشة البيضاء من بيت زوجتى الأولى فى الليل وهربا بها. فاختفت القرية بكل ما فيها، وعدت معدما كما كنت فى السابق.

قال الظبى:

ــ إنى أريد مساعدتك.

وقام بالنداء على السمكة الطائرة، والصقر، والجرذ وقال لهم:

ــ عليكم أن تعيدوا إلى هذا الرجل الريشة البيضاء التى سرقها شقيقاه.

ردوا جميعا فى صوت واحد:

ــ سوف نعيد الريشة.

حمل الصقر الجرذ فى منقاره وطار محلقا به. وحلقــت الــسمكة الطــائرة تصاحبهما. ووصل الصقر إلى قرية الشقيقين. فهبط على الأرض وتــرك الجــرذ. وانطلق الجرذ يبحث فى القرية حتى عثر على الريشة البيضاء. فابتلعها، وعاد إلى المكان الذى تركه فيه الصقر. فحمل الصقر الجرذ فى منقاره مرة أخرى، وحلق به عائدا إلى مكان الشقيق الأصغر. كما حلقت السمكة الطائرة بالقرب منه. وعنــدما طار الصقر فوق النهر، سقط الجرذ من منقاره عن غير قصد. ووقع الجــرذ فــى الماء. فأسرعت السمكة الطائرة تهبط من عل إلى قلب الماء. وأخرجت الجرذ من النهر، وأعطته للصقر مرة أخرى. وطارا حتى وصلا إلى الشقيق الأصغر. فهــبط الصقر أمامه تاركا الجرذ على الأرض. وأعطى الجرذ الريشة البيضاء إلى الفتى، فعادت على الفور إلى الظهور القرية الكبيرة بكل ما فيها من ناس وحيوانات كمــا كانت فى السابق.

٤٦. حكاية الفتاة وجذع الشجرة الذى تحول إلى ثعبان

ذات يوم خرجت الفتيات لقطع الحطب فى الغابة. ومضت الفتيات يسرن فى دروب الغابة، حتى وصلن إلى جذع شجرة على الأرض يقطع الممر أمامهن. وتعثرت الفتاة الأولى بالجذع، ولكنها واصلت طريقها. واصطدمت الفتاة الثانية هى الأخرى بالجذع، وبعدها الثالثة أيضا! وضرب الجذع الرابعة والخامسة كذلك. فغضبت الفتاة الخامسة وصاحت:

ـ ما الذى جرى لذلك الجذع كى يضربنا؟! وما الذى يكرهه على ضربنا؟ سوف أنتقم منه وأقطعه إربا كى لا يضرب أحدا بعد ذلك.

قامت الفتاة بتقطيع الجذع، وألقت بقرمة منه جانبا، ثم رحلت الفتيات. وبعد أن قطعن الحطب، انطلقن عائدات إلى البيت. وفى طريق العودة رأت الفتيات الجذع راقدا على الأرض فى نفس الممر السابق. ولكنه فى هذه المرة تحول إلى ثعبان! فنزعت الفتاة الأولى خرزها وألقت به إلى الثعبان قائلة:

ـ خذ هذا الخرز لك! وهذا أيضا! وافسح لى الطريق كى أعبر!.

أفسح الثعبان الطريق للفتاة فعبرت منه.

وقالت الفتاة الثانية للثعبان:

ـ خذ هذا الخرز لك! وهذا أيضا! وافسح لى الطريق كى أعبر!.

أفسح لها الثعبان الطريق. وكررت الفتاتان التاليتان نفس الكلام، وفعلتا مثل السابقتين، فأفسح لهن الثعبان الطريق. ولم تبق سوى الفتاة الأخيرة التي قطعت الجذع من قبل، فكررت نفس الكلام. لكن الثعبان لم يتحرك من مكانه. فعادت الفتاة ترجوه مرة أخرى:

ـ خذ هذا الخرز لك! وهذا أيضا! وافسح لي الطريق كي أعبر!.

وأخذت الفتاة تنزع عنها كل الحلي والزينة، ثم حاولت المرور بجانب الثعبان، لكنه سد عليها الطريق. عندئذ وقفت نحو الدرب قائلة:

ـ بما أنك ترفض كل شيء فسوف أسير عبرك من هنا!.

ومضت الفتاة مباشرة في مواجهة الثعبان. فأمسك بها وابتلعها.

وبعد ذلك تحول الثعبان مرة أخرى إلى جذع شجرة راقد على الممر.

٤٧. بوفيندا فى الغابة

كان ياما كان صياد يدعى بوفيندا خرج ذات مرة للصيد مع كلبه. وهبط الاثنان نحو النهر حيث عثر الكلب على أثر للخنزير البرى، فأسرع يلاحقه ويدفعه نحو الصياد، الذى وقف متأهبا بقوسه وسهامه. وسرعان ما قفز الخنزير البرى فى مواجهة الصياد. فأطلق بوفندا سهمه نحوه وأصابه. ومضى الصياد يجر فريسته نحو البيت، لكنه حاد عن الطريق سهوا. وظل الصياد يسير مع كلبه طويلا وهو يبحث عن الطريق، حتى أصابه التعب والجوع.

عندئذ أشعل بوفيندا نارا لإعداد الطعام. وبعد أن أخذ الرجل قسطا من الراحة، سار مع كلبه نحو شجرة مقتلعة من جذورها. فشرب الماء الذى تجمع فى جوفها، ثم عاد إلى حلقة النار. وقال بوفيندا فى نفسه: "أظن أن بوسعى المبيت هنا، فلا يوجد أحد أخشاه فى الغابة". وما إن نطق بهذه العبارة حتى سمع صوتا يتردد من حوله:

ــ بوفيندا يمكنه البقاء هنا، فالغابة لن تمس أحدا بسوء.

وأخذت الأشجار تردد هذه العبارة واحدة بعد الأخرى. فتملك الرعب من بوفيندا.

كان الظلام قد هبط فى ذلك الوقت. فرقد الصياد فوق أرض الغابة وراح فى النوم.

وفى منتصف الليل أيقظ الثَرَى الصياد مرددا:

ــ بوفيندا! بوفيندا! بوفيندا! انظر للخلف وسوف تجد طريقك.

نهض بوفيندا وتلفت خلفه فشاهد طريقا عريضا. وعندما أشرق النهار عـــاد بوفيندا مع كلبه إلى البيت.

٤٨. تيتو العنيد

كان هناك زوج وزوجة لديهما اثنان من الأبناء: ولد وبنت. تزوجت الفتاة وعاشت بالقرب من الغابة التى شطرت القرية إلى نصفين. وذات يوم قالت الأم لابنها:

ـ أريدك يا تيتو أن تقطع سباطة الموز هذه، وتأخذ ذلك اللحم من فوق الرف، وتذهب بهما لزيارة شقيقتك، حيث إننا لم نزرها منذ وقت طويل.

أخذ تيتو الموز واللحم، ووضعهما فى سلة علقها فوق ظهره بحزام ربطه حول خصره، وأمسك قوسا فى يده، وسكينا ربطه حول فخذه. وانطلق فى طريقه.

عندما وصل تيتو إلى الغابة شاهد عجوزا تجلس عند مفترق الطرق بمفردها. كانت العجوز مغطاة بالقروح. وكانت عيناها مملوءة بالصديد والدموع. وسألت العجوز:

ـ هل هذا هو أنت يا تيتو؟.

ـ نعم.

ـ إلى أين أنت ذاهب؟.

ـ إنى ذاهب لزيارة شقيقتى.

ـ إذاً، سر بهذا الطريق، وسوف يقودك إلى شقيقتك.

لكن تيتو قال:

ـ أتظنين أيتها العجوز أنى لا أعرف هذه الغابة ودروبها جيدا؟.

لم تجب العجوز بشيء. ومضى تيتو يسير فى الطريق الذى يعرفه. وظل فى سيره طويلا طويلا، حتى بدت الغابة أمامه وكأنها بلا نهاية. وفكر تيتو فى نفسه: "ما هذا الذى يحدث؟ لقد سرت دائما فى هذا الطريق! فلماذا يبدو اليوم أطول بكثير هكذا؟".

هبط الليل فى ذلك الوقت. وبحث تيتو عن الطريق فلم يعثر عليه. وفجأة شعر أن سلة الطعام قد ازداد حجمها فوق ظهره والتصقت به، وأصبح القوس يضغط على راحة يده ملتصقا به.

التصقت ثيابه بجلده وأصبحت سباطة الموز سباطتين، واختفى اللحم تماما، وغلب النعاس على تيتو، فراح فى النوم لثلاثة أشهر.

وذات مرة سمع تيتو أحدا يحطب فى الغابة. فأخذ يبكى وهو يغنى:

إني أموت يأسا.

يا أبي بوتولي،

ويا أمي فيتسي.

سمع الرجل الذى حطب فى الغابة الأغنية الغريبة، فتملك الخوف منه، وأسرع إلى القرية يحكى لهم عما سمعه. وسأله الناس:

ـ وعما كان يغنى؟.

ـ كان يغنى قائلا إن والده يدعى بوتولى، وأمه تدعى فيتسى.

صاح والدا الصبى:

ــ إنه تيتو.

وأسرعا إلى الغابة، وأخذا يناديان عليه. فخرج تيتو عند سماعه صـوتهما. ولما شاهدا الصبى تملكهما الخوف عندما شاهدا السلة الضخمة فوق ظهره، والقوس الذى يضغط على راحة يده. فقاما باصطحابه إلى القرية ومعه العجوز.

وقالت العجوز أثناء الطريق:

ــ ألم أخبرك يا تيتو فلم تنصت لكلامى؟ هل ترى كيف أصبح حالـك الآن؟ من الذى يمكنه رفع هذه الأشياء الضخمة عن كاهلك؟ ليست هناك سوى وسيلة واحدة، وهى أن ترقد معى فى فراش واحد، وسوف تعود لوضعك السابق، وتصبح تيتو الذى نعرفه مرة أخرى.

استمع تيتو لنصيحة العجوز، ورقد بجانبها فوق حـزم مـن الأوراق التـى كانت تستخدمها العجوز فراشا لها. وظلا نائمين حتى الصباح. فتحركـت السلة والقوس والثياب مبتعدة عن جلد تيتو. وأصبح جلده ناعما مثلما كان فـى السابق. وعاد تيتو إلى بيت أهله.

٤٩. حكاية الرجل والزوجة القبيحة

كان ياما كان رجل يعيش مع زوجته، والتي كانت تتمتع بقبح نادر الوجود في المدينة. وكان الاثنان فقيرين جدا، حتى أن الزوج لم يكن لديه شيء من الثياب الجيدة. وكانت الزوجة تتجول بشعرها الأشعث. ولم يكن يوجد في بيتهما شيء يؤكل لأكثر من مرة.

وذات مرة بدأ الرجل في بناء كوخ بجانب بيته. وعندما انتهى منه قال لزوجته:

ــ سوف أدخل اليوم هذا الكوخ، وأريدك أن تسدي بابه بالطوب بعد أن أصبح بداخله. فإني أريد قضاء أربعين يوما وليلة في حياة الزهد والعبادة.

أغلق الزوج على نفسه باب الكوخ بعد أن أصبح بالداخل. وقامت الزوجة بتغطية الباب بحاجز من الطين المحروق[١]. وقضى الزوج الأيام والليالي داخل الكوخ صائما وهو يتعبد ويصلي طوال الوقت. وفي الليلة الأخيرة له تراءى له حلم في المنام. وشاهد في الحلم من يخبره بتحقيق ثلاث رغبات له، أيا كانت تلك الرغبات، وذلك لو أنه طلبها أثناء صلاته.

في الصباح الباكر لليوم التالي، وبعد انتهاء فترة خلوته، نادى الرجل على زوجته، وأمرها بفتح الباب كي يخرج من الكوخ. فأحضرت الزوجة معولا، وحطمت به حاجز الطوب الذي أقامته فوق الباب، وأخرجت زوجها. فقال الزوج:

---

(١) (الطوب اللبن- المترجم).

ـ لقد استجاب الله لصلواتى. فقد صمت عن الطعام وتعبدت لأربعين يوما. وفى الليلة الأخيرة شاهدت حلما فى منامى أخبرنى بتحقيق ثلاثة رغبات أطلبها أيا كانت.

وعندما أدركت الزوجة ما قاله زوجها أخذت تتوسل راجية:

ـ أنت تعلـــم أننى أقبح النساء فى المدينة، فأتوسل إليك أن تــصلى كـــى أصبح جميلة.



فى الليل بدأ الزوج فى الصلاة، وطلب أن تصبح زوجتـــه جميلـــة. وفـــى الصباح تبدلت هيئة زوجته، حتى أنها صارت أجمل الجميلات فى المدينة بأسرها.

وسرعان ما تتطايرت الأنباء ووصل خبر المرأة إلى قصر الحـــاكم. فـــأمر الحاكم :

ـ أحضروا لى هذه الحسناء فورا! هيا أسرعوا، ماذا تنتظرون؟.

أسرع الحراس وقبضوا على المرأة، واقتادوها إلى القصر بالقوة.

أصاب الذهول الزوج بعد أن أدرك فقدان زوجتـــه. لكنـــه تـــذكر رغباتـــه المجابة. فبدأ فى الصلاة داعيا أن تتحول امرأته إلى قرد.

فى ذلك الوقت كان الحاكم يستعد للدخول إلى زوجته الجديدة، لكن الحراس أسرعوا إليه يدعونه للذهاب ورؤية ما جرى لامرأته الحسناء. فخرج الحاكم معهم إلى حجرة الزوجة، وبدلا من أن يشاهد المرأة الحسناء، رأى قردا يجلس على الفراش ويقفز بين الحين والآخر. فثار ثورة عارمة من الغضب، وأمر عبيده بطرد القرد بعيدا عن القصر. فأخذ العبيد القرد إلى بيت الزوج وألقوا به هناك.

وعندما تأكد الزوج أن زوجته تحولت إلى قرد، بدأ يصلى طالبا أن تعود الزوجة إلى سابق هيئتها الأولى.

وبعد ذلك طلب الزوج فى صلاته طعاما وثيابا وغيرها من الأشياء التى يحتاج إليها. ولكن شيئا لم يتحقق من كل ذلك. فقد طلب الزوج تحقيق ثلاث أمنيات، وتحققت أمنياته الثلاث. وهكذا، فهو استنفذ رغباته الثلاث التى وُعد بها فى المنام.

وقال الزوج فى نفسه: "لا يوجد فى هذا العالم سوى شىء واحد لا شك فيه، وهو أن الرجل الذى يستمع لنصح زوجته، لن يمكنه القيام بشىء جيد أبدا".

٥٠. حكاية المرأة التى أرادت تذوق طعم البيض

كان ياما كان زوج يعيش مع زوجته. وعلى الرغم من الفترة الطويلة التى مرت على زواجهما، إلا أنهما لم يعرفا عادات كل منهما بصورة جيدة. وعندما حملت الزوجة، شعرت برغبة عارمة فى تناول البيض. وقالت لزوجها:

ـ إنى أتوق بشدة لتناول البيض[١].

عندئذ أخذ الزوج يفكر فى كيفية الحصول على البيض، لكنه لم يعرف مكانا يحصل عليه منه. وصارت الزوجة تلح عليه من جديد فى طلب البيض، وقالت:

ـ سوف أهلك وأموت إن لم تحصل على البيض.

كان الزوج يحب زوجته حبا كبيرا، وأراد أن تضع مولودها سريعا. فقرر البحث عن البيض والعثور عليه بأية وسيلة.

غادر الزوج الكوخ وخرج للبحث. وسرعان ما عثر على عش للبيض، لكنه لم يعرف لمن هذا البيض، ولأى طائر يعود. لكنه أخذ بعض البيض من العش، وذهب به إلى البيت وأعطاه لزوجته. ففرحت الزوجة فرحا كبيرا وقالت:

ـ لقد حققت رغبتى أخيرا.

---

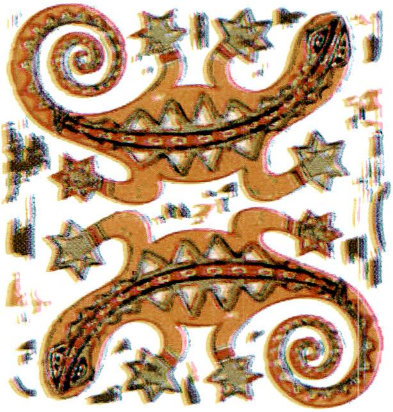
(١) يشير الراوى إلى أن عددا من الشعوب الأفريقية ترى فى البيض طعاما من المحظورات، ويُحظر تناول البيض بالنسبة إلى النساء الشابات وفى مقدمتهم الحوامل على وجه الخصوص. وفى هذه الحالة فإن تناوله يعد خرقا للمحظورات، لكنه فى نفس الوقت يعد وسيلة ناجعة لمنع الحمل طويل الأجل.

فرح الزوج هو الآخر، وهو يفكر بأن الزوجة سوف تضع مولودها بعد أن تأكل البيض. ومر وقت وآخر ولم تضع الزوجة.

وسرعان ما عادت الزوجة مرة أخرى تطلب من زوجها إحضار البيض لها. فذهب الزوج إلى نفس العش ثانية، وأخذ منه بضع بيضات حملها إلى البيت. وأكلت الزوجة البيض، ولم تضع.

خرج الزوج للمرة الثالثة لإحضار البيض. وعندما وصل إلى العش فى هذه المرة، شاهد ثعبانا هناك.

واتضح أن ذلك العش يعود للثعبان.



عندما شاهد الثعبان الرجل، أدرك أنه هو الذى يسرق بيضه منذ فترة طويلة، فقام بقتله. وسقط الرجل ميتا فى النهر، حيث إن عش الثعبان كان عند النهر.

فى ذلك الوقت وضعت الزوجة أخيرا أربعة تواءم. أطلقوا على الأول منه اسم مافيمبيرى، أى المُنجم، وأطلقوا على الثانى اسم مابنديرى، أى الهابط إلى أسفل، وعلى الثالث اسم ماونجانيدزى، أى موحد الأشياء، أما الرابع فأطلقوا عليه اسم ماموتسى، أى باعث الحياة. وكبر الأبناء وصاروا يسألون أمهم:

ـ أين والدنا؟.

أجابت الأم:

ـ لقد مات منذ زمن بعيد.

عندئـــذ اجتمع الأبناء الأربعـــة معا، وتحدثوا فيمـــا بينهـــــم، ثـــم قـــالوا لشقيقهـــم مافيمبيرى:

ـ أخبرنا يا مافيمبيرى عن المكان الذى اختفى فيه والدنا.

عندئذ أشار مافيمبيرى بيده قائلا:

ـ لقد وقع والدنا هنا.

سأل الأشقاء شقيقهم الثانى:

ـ اهبط إلى أسفل يا مابنديرى، وأخرج والدنا من قاع النهر.

هبط مابنديرى إلى أسفل القاع، ثم خرج ثانية حاملا رفات والده.

قال الأشقاء لماوونجانيدزى:

ـ ها هو والدنا، فلتقم بتوحيد عظامه وتجميع رفاته.

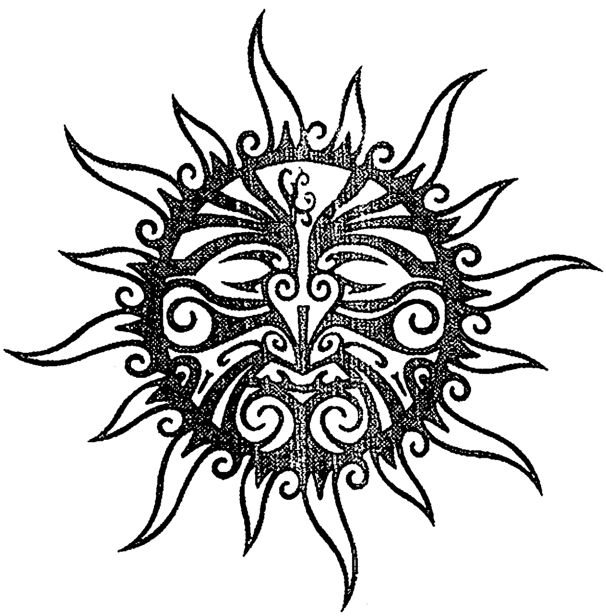
عندئذ قام ماوونجانيدزى بتجميع جميع العظام والرفات معا.

وأخيرا طلب الأشقاء من ماموتسى:

ـ والآن جاء دورك لتبعث الحياة فى والدنا.

وبعث ماموتسى الحياة فى الوالد الذى نهض سليما معافى.

أقدم الوقائع والأساطير



٥١. الحدأة والطفل

اجتمع عدد من الناس لصيد السمك. وكان بصحبتهم طفل صغير. وعندما خرج الكبار للصيد ظل الصغير بمفرده تماما.

وذات مرة طارت الحدأة وحملت الطفل معها. واختبأت به داخل جذع إحدى الأشجار. وأخذ الأب والأم يبحثان عن الطفل، فلم يجدا له أثرا.

كان والدا الطفل المفقود قد خرجا إلى السوق فى وقت سابق. وعندما عادا مع سكان القرية الآخرين فى القوارب متجهين إلى البيت، سمع الجالس فى أول قارب أغنية تتردد فجأة:

يا من تجدفون بقواربكم، يا من تجدفون بقواربكم هنا،

ألم ير أحد منكم أمى بولومبا؟.

ألم ير أحدا منكم بوبوكا بولوندو؟

لقد كنت فى البيت بمفردى،

فخطفتنى الحدأة من هناك.

وإنى أكاد أموت من قبضة حوافرها فى جسمى.

أدرك الناس أن من يغنى هو الطفل المفقود. فصرخوا عليه يخبرونه بأن أمه وأباه قادمان من خلفهم. وعندما اقترب قارب الوالدين سأل الطفل: "هل هما

والداى بالفعل؟". وسمع الوالد والأم صوته، فتوقفوا عند الشاطئ. ونادوا على كل من لديه بلطة من الناس. واجتمع الناس حول الشجرة وقاموا بقطعها، ثم أخرجوا الطفل من داخل تجويفها. وكانت آثار حوافر الحدأة بادية على جسمه.

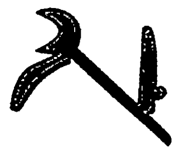
في ذلك الوقت حلقت الحداة تبحث عن عشها داخل الجذع، لكنها لم تعثر عليه. فحلقت بعيدا إلى أعلى، حتى اختفت فى السماء. ومنذ ذلك الحين لم تعد الحدأة تعيش داخل جذوع الأشجار، بل صارت تبنى أعشاشها فوق الأشجار.

٥٢. حكاية الرجل الأصم

كان ياما كان رجل أصم يعيش عند أطراف القرية. وكان الطريق الواصل بين قريته وبين القرية الأخرى، يمر بالقرب من بيته تماما، ثم يتشعب متفرقا بلا ملامح ولا حدود واضحة.

وكان كل من يمر بالقرب من بيته يسأل الرجل الأصم عن الطريق. لكن الأصم لم يكن يسمع شيئا عما يسألونه. فكان المارون يغضبون منه ويكررون سؤالهم له. وعندئذ يبدأ الأصم فى تعديد كل الأشياء شيئا بعد الآخر. وعندما يصل إلى نطق كلمة "الطريق"، يقوم المسافر بإشارة تأكيدية على كلمة الطريق. وعندئذ يشير الأصم له إلى الطريق الصحيح. ولكن من يتملكه الغضب من العابرين على الرجل الأصم، ولا يصبر على انتظار ما يشير به الأصم، فإنه يرحل دون معرفة الطريق الصحيح.

٥٣. حكاية الرجل فى الماء



خرج أحد الرجال من أجل إحضار زوجته التى ذهبت إلى بيت أهلها. فقالت الزوجة له:

ــ لن أعود معك.

اقترب حلول المساء، فقرر الزوج العودة إلى البيت بمفرده. وجلس فى قاربه ومضى يجدف به فى النهر. وعندما ابتعد حتى لم يعد يميز أصوات الناس الواقفين عند الشاطئ، شاهد فجأة رجلا يقف جانبا. وسمع الرجل يتحدث قائلا:

ــ هناك أحد يسير فى النهر.

وبعد مرور بعض الوقت، شاهد الرجل قاربا كبيرا يقترب منه وهو مكتظ بالناس. فأخذ يجدف بسرعة كى يبتعد عنه. لكن الرعب تملك منه وهو يقترب من الشاطئ، فأخذ يصيح على الناس لنجدته:

ــ أغيثونى! إنى أموت!.

اقترب المركب الكبير المكتظ بالناس من الشاطئ أيضا.

فى ذلك الوقت سمع الناس فى القرية صراخ الاستغاثة. فركب الرجال قواربهم وأسرعوا بها فى الماء. وأخيرا وصلوا إلى مكان نداء الاستغاثة، لكن الوقت كان متأخرا، وذلك بعد أن أغرق المركب الكبير المكتظ بالناس مركب الرجل.

عندما شاهد سكان القرية؛ الذين هرعوا للنجدة؛ ذلك الأمر، بدأوا فى قرع الطبول وضربها بصوت عالٍ، حتى وصل صوت الطبول إلى الشاطئ بأكمله.

قال عم الرجل الغارق للناس فى القارب الكبير:

ـ لماذا أغرقتم ابن أخى؟ انتظروا حتى تعود أمه التى ذهبت لجلب الفخار، وسوف ترون عندئذ ماذا يلحق بكم!.

أخذ الناس الذين أغرقوا الرجل يفكرون طويلا فيما يجيبون به، حتى قالوا أخيرا:

ـ احمل قريبك واذهب به إلى بيته، فإن أمه تعلم كلمة مرعبة، ولو جاءت بنفسها إلى هنا فسوف يلحق بنا السوء.

عندئذ أخرج العم جثة قريبه. واتضح أنه ما زال حيا. واعترت الدهشة الناس الذين أتوا لنجدته عندما شاهدوه حيا فقالوا:

ـ كيف يمكن أن يظل حيا هذا الرجل، بعد أن قضى وقتا طويلا تحت الماء؟.

رد عليهم الآخرون:

ـ لا، لا لقد جئنا لنجدته وعثرنا عليه، فهل تظنون أننا تركناه يموت؟.

وأسرع الجميع إلى القارب وجلسوا به، ثم عادوا إلى قريتهم ومعهم الرجل الذى كتبت له النجاة.

٥٤. حكاية حول الصياد

كان ياما كان رجل صياد يقتفى أثر قطيع من الخنازير البرية بالقرب من النهر. وبعد أن قتل أربعة من الخنازير، عاد إلى النهر فلم يجد قاربه. وظل يبحث عنه طويلا دون جدوى، وفى ذلك الوقت شاهد قاربا آخر فى النهر. وكان هناك رجل يجلس فيه. فصاح الصياد:

ــ هيه، هيه! سر بقاربك إلى هنا!.

جدف الرجل بقاربه نحو الشاطئ وقال الصياد له:

ــ هل يمكنك نقلى مع الخنازير الأربعة الذين قتلتهم إلى الشاطئ الآخر؟.

ــ لكن قاربى لا يتسع سوى لك وسلاحك وخنزيرا واحدا. فعليك ترك بقية الخنازير.

لكن الصياد لم يرغب فى ترك غنيمته على الشاطئ. وهتف صاحب القارب يقول له:

ــ هيا أسرع، فهناك الكثير من الفهود المفترسة التى تجوب الغابة.

فكر الصياد وقال:

ــ لا، من الأفضل لى البقاء هنا، وعندما يهبط الليل فسوف أتسلق إحدى الأشجار ومعى سلاحى.

عندئذ رحل صاحب الزورق. وجدف بقاربه فى النهر عائدا إلـــى القريـــة. وهناك أخبر الرجل أهل الصياد قائلا:

ــ لقد ظل قريبكم فى الغابة. فاذهبوا إليه.

رد عليه الأهل:

ــ لا يمكننا السير بالقوارب فى النهر ليلا، وسوف نذهب إليه غدا.

عندما هبط الليل بدأ الصياد فى تسلق إحدى الأشجار العاليـــة. وفـــى ذلـــك الوقت ظهر فهد وشاهد الخنازير راقدة على الأرض، فلم ينظر إليها، بل أخذ فـــى اللحاق بالصياد. وقفز عليه من الخلف ومزق جسمه.

فى اليوم التالى خرج أهل الصياد يبحثون عنه، ولكنهم لم يعثروا عليه أبدا.

٥٥. حكاية المرأة وصائد البشر

ذات يوم خرجت إحدى النساء لصيد السمك. وعندما وصلت إلى المستنقع، أقامت سدا يحجز الماء، وصنعت خزانا للمياه، ورفعت منه كل الماء تماما. وبعد ذلك وضعت النمل هناك. وبالقرب من الخزان قامت المرأة ببناء كوخ لها، وأقامت بداخله حلقة من النار.

فى ذلك الوقت استقر الصيادون فى ذلك المستنقع لصيد الناس. وقررت النساء عدم الصيد هنا. ولكن المرأة قامت بالمخاطرة بالصيد، وسرعان ما شاهدت رجلا يتسلل نحوها كى يقتلها. فصرخت قائلة:

ــ أيها الوالد لا تقتلنى! بل خذنى زوجة لك.

فرح الرجل فرحا كبيرا وأبقى على حياتها.

وكانت المرأة تعد السمك والحساء للرجل. وكان الرجل يأكل الطعام الشهى مستمتعا. وعندئذ قالت المرأة:

ــ لقد أطلقت النمل فى الخزان. وسوف أذهب وأرى إن كان هناك أسماك وقعت به.

وذهبا معا إلى الخزان. وعندما وصلا إليه ونزلا فى مياهه، شاهدا كمية هائلة من الأسماك. فارتجفت المرأة من الرعب وقالت لزوجها:

ــ انتظرنى هنا حتى أذهب وأحضر سكينا.

وافق الرجل.

وعندئذ خرجت المرأة من الخزان وحطمت السد. فاندفعت المياه إلى داخل الخزان، حتى غرق الرجل ومات.

أخذت المرأة قوس الصياد، وفرت مسرعة إلى القرية. وعندما وصلت إليها قالت للناس:

ــ لقد صنعت خزانا عند المستنقع وانتظرت وقوع الأسماك به. وهناك تسلل نحوى صائد البشر. فتوسلت إليه ألا يقتلنى ويأخذنى زوجة له. وبعد ذلك خدعته وأغرقته فى الخزان.

خرج سكان القرية إلى الخزان وشاهدوا صائد البشر ميتا بالفعل.

٥٦. حكاية الأحمق الخبيث

كان ياما كان زوج يعيش مع زوجته. وكان لديهم من الأبناء صبى واحد. وبعد مرور بعض الوقت مات الوالد. وعندئذ قال الابن لأمه:

ـ سوف تتحسن أحوالنا لو أننى ذهبت إلى الزعيم وحاولت مزاولة أحد الأعمال.

ذهب الصبى إلى الزعيم. وظل يعمل لديه طوال النهار. وحصل على قطعة ذهبية مقابل عمله. وفى المساء عاد إلى البيت حاملا القطعة الذهبية فى يده. وأعطاها لأمه التى قالت له:

ـ يا ولدى عندما تحصل فى المرة القادمة على قطعة ذهبية، عليك وضعها فى الحقيبة، ولا تضعها فى يدك.

ـ سوف أتذكر ذلك يا أمى.

وفى اليوم التالى خرج ثانية للعمل عند الزعيم. وحصل فى المساء على قصعة ممتلئة باللبن. فوضعها فى حقيبته، وذهب إلى البيت. وقالت له الأم:

ـ يا ولدى، عندما يعطونك قصعة مملوءة بالحليب، ينبغى عليك حملها فوق رأسك، ولا تضعها فى الحقيبة.

قال الصبى:

ـ حسنا، سوف أفعل ما تقولينه فى المرة القادمة.

وقضى الصبى اليوم الثالث لدى الزعيم يعمل عنده. وفى المساء حصل على كلب مقابل عمله.

فوضعه فوق رأسه وذهب إلى البيت.

عندما شاهدته أمه قالت:

ــ يا ولدى، عندما يعطونك حيوانا، فينبغى عليك جره بالحبل خلفك وليس حمله فوق رأسك.

ــ سوف أتذكر ذلك يا أمى.

فى اليوم الرابع عمل الصبى عند الزعيم. وعندما حل المساء حصل على قطعة من اللحم مقابل عمله.

فربطها بحبل وجرها خلفه إلى البيت.

قالت الأم:

ــ يا ولدى، عندما تحصل على قطعة من اللحم مقابل عملك، فلا ينبغى عليك جرها عبر الطريق المترب.

غضب الصبى وفكر فى نفسه قائلا: "لا يمكننى إرضاء أمى أبدا، فلأجرب العمل بطريقتى الخاصة، وأبدأ بمحاولة بيع فراء كلبى".

قام الصبى بقتل الكلب وسلخ جلده، ثُم ذهب بجلد الكلب إلى الزعيم كى يبيعه الفراء. ولم يكن الزعيم حاضرا فى ذلك الوقت، فمكث الصبى ينتظر عودته.

وفى المساء شاهد الصبى أحدا يدخل كوخ إحدى زوجات الزعيم، ولم يغادره إلا فى الصباح. وفى منتصف اليوم عاد الزعيم إلى البيت. وعندما شاهد الصبى سأله:

ــ ما الذى تريده منى؟.

ــ أريد أن أبيع لك فراء الكلب، وأن أخبرك بشيء ما.

ضحك الزعيم مقهقها:

ــ لم أسمع من قبل عن أحد يشترى فراء الكلب، قل لى أولا، ما الذى تريد إخبارى به؟.

ــ فى الليلة السابقة كان هناك رجل عند زوجتك، وقضى ليلته فى كوخها.

ــ شكرا لك لإخبارى بالأمر. وسوف أمنحك عشرين قطعة ذهبية مقابل فراء كلبك، والآن اذهب وألق به مع المخلفات والقمامة!.

أعطى الزعيم عشرين قطعة ذهبية للصبى، ثم خرج الصبى حاملا فراء الكلب، وألقى به مع القمامة.

ذهب الصبى إلى زعيم قريته وقال له:

ــ لقد قتلت كلبى وسلخت فراءه، وبعت الفراء مقابل عشرين قطعة ذهبية.

ضحك الزعيم قائلا:

ــ حقا!! يا للغرابة!!.

عندئذ أخرج الصبى القطع الذهبية وأراها للزعيم. فأمر الزعيم بقتل جميع كلابه وسلخ فرائها. وبعد ذلك حمل فراء الكلاب وانطلق مسرعا لبيعها.



اعترت الدهشة جميع الناس وقالوا:

ـــ متى حدث أن اشترى أحد فراء الكلاب؟.

لم يقبل أحد على شراء فراء الكلاب من الزعيم. فعاد إلى البيت دون أن يبيع واحدا منها. وكان فى ثورة عارمة من الغضب والحنق. وأمر بإحضار الصبى إليه، وسأله:

ـــ من الذى علمك حكى مثل هذه المزح؟.

رد الصبى:

ـــ إن أمى هى التى قامت بتربيتى.

ـــ هكذا إذن هو الأمر. سوف آمر بقتل أمك فورا.

وأمر الزعيم بقتل الأم، فقتلوها.

فكر الصبى فى نفسه: "ما الذى أفعله بجثة أمى؟ أظن أنه من الأفضل نقلها بعيدا عن هنا". وحمل الصبى جثة أمه ورحل فى طريقه.

سار الصبى فى الطريق الكبير. وعندما انتصف النهار أصبح الجو خانقا شديد الحرارة.

قال الصبى لنفسه: "فلآخذ قسطا من الراحة تحت ظل إحدى الأشجار". وركن جثة أمه إلى جذع الشجرة، وجلس هو يرتاح تحت ظلها.

بعد مرور بعض الوقت، ظهر رجل يحمل زلعة كبيرة مملوءة بالجعة فوق رأسه. فطلب الصبى منه راجيا:

ـــ ألا يمكنك إلقاء نظرة على أمى، فقد أصابها الإنهاك من طول السفر. وأمى تحب الجعة كثيرا، فهل يمكنك إعطاؤها جرعة قليلة منها؟.

اقترب الرجل من جثة الأم المتكئة إلى جذع الشجرة، وصب جرعة من الجعة فى فمها. فتحركت الجثة عند ذلك وسقطت على الأرض. فصرخ الصبى قائلا:

ــ لقد قتلت جعتك أمى! والآن عليك أن تدفع لى تعويضا!.

أعطى الرجل للصبى عشر قطع ذهبية.

أخذ الصبى جثة أمه ودفنها، ثم انطلق إلى قريته. وذهب إلى الزعيم قائلا:

ــ لقد حصلت على عشر قطع ذهبية مقابل جثة أمى التى أمرت بقتلها.

قال الزعيم:

ــ أنا أيضا أريد الحصول على عشر قطع ذهبية.

وأمر الزعيم بقتل أمه فى الحال، ثم أخذ ينادى على الناس:

ــ هيا ادفعوا عشر قطع ذهبية نظير جثة أمى.

اعترض الناس قائلين فى دهشة:

ــ متى جرى أن اشترى أحد جثة إنسان ميت بالنقود؟.

ثار الزعيم ثورة عارمة من الغضب، وأمر بقتل الصبى.

٥٧. أنانسى[١] فى رحلة لصيد السمك



فى قرية الأشانتى الواقعة بغرب أفريقيا، عاش رجل يدعى أنانسى عند طرف الغابة الكبيرة. وقد عرفه جميع من حوله، حتى المقيمين على مسافات بعيدة عنه، ذلك على الرغم من أنه لم يكن صيادا بارعا ولا صائدا ماهرا للأسماك، ولا محاربا باسلا. لكنه تميز فقط بالدهاء والمكر. وكان يحاول دائما خداع الناس والعيش متطفلا عليهم.

كان أنانسى يحب أن يعيش بصورة جيدة، وأن يعمل الآخرون من أجل راحته. لكن الجميع فى القرية من أصغرهم إلى أكبرهم كانوا يعرفون دهاء أنانسى، ويتجنبونه بالقدر الكافى. لذلك اضطر أنانسى للجوء إلى أساليب أخرى من الخبث والدهاء، وذلك كى يحصل من لا شىء على أى شىء.

وذات يوم كان يجلس بالقرب من كوخه، فسار بالقرب منه رجل يدعى أوسانسا. فقال له أنانسى:

– إليك ما أفكر فيه، لو أننا قمنا معا برمى الشباك فى الماء، لحصلنا على كمية كبيرة من الأسماك، ثم نبيعها بعد ذلك ونصبح من الأثرياء!.

لكن أوسانسا كان يعرف أنانسى جيدا، لذلك رد عليه:

---

(١) أنانسى– هو شخصية العنكبوت المخادع الخبيث، وهى شخصية محببة وشعبية فى الفلكلور الأفريقى وفى الحكايات الشعبية الأفريقية. (المترجم)

ـ اعذرنى، فلدى الآن الكثير من كل شيء، بدءًا من الطعام والحبوب التى يمكننى بيعها. كما أنى ثرى ولا أحتاج لشيء آخر. فلماذا لا تذهب وترمى الشباك بنفسك؟.

قال أنانسى:

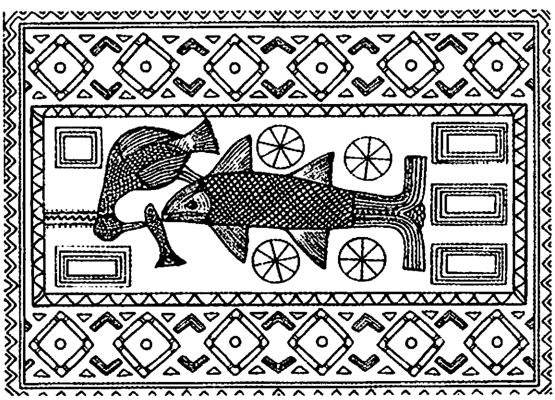
ـ أتريدنى أن أصيد السمك بمفردى؟ عندئذ سوف أضطر للقيام بكل العمل، وما أحتاجه الآن هو العثور على رفيق أحمق غيرك!.

رحل أوسانسا. وبعد مرور وقت قليل مر رجل آخر يدعى أنينى. فقال له أنانسى:

ـ إليك ما أفكر فيه، لو أننا قمنا معا برمى الشباك فى الماء، لحصلنا على كمية كبيرة من الأسماك، ثم نبيعها بعد ذلك ونصبح من الأثرياء!.

كان أنينى هو الآخر يعرف أنانسى جيدا. لكنه اصطنع هيئة من يفكر فى الأمر وقال:

ـ إن ما تفكر به هو أمر جيد حقا! ويمكننا نحن الاثنين صيد كمية كبيرة من السمك أكثر مما تصيدها بمفردك. حسنا، فلنستعد للذهاب!.



سرعان ما انتشرت الأخبار فى الأرجاء. وعرف النـاس فـى القريـة أن أنانسى وأنينى يستعدان للذهاب معا لصيد السمك. والتقى أوسانسا مع أنينـى فـى السوق وقال له:

ــ لقد سمعنا أنك سوف تذهب مع أنانسى لصيد السمك، ألا تدرك أنه سوف يخدعك؟ لقد أخبر الجميع أنه يبحث عن رفيق أحمق يلقى بالشباك بـدلا منه، ويقوم بكل العمل بدلا منه، وسوف يحصل على النقـود ويأخـذها لنفسه بعد ذلك!.

رد أنينى:

ــ لا تقلق على أيها الصديق أوسانسا، فلن أصبح فى عداد الحمقى أبدا!.

فى الصباح الباكر من اليوم التالى، خرج أنانسى وأنينى إلى الغابـة لقطـع الأغصان وتضفير الشباك.

قدح أنانسى زناد فكره فى الوسيلة التى يجعل بها أنينى يعمل أكثر منه.

ولكن عندما وصل الاثنان إلى أرض بها عدد من النخيل، قال أنينى له:

ــ سوف أقوم أنا بقطع الأغصان، فنحن رفاق معا. وكى نقسم العمل بيننـا مناصفة، سوف أقوم بقطع الأغصان بدلا منك، بينما أنت تقوم بالتعـب بدلا منى!.

ــ انتظر انتظر وامنحنى دقيقة للتفكير، لماذا على أن أتعب بدلا منك؟.

ــ كيف لا تفهم الأمر؟ عندما يعمل الناس معا، فلا بد أن يتعب أحد! وعندما أقوم بقطع الأغصان بدلا منك، عليك أن تتعب بدلا منى، وذلك باعتباره الحد الأدنى من المشاركة معى.

هتف أنانسى:

ـ هذا يعنى أنك تظننى أحمق؟ أعطنى السكين، وسوف أقوم أنا بقطع الأغصان بنفسى، وعليك أن تتعب بدلا منى.

حمل أنانسى السكين وأخذ يقطع الأغضان.

وكان فى كل مرة يقطع فيها غصنا من الأغصان، يأخذ أنينى فى التأوه. وظل أنينى جالسا تحت ظل الشجرة يتأوه ويتأوه من التعب، بينما أخذ أنانسى فى قطع الأغصان والعمل بكد، حتى تصبب من العرق.

وأخيرا تم قطع الأغصان المطلوبة، وربطها أنانسى فى حزمة هائلة. عندئذ نهض أنينى وهو يتأوه وقال:

ـ أنانسى، اسمح لى الآن بحمل الأغصان، واتعب أنت بدلا منى!.

ـ لا ياصديقى أنينى، فأنا لست غبيا كما تظن. سوف أحمل الأغصان بنفسى، وعليك أن تتعب بدلا منى.

وضع أنانسى حزمة الأغصان الضخمة فوق رأسه. وسار الاثنان عائدين إلى القرية. وظل أنينى يتأوه ويئن طوال الطريق مصدرا شتى أنواع الأصوات:

ـ أى أى أى، أأأآى! تمهل يا أنانسى! آه يا جسمى، آه يا رأسى!.

وعندما وصلا إلى القرية قال أنينى:

ـ والآن اسمح لى يا أنانسى أن أضفر الشباك، بينما تجلس أنت وتتعب بدلا منى. رد أنانسى معترضا:

ـ لا، لا استمر فيما تفعله.

وقام أنانسى بنفسه بغزل الشباك وتضفيرها، بينما جلس أنينى مرتاحا فى الظل راقدا على ظهره يتأوه ويئن وعيناه مغلقتان.

انتهى أنانسى من صنع الشباك والعرق يتصبب من جميع أجــزاء جـسمه. ونظر إلى أنيني الذى رقد بالقرب منه وهو يتأوه ويحرك رأسه ولسانه فقط. فقــال أنانســـى في نفســـه: "إن أنيني يظن نفسه ذكيا، بينما يتأوه ويئن ويكاد أن يمــوت من التعب!".

عندما أصبحت الشباك جاهزة نهض أنيني واقفا على قدميه وقال:

ــ أنانسى يا صديقى، اسمح لى الآن بحمل الشباك إلى الماء، واتعب أنــت قليلا بدلا منى!.

ــ هــاه! لا يا عزيزى، استمر فيما تفعله واتعب أنت، وســـوف أحمــل الشباك بنفسى!.

وانطلق الاثنان إلى النهر. وهناك قال أنيني لأنانسى:

ــ والآن انتظر قليلا يا أنانسى. وعلينا التفكير جيدا فى الأمر. ففـــى هــذا النهر تسبح أسماك القرش، ويمكنها أن تعض أحدا منا. فاتركنى أنــزل إلى الماء وأضع الشباك بنفسى، ولو عضتنى سمكة القرش فيمكنــك أن تموت بدلا منى!.

هتف أنانسى محتجا:

ــ ما هذا الذى تقوله؟ وهل تظننى غبيا إلى هذا الحد؟ سوف أنزل إلى الماء وأضـــع الشباك بنفسى، ولو عضتنى سمكة القرش فيمكنـــك أن تمــوت بدلا منى!.

نزل أنانسى إلى الماء ورمى الشباك. وبعد ذلك عاد الاثنان إلى القرية.

وفى الصباح التالى ذهبا ينظران إلى الشباك، فلم يجدا سوى أربع ســمكات. تحدث أنيني أولا فقال:

ـ أنانسى، لا يوجد هنا سوى أربع سمكات فخذهم لنفسك، وغدا قد يقع عدد أكبر من الأسماك، وعندئذ سوف أحصل على نصيبى!.

صرخ أنانسى فى غضب:

ـ من تظننى فى رأيك؟ هل تعتقد أنى أبله إلى هذه الدرجة؟ لا يا عزيزى أنينى. خذ لنفسك هذه الأسماك، وسوف أحصل على نصيبى غدا.

أخذ أنينى السمكات الأربع، وذهب إلى المدينة وباعها.

وفى اليوم التالى ذهب الاثنان إلى النهر وجذبا الشباك. وقال أنينى:

ـ انظر، يوجد هنا ثمان سمكات، وأنا سعيد بأن دورك قد حان اليوم لأخذ الأسماك. وفى الغد سوف نصيد ضعف الكمية!.

قال أنانسى:

ـ انتظر، انتظر، أتريد منى أن آخذ هذه الأسماك اليوم، بينما تحصل فى الغد على ضعفها؟ لا يا صديقى، إن هذه الأسماك كلها لك بالهناء والشفاء!.

ذهب أنينى بالسمكات الثمانى إلى المدينة وباعها هناك.

وفى اليوم التالى ذهبا إلى النهر، فوجدا ست عشرة سمكة فى الشباك. فقال أنينى:

ـ أنانسى، خذ هذه الأسماك لك، فهى كثيرة كما ترى، وفى الغد سوف أحصل على نصيبى.

ـ بالطبع أيها الأخ، فاليوم حان دورى، وفى الغد سوف تأخذ نصيبك.

لكن أنانسى أخذ يفكر لبعض الوقت، ثم قال أخيرا:

ـ هأنت تريد خداعى ثانية، أتريدنى أن آخذ هذه الأسماك الصغيرة النحيفة، بينما تحصل فى الغد على ضعفها؟ لا يا عزيزى إنها لك.

أخذ أنينى الأسماك، وباعها فى السوق كما فعل فى السابق.

وخرجا فى اليوم التالى إلى النهر، وأخرجا السمك من الشباك، وشاهدا أن الشباك قد تآكلت وتمزقت. فقال أنينى:

ـ حسنا، اليوم بالطبع هو دورك، وأنا سعيد بذلك. انظر، لقد تآكلت الشباك وتمزقت، ولا تصلح للصيد بعد ذلك. وسوف أخبرك الآن بما نفعله: خذ الأسماك لك واذهب إلى المدينة لبيعها، بينما آخذ أنا هذه الشباك الممزقة وأبيعها. فهذه الشباك البالية تساوى الكثير من المال.

رد أنانسى:

ـ نعم، نعم، تريث قليلا يا أخى، لماذا تتعجل الأمر؟ سوف آخذ الشباك البالية لنفسى وأبيعها. وأحصل مقابلها على مال كثير بدلا منك. وخذ أنت الأسماك لك يا صديقى.

ولملم أنانسى الشباك الممزقة البالية ووضعها فوق رأسه، وانطلق إلى المدينة، بينما حمل أنينى الأسماك وذهب خلفه.

وعندما وصلا إلى السوق باع أنينى الأسماك فى وقت وجيز، بينما ظل أنانسى يقطع السوق ذهابا وإيابا لفترة طويلة وهو يصرخ مناديا:

ـ من يريد شراء شباك صيد مهترئة ممزقة؟ هيا أيها الناس تعالوا وانظروا إلى شباكى المهترئة.

ولكن أحدا بالطبع لم يفكر فى شراء شباك ممزقة، حتى أن زوار السوق كانوا يتشاجرون مع أنانسى ويسبونه قائلين: "أتظننا من المغفلين والحمقى لنشترى هذه الشباك؟".

وقضى أنانسى اليوم بطوله يجوب السوق مناديا:

ــ هيا اشتروا الشباك المهترئة! أعرض عليك شباكا ممزقة رائعة!!.

وأخيرا وصل الخبر إلى الزعيم بنفسه، حول أن أنانسى يعرض شباكا مهترئة للبيع فى السوق. فأرسل تابعا له كى يحضر أنانسى إليه. وعندما أتوا به قال الزعيم بغضب:

ــ أجبنى فورا، ما الذى تفعله الآن؟ ومن تريد خداعه من سكان مدينتنا؟.

رد أنانسى:

ــ أنا أبيع شباكا ممزقة أيها الزعيم، شباكا مهترئة رائعة ليس لها مثيل ولا نظير.

صرخ الزعيم فى وجه أنانسى:

ــ ماذا تظننا؟ أتظننا من الجهلاء والحمقى؟ لقد جاء صديقك أنينى إلى السوق عدة مرات، وباع للناس سمكا جيدا، بينما تأتى أنت إلينا لتبيعنا شباكا مهترئة لا يحتاج إليها أحد! هذا يعنى أنك تسخر منا وتهيننا!.

والتفت الزعيم إلى السكان الذين وقفوا بالقرب منه وقال لهم:

ــ اقبضوا على أنانسى، وأنزلوا به العقاب المناسب.

أمسك المواطنون بأنانسى، وجرجروه إلى بوابة المدينة، حيث قاموا بضربه بالعصا ضربا مبرحا.

ظل أنانسى يصرخ ويزعق معترضا على ضربه، لكن ما فعله لم يساعده.

وعندما تركوا أنانسى وهو فى حالة يرثى لها قال له أنينى:

ــ فليكن هذا درسا لك يا أنانسى. لقد أردت الحصول على رجل أحمق كى يصيد الأسماك بدلا منك. فلماذا كل هذا العناء الذى تكبدته، بينما أنت هو ذلك الأحمق بنفسه؟.

هز أنانسى رأسه قائلا:

ــ نعم.

قال أنانسى كلماته مفكرا فيما جرى له، وهو يتحسس ظهره وساقيه الذين غطتهم الكدمات من شدة الضرب وقال:

ــ آه أى أى، يا لك من رفيق! ألم يمكنك أن تتألم بدلا منى عندما ضربونى!.

٥٨. حكاية المفجوع وزوجته

كان أحد الرجال يعمل فى صيد الغرغر. وذات مرة خرج مع زوجته إلى الغابة لنصب الأفخاخ. وأقام الصياد كوخا فى الغابة، وفى الصباح التالى خرج ونصب الأفخاخ، ثم عاد إلى زوجته.

ذهب الصياد فى اليوم التالى يتفقد الأفخاخ. فرأى أن هناك ثلاثة طيور وقعت بها. فذهب بالطيور إلى زوجته وقال لها:

ـ لقد عرفت أن هناك مجلسا قد انعقد وينبغى على الذهاب إليه. فأعدى لى نصف هذه الطيور كى آكلها قبل ذهابى، وبعد ذلك يمكنك إعداد النصف الآخر لنفسك.

فعلت الزوجة ما طلبه زوجها. والتهم الزوج نصيبه من الطيور ورحل. عندئذ قامت الزوجة بإعداد بقية الطيور لتأكلها. وعندما بدأت فى تناول الطعام تسلل الزوج خلسة إلى الكوخ، ووضع عباءة على وجهه، وأخذ يخيف الزوجة مصدرا أصوات غريبة. ظنت المرأة أن هناك روحا شريرة. ففرت هاربة إلى الغابة، بينما التهم الزوج نصيبها من طيور الغرغر.

بعد ذلك عادت الزوجة إلى الكوخ، وعندما شاهدت زوجها حكت له قائلة:

ـ لقد هبطت على فى الكوخ روح شريرة أثناء غيابك فى المجلس، والتهمت كل طعامى.

رد الزوج:

ـ لا يهم. فغدا سوف أحضر لك طيورا أخرى.

في اليوم التالى خرج يتفقد الأفخاخ، فعثر على ستة طيور من الغرغر بهـا. وقامت الزوجة بإعداد الغرغر ثانية، وقام الزوج بتخويفها مـرة أخـرى، والـتهم نصيبها من الطعام.

وفى اليوم التالى أمسك الصياد بستة طيور. وعندما استعدت الزوجة لتناول نصيبها من الطعام، أخذ الزوج مرة أخرى فى إصدار الأصوات المخيفـة. لكـن المرأة قد نفذ صبرها من الجوع، وثارت غاضبة فـى وجـه الـروح الـشريرة. وضربتها بسكين فى وجهها، ففر الزوج هاربا يصرخ من الألم.

بعد مرور بعض الوقت عاد الزوج إلى الكوخ وقال لزوجته:

ـ عندما كنت بالمجلس تشاجرنا معا، فأصابونى فى وجهى.

لكن الزوجة أدركت أن الزوج هو تلك الروح التى كانت تخيفها، وذلك كـى يلتهم نصيبها من الطعام. فثارت من الغضب على زوجها، وتركته وعـادت إلـى قريتها.



٥٩. حكاية أنسيجى كارامبا الذى لا يشبع أبدا

فى البلاد الواقعة بين السنغال وغامبيا، عاش رجل يدعى أنسيجى كارامبا فى ماكو.

كان الرجل قد ورث ميراثا كبيرا عن أبيه. لكن أنسيجى كان بخيلا مقترا. بالإضافة إلى ذلك، فإن أنسيجى قد اشتهر بنهمه الشديد للطعام.

كان للرجل زوجة تدعى باما، والعديد من الخدم والكثير من العبيد. وقد عانوا جميعا من معاملته السيئة وبخله الشديد. وكان يقول لزوجته دائما:

– إنك لا تطعميننى كما ينبغى، ولا ترعيننى بصورة طيبة كما تفعل الزوجات الأخريات مع أزواجهن.

وكان الرجل عكر المزاج دائما، كما كان يشك دائما فى أن الخدم والعبيد يأكلون أكثر من اللازم، بل إنهم يسرقونه أيضا. وفى حقيقة الأمر كان الحال مخالفا تماما. فقد كانوا جميعا يحصلون على الفتات من الطعام. وكان أنسيجى يخبئ مخزونه بحذر شديد فى مكان آمن لا تصله يد، ولا يمكن لأحد الانتفاع بشىء ولا الحصول على شىء فى بيته.

كان سكان القرية يعتبرون أنسيجى أكثر شخص لا يطاق على وجه الأرض.

وقد أصاب الضجر باما من كثرة الشكاوى الدائمة لزوجها والشجار المستمر معه، مما جعل حياتها معه مستحيلة على هذا النحو. فذهبت إليه ذات مرة وقالت:

ـــ سوف أذهب لزيارة والدى، فلا بد أن أهلى قد اشتاقوا لرؤيتى.

جمعت باما أغراضها وغادرت ماكو متجهة إلى قريتها.

بعد رحيل الزوجة أصبح أنسيجى فى حالة سيئة جدا. وصار الخدم هم الذين يعدون الطعام له. وكانوا بالطبع لا يولونه الرعاية الكافية. وأصبحوا الآن يقـــدمون له طعاما رديئا تقل كميته يوما بعد الآخر، وذلك بعد أن كان يأكل الطعام الـــشهى الذى تقدمه باما.

وكلما اشتد لومه وتعنيفه للخدم والعبيد، كلما ساءت حاله أكثر فـــأكثر. فقـــد أصابهم الضجر من شدة بخله ونهمه.

ومر وقت طويل منذ رحلت عنه باما، وها هو فى صباح أحد الأيام يعترف لنفسه قائلا:

ـــ لقد أصبحت حياتى بائسة، وها قد مر عامان منذ تركتنى زوجتى وذهبت إلى بيت أهلها، وهأنا مضطر أن أدفع النقود للخدم؛ الذين لا يـــستحقون شيئا؛ مقابل إعدادهم الطعام لى، والذين ليس لديهم سوى هم واحد، وهو خداعى وإطعامى أردأ الأطعمة. فكيف يمكننى التأقلم مع هـــذا الجـــوع؟ ينبغى على الذهاب إلى باما وإعادتها إلى البيت.

بعد سفر طويل وصل أنسيجى إلى القرية التى تعيش فيها أسرة باما.

قابل والد باما الزوج، ورحب به طبقا لعادات الضيافة فمنحه جديا هدية له.

سال لعاب أنسيجى على الفور. ونسى كل شىء حوله فى العـــالم. فأمـــسك بالجدى وركض معه مسرعا إلى الحقل، حيث قام بذبحه وسلق لحمه. وكان يتعجل

الأمر بصورة رهيبة. وخشى أن يظهر أحد فجأة فى المكان، وعندئـذ يـضطر أن يقتسم معه طعامه. فلم ينتظر حتى ينضج اللحم، وأخذ فى ابتلاعه بـشراهة قطعـة تلو الأخرى.

أخـذ أنسيجـى يأكل ويأكل. وسـرعان ما أنهى لحـم الجدى ولم يبـق منه شيئًا.

لكن أنسيجى لم يشبع بعد. وشاهد نعجة كبيرة ترعى فى الحقل. فقبض عليها وذبحها ووضع لحمها فوق النار.

كان قد مر وقت طويل على رحيله من القرية. فاعترى القلق باما، وخافـت أن يكون مكروها قد أصابه، فقالت:

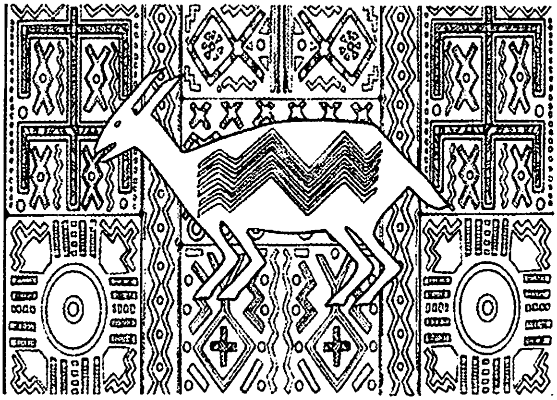
ــ إنى أعرف زوجى جيدا. وسوف أخرج لأرى ما جرى له بسبب نهمـه للطعام.

خرجت باما إلى الحقل، وشاهدت أنسيجى هناك يستعد لشى النعجة. وسألته باما:

ــ ما هذا الذى تفعله؟ إنها ليست الجدى الذى منحه لك والدى، بـل هـى نعجة زعيم القبيلة!.

أجاب أنسيجى عليها بغضب:

ــ لا داعى لمثل هذه الألاعيب، فأنت تعرفيننى جيدا. وقد أكلت الجدى الذى أخذته من والدك، لكنه لم يشبعنى، وعندما شاهدت النعجة الثمينة قررت أن أكمل بها طعامى.



صرخت باما قائلة:

ــ لم يكن ينقصنا سوى هذه المصيبة! سوف يعاقبك زعــيم القبيلـــة علـــى سرقتك نعجته. ولكننى سوف أحاول إنقاذك من هذه الورطة.

طلبت باما من أنسيجى أن يحمل النعجة المذبوحة إلى المكان الذى كانت به، ويقوم بربطها مع جواد زعيم القبيلة. وبعد أن فعل ذلك، عادت معه إلى القريـــة. وهناك قالت باما للزعيم، إنها شاهدت النعجة ترقد بالقرب من الجواد، ولا بـــد أن الجواد قد هاج وضربها بحوافره فقتلها.

أرسل الزعيم خادمه على الفور ليتبين الأمر. وعاد الخادم بعد وقت قصير وقال للزعيم:

ــ نعم، هذه هى الحقيقة، ولا بد أن الجواد هو الذى قتل النعجة، وتسبب فى هذه المحنة!.

فى اليوم التالى قالت باما لوالدها:

ــ لقد عرفت أن أنسيجى قد جاء من ماكو وهو يتضور جوعا مثل الـــذئب. فما الذى يمكننى إعداده له من الطعام كى يأكل حتى الشبع؟.

نصح الوالد قائلا:

– إنى أنصحك أن تقومى بشى بعض كيزان الذرة، فهى سوف تسد جوعه.

خرجت باما إلى الحقل. وجمعت عددا كبيرا من كيزان الذرة فى سلة ضخمة. وكانت الكمية التى جمعتها تكفى لعشرين شخصا. وقامت بشى الذرة وقدمتها لزوجها.

التهم أنسيجى كل ما قدمته دون أن يبق شيئا. ولكنه لم يشبع.

وخرج إلى الحقل وأخذ يقطع كيزان الذرة.

وعندما هبط الظلام كان أنسيجى قد جمع كمية هائلة من الكيزان، حتى أنه لم يستطع حملها. فألقى بهم فوق ظهره الذى ناء من ثقلها. وانطلق عائدا إلى القرية. وأصبح الظلام يشتد أكثر فأكثر حوله، فلم يستطع أن يميز الطريق أمامه. وأخيرا وصل إلى الدرب.

فى ذلك الوقت أصبح الظلام حالكا حتى أن المرء لا يشاهد يده الممدودة أمامه! ولاحت فى البعد أضواء خافتة للقرية. فقرر أنسيجى السير إلى الأمام نحو تلك الأضواء. وكان هناك بئر فى طريقه. وعندما اقترب أنسيجى من البئر فى الظلام، لم يلحظه وسقط بداخله مع حمله الثقيل من الذرة.

أما باما الجالسة فى منزل أبيها، فقد كانت تفكر فى ذلك الوقت: "إنى أعرف زوجى جيدا، فلأذهب لأرى إن كان مكروه أصابه من جديد، وذلك بسبب نهمه الشديد الذى لا ينتهى".

حملت الزوجة شعلة وخرجت للبحث عن زوجها.

وعندما وصلت باما إلى البئر وضعت الشعلة فوق فتحته، وشاهدت أنسيجى فى القاع وحوله أكوام كبيرة من كيزان الذرة. فسألته باما:

ـ ما الذى تفعله هناك؟.

صرخ أنسيجى مغتاظا:

ـ لا داعى لمثل هذه الألاعيب، فأنت تعرفيننى جيدا. أنتم جميعا لا تريدون سوى أن أموت من الجوع، ومن الأفضل أن تساعدينى فى الخروج من هنا بدلا من ثرثرتك الفارغة!.

ـ نعم، لقد وقعت فى ورطة أخرى! من الذى يرضى أن تسرق كل هذه الحبوب؟! ولكن لا داعى أن تشكو أو تصرخ، فسوف أنقذك من هذه الورطة.

أسرعت الزوجة إلى الحقل حيث كانت الأبقار ترعى فيه، ودفعتهم جميعا نحو حقل الذرة الذى سرق منه أنسيجى المحصول.

وعندما دهست الأبقار بحوافرها عيدان الذرة، لم يبق هناك شيء، ثم أخذت باما فى الصراخ بصوت عال. وأسرع سكان القرية إلى الحقل وهم يسألون:

ـ ما الذى جرى؟.

ردت باما:

ـ مصيبة كبيرة! لقد كان زوجى يتجول فى الحقل، وشاهد الأبقار وهى تدهس الذرة بحوافرها. فقام بطرد الأبقار وجمع كيزان الذرة التى سقطت على الأرض. ولكنه غريب عن هذه الأرض ولا يعرف الطريق جيدا، فسار على غير هدى وسقط فى البئر.

قام الناس بتهدئة روعها:

ـ لا تحزنى، فهذه ليست مصيبة كبيرة! وسوف نخرج زوجك.

دفع الناس بالأبقار خارج الحقل، وأحضروا المشاعل والحبال، وأخرجوا أنسيجى من البئر. وكان أول ما فعله أن أسرع راكضا نحو بيت باما كى يأكل.

فى اليوم التالى قال الوالد لابنته باما:

ـ عليك اليوم إعداد طعام شهى لزوجك. فاطهى له أفضل ما يحبه من الطعام!.

ـ سوف أعد له كريات عجين القمح الشهية.

أحضرت باما حبوب القمح، ووضعتها فى جرن خشبى، وأخذت تطحنها وتطحنها حتى آخر حبة من القمح الذى أصبح دقيقا. أما أنسيجى فقد جلس فى ذلك الوقت يراقب زوجته، ويتلمظ من الجوع. وقامت الزوجة بوضع كميات من الحبوب فى الجرن وطحنه أربع مرات، حتى أصبح جبلا من الدقيق. وبعد ذلك خلطت الدقيق بالماء، وأعدت منه الكريات وسلقتها. وبعد أن نضجت حملتها إلى أنسيجى.

كانت هذه الكريات تكفى لإطعام عشرين شخصا! لكن أنسيجى التهمها كلها بمفرده. وبعد أن التهم آخر كرية، لمعت عيناه من شدة النهم وهى تنظر نحو الجرن. وقال أنسيجى:

ـ ربما ظل هناك القليل بعد!.

اقترب أنسيجى من الجرن ونظر بداخله، فشاهد بعض الدقيق الملتصق على حوافه. فأدخل أنسيجى رأسه فى الجرن كى يلعق بلسانه الدقيق المتبقى، ثم شاهد بعض الدقيق على قاع الجرن.

غرس أنسيجى رأسه لأعمق فى الجرن، محاولا الوصول إلى الدقيق بلسانه. وعندما حاول إخراج رأسه مرة أخرى لم يستطع، بعد أن التصق الجرن برأسه.

في ذلك الوقت فكرت باما في نفسها: "إني أعرف زوجي جيــدا، فلأذهــب وأنظر لما جرى له، فربما لحق به سوء بسبب نهمه".

دخلت الزوجة إلى البيت وهي تجول بنظرها، ولكنها لم تر أنسيجي. وظلت باما تبحث عن أنسيجي، حتى ذهبت إلى الفناء وشاهدت زوجها وقد انحشرت رأسه داخل الجرن. فصرخت باما:

ــ ما الذي جرى لك؟.

ــ هل هذا هو الوقت المناسب كي تسأليني عما جرى لي؟.

كان صوت أنسيجي يتردد مكتوما من داخل الجرن. وأضاف قائلا:

ــ لقد أردت أن ألعق بلساني الدقيق المتبقي على جوانب الجرن، وها هو قد التصق برأسي الآن، ولا أستطيع إخراجها! فاذهبي وفكري في طريقة ما لإنقاذ رأسي!.

ردت باما:

ــ حسنا، حسنا، سوف أنقذك، فتماسك.

خرجت الزوجة لطلب المساعدة. وهرع الناس إليها يسألونها عمــا حــدث، فقالت مولولة:

ــ يا للمصيبة التي حلت بي، يا للمصيبة! أنا المذنبة في كل شيء جــرى. فقد أخبرت زوجي أن رأسه كبير جدا، فرد علي قائلا إن رأسه صغيره، فقلت له إن رأسه لا تتسع للجرن. وعندما أراد البرهنــة علــى صــغر رأسه، أدخلها في الجرن وعلقت بداخله. وإني المذنبة فــي كــل ذلــك بنفسي!.

أخذ الحاضرون في تهدئتها وقالوا مواسين:

ـ لا تحزنى، فليست بالمصيبة الكبيرة!.

عندما ذهبوا وشاهدوا أنسيجى ورأسه فى الجرن، لم يتمالكوا أنفسهم من الضحك، وقالوا:

ـ لقد كنت محقة ياباما، فإن رأسه بالفعل كبيرة جدا.

وأحضروا بلطة حطموا بها الجرن، وحرروا رأس أنسيجى.

ظلت القرية بأكملها تسخر من أنسيجى وما جرى له. فغضب غضبا شديدا، وجمع أغراضه عائدا إلى قريته فى ماكو.

عندما عاد إلى البيت، تذكر فجأة أنه فى غمرة ولعه بالطعام، نسى أن يطلب من باما العودة معه. فأرسل خادما يطلب من زوجته العودة فورا. لكن باما ما إن شاهدت الخادم حتى طلبت منه أن يخبر زوجها: "بأنها لا تريد رؤية وجهه أبدا بعد ذلك!".

٦٠. حكاية الملك والطاهى

كان ياما كان ملك يعيش فى بلاد الله خلق الله. ولم يكن لديه سوى هواية واحدة، وهى قص الحكايات حول النساء ومكرهن. وقد عرف أن النساء قد وصلن إلى مرحلة الكمال فى الدهاء، ورأى أن السذج دائما ما يقعون فى حبائلهن. فقد كان يخشى النساء إلى درجة أنه لم يسمح لأى منهن بإعداد الطعام له، ولذلك أحضر شابا يعد له الطعام.

ذات مرة خرج الملك للصيد فى الغابة. وظل يسير فيها حتى أرسل الله له التعب. لكنه لم ينجح فى صيد شيء عدا طائر غرنوق[١] واحد جميل. وعندما هبط الليل امتطى الملك فرسه، وسار به عائدا إلى البيت. وعندما وصل إلى منزله، أعطى الملك الغرنوق إلى الطاهى كى يقوم بسلقه. وقال له:

ـ يمكن الحصول على وجبة شهية من هذا الغرنوق، ولكن بشرط ألا تقطعه إلى أجزاء، بل أسلقه كاملا.

ذهب الفتى الطاهى ووضع الماء ليغلى، ثم قام بتنظيف الطائر وإخراج أحشائه، ووضعه بأكمله فى قدر ضخم موضوع فوق النار. وبعد ذلك رفع غطاء القدر حتى يبرد. وعندما برد الحساء مد يده وأخرج الغرنوق ووضعه فوق صحن

---

(١) غرنوق وجمعها غرانيق، وهى ثلاثة أنواع ومنها الغرنوق الزنجي وهو أكبر أنواع الغرانيق ولونه أبيض ثلجي ومنقاره أسود وساقاه سوداوان. (المترجم)

كبير. وما إن هم بحمله إلى الملك حتى دخلت إلى الكوخ فجأة الفتاة التى كان يستعد للزواج منها.

انحنت الفتاة وقامت بتحيته، وعندما رفعت رأسها شاهدت الغرنوق، فسال لعابها من الرائحة الطيبة المنبعثة منه. وطلبت من الطاهى أن يقطع لها إحدى ساقى الغرنوق كى تتذوقه. لكن الفتى رد عليها:

ـ لا، إن هذا الغرنوق للملك، ولا يمكننى أن أعطيك حتى ولو جناحًا منه. فقد أمر الملك أن أسلقه كاملا.

نظرت الفتاة إليه نظرة عتاب ذات مغزى، وقالت:

ـ سوف يظل الأمر سرا بيننا. وهل يعقل ألا أساوى عندك ساق غرنوق؟ إن هذه هى المرة الأولى التى أحضر لزيارتك فى البيت. وهذه هى المرة الأولى التى أطلب فيها شيئا منك. وأقسم بالله إن لم تعطنى هذه الساق فسوف أفترق عنك إلى الأبد.

شعر الفتى بأنه قد أغضب محبوبته. وبعد أن شاهد غضبها خاف أن تنفذ تهديدها وتفسخ الخطوبة بينهما. وعندئذ قطع ساق الغرنوق بالسكين وأعطاها لفتاته. وحمل بقية الطائر إلى الملك.

نظر الملك إلى الطائر، وشاهد على الفور أن هناك ساقا مفقودة.

ـ أين الساق الأخرى؟ ألم آمرك بأن تسلق الغرنوق بالكامل؟ أم أنك قد بدأت فى الكذب على وخداعى؟.

رد الفتى:

ـ أطال الله عمرك أيها الملك، إن هذا الغرنوق لديه ساق واحدة، وهى التى تراها هنا، وأنت لم تلحظ هذا الأمر عندما أحضرته إلىَّ.

صاح الملك يسبه قائلا:

ـ أيها الأحمق! هل رأيت من قبل غرنوقا ذا ساق واحدة!.



قال الفتى:

ـ أقسم بحياتك إنى رأيت. فإن ذلك الطائر يتمتع بصفة مذهلة. فـــإن كـــان لدى سموك رغبة فى الاستمتاع بذلك الأمر، ففى فجر الغد سوف أذهب معك إلى البركة كى تشاهد بنفسك وبأم عينيك.

وقع الملك فى حيرة من حديث الفتى، ولم يعــرف الإجابــة عــن كلماتــه الحمقاء. لكنه قال أخيرا:

ـ حسنا أيها الفتى، إن كل واحد يمكنه الكذب فى الليل، لكن نور الــصباح عندما ينبلج، يكشف حقيقة كل شىء.

انحنى الفتى راكعا أمام الملك، ثم ذهب إلى بيته. ورقد فى فراشه. لكن ثقلا كان يجثم على روحه. وأخذ يفكر فيما يفعله كى ينفذ ما وعد الملــك بــه. وظــل صامتا لفترة، ثم قال:

ـ حقا، إن الفم هو من يضع الرقبة تحت حد السيف. ولا يمكن أن يكون هناك أسوأ من ذهابنا ومشاهدة الغرنوق واقفا على قدمين. وعندئذ لن ينجدنى شيء. وسوف أضطر لحمل حصيرة الخجل والعار مدى الحياة. ولو أصبح معروفا بأننى سرقت شيئا من الملك، فسوف يأمر بمصادرة كل ما أملكه. لقد كان من الأفضل لى أن أعترف بما فعلت، فيكتفى الملك بطردى. وعندما يعود لهدوئه يعيدنى إلى مكانى السابق.

لم يغمض للفتى جفن وهو راقد فى فراشه، حتى سمع النداء للصلاة. وعندما سمع المؤذن يكرر النداء خفق قلبه وفكر فى نفسه: "لقد حانت النهاية، وانتُزعت من الفقير آخر لقمة لديه". نهض الفتى وتوضأ وحمل سبحته، وأخذ يصلى إلى الله كى يساعده فى محنته. وسبّح مرتين، وفى المرة الثالثة حضر إليه قائد حراس الملك. فكاد قلبه أن يتوقف من الرعب والخوف وانقبضت معدته. وقام خارجا مع كبير الحراس.

وعندما خرج الفتى إلى الطريق، شاهد الملك بين الحاشية والخدم والجميع فى انتظاره. فسار الفتى فى المقدمة أمامهم. وظل يسير وهو يشعر بأنه ليس من الأحياء ولا من الأموات، وأخذ بدنه ينتفض ويرتجف من الرعب. وشاهد عبدين هائلي الجثة يتبعانه مثل ظله كى لا يهرب، وهما مستعدان لإلقاء رؤوسهما فى النار لدى إشارة واحدة من الملك. ولم يبق له سوى انتظار النجدة من عند الله. واصلوا جميعا طريقهم حتى وصلوا إلى البركة، حيث شاهدوا العديد من الغرانق النائمة. وبالمناسبة، فإن الغرانق عندما تنام ترفع إحدى ساقيها وتخفيها أسفل جناحها، وتظل واقفة على ساق واحدة، حتى يصيبها التعب فيبدلون ساقهم بالساق الأخرى. وعندما شاهدهم الفتى واقفين على ساق واحدة شعر بالفرح وقال للملك:

ـ نصرك الله أيها الملك! فليس لدى الشجاعة للاختلاف معك، ولكن انظر يا مولاى إلى تلك الطيور، فجميعها لديها ساق واحدة.

نظر الملك إليه وقال:

ـــ أيها الأحمق إنهم يرفعون ساقا عندما ينامون. وأنت تعتقد أن لديهم ساقا واحدة؟ انظر إليهم الآن عندما تقترب منهم.

سار الملك ناحية الطيور وهتف صائحا:

ـــ كيش! كيش!.

وعلى الفور أصبحت الطيور كلها تقف على ساقين، ثم طارت محلقة.

صرخ الملك هاتفا:

ـــ أرأيت؟.

قال الفتى:

ـــ نعم، عندما نصرخ عليها تصبح لديها ساقان، أطال الله عمرك أيها الملك، أما ذلك الطائر الذى أحضرته سموك إلى فلم تصرخ عليه عندما أحضرته، فظل بقدم واحدة. ولو كنت قد صرخت عليه نصرك الله؛ لأخرج ساقه الأخرى وبدد الشكوك لديك، وذلك بسبب العادة التى تتمتع بها هذه الطيور حتى يصرخوا عليها.

كانت هذه الإجابة سببا لأن يقيقه الملك منفجرا من الضحك هو ومن حوله، حتى كادوا أن ينقلبوا على الأرض من شدة الضحك. ونظر الملك نحو الفتى وقال:

ـــ إن ما تقوله هو الحقيقة، وأنا لم أصرخ فى الطائر الذى أحضرته لى بالأمس؛ ولذلك السبب فلم نر سوى قدم واحدة له.

غفر الملك للفتى. وعادوا إلى البيت وهم جميعا فى حالة من الدهشة لفطنة الفتى وذكائه.

٦١. حكاية كالالا وكالالاتو المفجوعين.

عاش فى الدنيا رجل يدعى كالالا، وزوجته التى تدعى كالالاتو. وقد خلق الله كالالا على نحو جعله لا يحب تناول الطعام بمفرده أبدا. ويرى فى هذا الأمر أبغض الأشياء فى الدنيا على الإطلاق. وقبلا، كان كالالا كثيرا ما يأكل الطعام مع جاره. لكن الجار كان نمَاما. وكان يردد دائما أن كالالا لا يجيد إعداد الميبا[١]، ودائما ما يزيد تمليحها فيضطر المرء لتخفيفها بالماء.

وعندما أدرك كالالا أن نميمة الجار قد تجاوزت جميع الحدود، كف عن دعوته لتناول الطعام. وبدأ يخرج إلى الطريق باحثا عن عابر سبيل يدعوه إلى البيت ليأكل معه. ولم ترض زوجته كالالاتو عن عادة زوجها هذه، وذلك لأنه عندما كان كالالا يذبح دجاجتين مثلا، لا تحصل الزوجة إلا على قطعة جناح بالكاد، بينما يلتهم كالالا وضيفه بقية الدجاج. وحاولت أكثر من مرة منعه عن هذه العادة، لكنه لم يتوقف عنها. لذلك كانت كالالاتو تضع جانبا لنفسها نصف الطعام الذى تعده، عندما يطلب منها كالالا إعداد الطعام. وعندما يقوم بلومها على قلة الطعام، تخبره بأن نصفه احترق، أو بأن قطة قد سرقت منه فى غفلة منها. وكان لديها العديد من هذه التبريرات المماثلة. وكان كالالا يصبر عليها كثيرا، حيث إن الله قد حباه بميزة الصبر وسعة الصدر.

(١) الميبا: هو حساء يُعد من مختلف الأعشاب والخضروات والجذور، وأحيانا يعد من حساء اللحم.

وذات مرة حصل كالالا على بعض المال، وذهب إلى السوق. وهناك اشترى دجاجتين، وذهب بهما إلى البيت، حيث طلب من زوجته كالالاتو تحمير الدجاجتين فى الحال. فقامت الزوجة بذبح الدجاجتين وتنظيفهما. ووضعت كالالاتو القدر فوق النار، وبدأت فى تحميرهما. كانت الدجاجتان سمينتين، فخرج منهما الكثير من الدهن فى القِدر. وعندما قامت كالالاتو بتقليب الدجاجتين، انسكب الدهن فوق النار مصدرا صوتا: "تش، تش". وسال لعاب كالالاتو عندما شمت الرائحة المنبعثة. وتوهجت عيناها مثل الضباع. وتذوقت بعض الحساء من القِدر كى تعرف درجة تمليحه، وأخذت تلعق الحساء وهى تستمتع به. وصاحت المرأة بتلذذ:

ـ أخ، لقد أصبح هذا الدجاج جاهزا! لقد أحسنت إعداده حتى أصبح شهيا، ولا أستطيع التصديق بأن نصيبى من هذه الكمية الكبيرة هو مجرد جناح صغير!.

فى ذلك الوقت كان الدجاج ما زال يُحمر فى القدر، وتفوح رائحته الزكية أكثر فأكثر مع الوقت. وحاولت المرأة التماسك، لكنها لم تستطع مقاومة الرائحة الطيبة، وبدأت تلتهم قطعة فأخرى من إحدى الدجاجتين وهى تقنع نفسها بأنها تتذوقه. وعندما أصبح الدجاج ناضجا تماما، كانت كالالاتو قد التهمت نصف دجاجة تقريبا. وعندئذ أخرجت الدجاجة من القدر وذهبت تخبر زوجها أن الطعام جاهز.

رد كالالا:

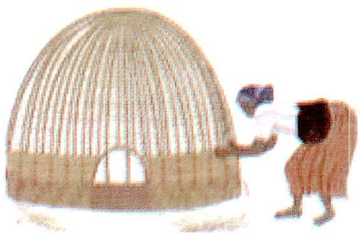
ـ حسنا، يمكنك قطع الجناح لتأكليه، أما الباقى من الدجاج فاتركيه حتى يحضر ضيف إلينا.

قالت كالالاتو:

ـ حسنا.

وذهبت فقطعت الجناح وجلست تلتهمه ببطء، وهى تنظر إلى بقية الـدجاج الذى يسيل منه الدهن مصدرا صوت: "تش، تش". فأسرعت كالالاتو إلـى البـاب وأخذت تسترق النظر لتتأكد أن زوجها لا يسير مع الضيف. وعندما لم تر أحـدا، عادت ثانية إلى قِدر الدجاج وأخذت تنظر نحوه ثم قالت:

ـ أخ، لقد نضج ساقا هذه الدجاجة تماما، فلأنزعهما حتى تبـدو الدجاجـة متناسقة مع الأخرى ولا تختلف عنها، وحتى لا يرى زوجـى وضـيفه شيئا مختلفا.



وقامت المرأة بقطع الساقين والتهامها، ثم ذهبت ثانية إلى المـدخل تراقـب مجيء زوجها. وعندما لم تشاهد أحدا، عادت من جديد إلى الطعام وقالت:

ـ إذن، متى يأتى زوجى فى نهاية الأمر؟ لقد بدأ الدجاج يبرد، ولـو أنـه شاهد الآن هذا الدجاج دون أجنحة ولا سيقان، فـسوف يـسألنى عنـه، وعندئذ لا أدرى بما أجيبه. فمن الأفضل أن ألتهم الدجاجة بأكملها لأريح نفسى من العناء. وعندما يأتى فسوف أخبره بأن القطة سرقتها.

وجلسـت كالالاتو والتهمت الدجاجة بأكملها، ثم جمعت العظـام المتبقيـة وألقتها بعيدا.

اقتربت كالالاتو مرة أخرى من الباب، وتطلعت من حولها فلـم تـر أثـرا لصاحب البيت. وبعد أن ظلت واقفة لبعض الوقت عادت إلى الداخل وقالت:

ـــ لقد بقى نصف الطعام تماما، فلألتهم ساقا أخرى لأتذوق طعمها، فربما احترقت بعض الشيء عندما قمت بقليها.

وأطبقت على الدجاجة الثانية، والتهمتها بالكامل هى الأخرى، ولم يبق منها سوى العظام. وبعد ذلك صبت الماء لنفسها وشربت منه حتى ارتوت، ثم قالت:

ـــ ليحدث ما يحدث، فما جرى قد جرى وانتهى الأمر.

وجلست المرأة فشاهدت زوجها قادما. وطلب الزوج من كالالاتو:

ـــ هيا أسرعى وضعى الفلفل الحار فوق الدجاج. فاليوم الجو شديد البرودة كما تعلمين، وليس هناك أفضل من الفلفل الحار فى هذا الطقس البارد.

قالت كالالاتو:

ـــ حسنا، ولكن عليك الانتظار لبعض الوقت.

دخلت الزوجة إلى البيت وهى تفكر فيما تقول لزوجها حول الدجاج. وكانت الزوجة فى الكوخ عندما حمل كالالا سكينا ومضى يشحذ نصله فوق حجر الشحذ، حتى أصبح النصل حادا تماما. فالسكين ينبغى أن يكون حاد النصل، حتى يمكنه قطع الدجاج قطعا صغيرة والتهامها بسهولة. وبينما الزوج يقوم بشحذ سكينه: "كراس، كراس" سمعت كالالاتو صوت أحد ما يلقى التحية. فأسرعت لاستقبال القادم، ونظرت إليه وسألته:

ـــ هل أنت هو الغريب الذى دعاه زوجى لتناول الطعام معه؟.

رد الغريب:

ـــ نعم، إنه أنا، منحك الله السعادة.

عندئذ قالت كالالاتو:

ـ ارحل سريعا عن هنا أيها الرجل البائس! فأنت لا تعلم ما الـذى يجـرى هنا. هل يمكنك أن تصدق أن هناك شخصا عاقلا يخرج إلـى الطريـق للبحث عن رفيق يأكل معه؟ عليك النجاة بحياتك والهـرب سـريعا، ألا تسمع صوت شحذ السكين الذى يمسك به زوجى فى الخارج كى يقطـع به إحدى أذنيك؟ إنه يقوم بهذا الأمر دائما؛ لأنه مختـل العقـل ويعـانى الجنون! فانج بنفسك.

استمع الغريب إلى كالالا وهو يشحذ السكين، وتأكد من صحة كلام المـرأة. وعندئذ أدار ظهره وفر مسرعا كالريح، حتى اختفى عـن الأنظـار. وأسـرعت كالالاتو هى الأخرى إلى زوجها وهى تصرخ قائلة:

ـ ها هى نتيجة دعوتك للغرباء! تدعو الغرباء الذين لا تعرفهم إلـى بيتـك لتحدث المصائب!.

سأل كالالا:

ـ ماذا به! هل هو مجنون؟.

ردت كالالاتو:

ـ لا يعنينى إن كان مجنونا أم عاقلا، بل المهم فى الأمر أنه لص مثله مثل الآخرين. فما إن شاهد الدجاج الذى نثرت فوقه الفلفل الحار، حتى قفـز واختطف الدجاج، وفر هاربا به. وها هو يركض نحو السوق.

ثار كالالا من الغضب وقال:

ـ يا له من وغد ملعون! من يحيا على الأرض يرى أغرب البشر، ألم يكن بوسعه أن يترك لى ولو واحدة فقط. سوف أحاول اللحاق بـه، فربمـا يقتسم معى ما سرقه.

ركض الزوج مسرعا من الكوخ، وشاهد الغريب يركض أمامه وهو يسابق الريح. فصاح كالالا مناديا عليه:

ـ أيها الصديق قف من أجل الله، وأعطنى ولو قطعة صغيرة! وأقسم بـالله أن زوجتى لم تلحظ أنك سرقت الدجاجة، ولن يعرف أحد بالأمر.

ظل الغريب يركض كما لو أنه لم يسمع شيئا.

نادت كالالاتو على زوجها:

ـ استمر فى الركض خلفه، فأنا أعلم أنه لن يستطيع الفرار منك. لقد ذهب كل جهدى هباءً، ولم يترك لك الفرصة لتذوق شيء مما أعددته. وينبغى عليك أن تعوضنى عن جهدى.

انطلق كالالا يواصل الركض حاملا سكينه فى يده. ومضى يلاحق الغريب وهو يصرخ:

ـ توقف من أجل الله، فأنا لا أريد سوى واحدة وسوف أترك لك الأخرى!.

وظن الغريب أن كالالا يريد قطع إحدى أذنيه وترك الأخرى. وعندما تلفت شاهد كالالا يركض خلفه حاملا السكين فى يده. فأخذ يواصل الركض وهو فى حالة من الفزع والرعب. وعندما أدرك كالالا أن اللحاق به ليس بالأمر السهل، استدار عائدا إلى البيت. وعندما شاهدته الزوجة عائدا سألته:

ـ هل أعطاك الدجاج؟ أرأيت أنى محقة عندما حذرتك من قبل؟.

قال كالالا:

ـ كيف يمكننى اللحاق به؟ إن هذا الوغد يركض مثل السهم! وعلى الرغم من أنه عجوز، إلا أنه يركض فلا تلمس قدماه الأرض. فليهنأ بالتهام الدجاج على الرغم من أنى لم أسمح له بذلك. وأقسم بحياتى أنى لن أشارك أحدا طعامى بعد الآن، ولن أحنث بقسمى حتى يتغير هذا العالم، وتتبدل أخلاق الناس.

٦٢. حكاية الفتاة شديدة المراس التى خدعوها

كان ياما كان فتاة حسناء صعبة المنال تعتز بنفسها وبجمالها كثيـرا. ولـم ترغب الفتاة فى الزواج من أحد. ورفضت جميع الفتيان الذين تقدموا إليها. وكانت فى كل مرة تجيبهم قائلة:

ــ لن أتزوج منك، ولا من أصدقائك، ولن أتزوج من أى أحد.

وتقدم إلى الفتاة الحسناء أكثر الفتية ثراءً، وأبناء الزعماء، لكن الفتاة رفضت جميع الرجال.

وفى إحدى القرى الصغيرة عاش شاب فقير جدا، لدرجة أنه رأى استحالة أن توافق أية فتاة على الزواج منه. وسمع الفتى الفقير ما تردد حول جمـال تلـك الفتاة، التى ترفض الزواج من الجميع، فقال:

ــ إن تلك الفتاة هى التى تصلح زوجة حقيقية لى، وسوف تقبلنى زوجا لها، بغض النظر عن فقرى.

تنكر الفتى فى ثياب امرأة. وانطلق فى هيئته النسائية إلى قرية الحسناء التى ترفض الزواج.

واستطاع؛ متنكرا فى هيئة النساء؛ أن يعقد صداقة مـع الحـسناء العنيـدة. وذات مرة قالت له الحسناء:

ــ أيتها الصديقة، هيا بنا نستحم معا.

وذهب الاثنان إلى البركة. وعندما وصلا إلى هناك قال الفتى:

ـــ استحمى أنت هنا، وسوف أذهب أنا للاستحمام عند الجانب الآخر.

سألت الحسناء:

ـــ ولماذا لا تريدين الاستحمام معى؟.

ـــ لقد اعتدت الاستحمام بمفردى.

دفعت الحسناء صديقتها بيديها نحو البركة وهى تقول:

ـــ عليك الاستحمام فى نفس المكان الذى أستحم فيه.

سقط الفتى فى البركة وغطس فى الماء. ثم رفع رأسه وهو يهتف قائلا:

ـــ لقد حدث الأمر!.

قفزت الحسناء هى الأخرى فى النهر وقالت:

ـــ ما هو ذلك الأمر الذى حدث؟.

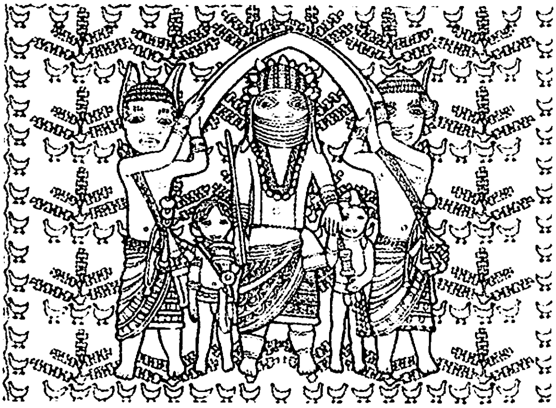
قال الفتى المتنكر:

ـــ لقد حدث ما تنبأت به أمى.

ـــ وما الذى تنبأت به أمك؟.

قال الفتى المتنكر فى هيئة النساء:

ـــ لقد قالت لى أمى: "أنت يا طفلتى لستِ طفلة عادية، فهناك لعنة قد حلت عليك. أنت بالطبع فتاة، ولكن لو حدث ذات مرة أن دفعتك فى الماء فتاة أخرى، أو قمت بالاستحمام مع فتاة أخرى، فسوف تتحولين إلى رجل؛ لأن هذه اللعنة لا تسمح لك بذلك".



سألت الحسناء:

ـ وهل أنت الآن أيتها الصديقة التعيسة قد أصبحت رجلا؟.

ـ نعم.

أخذت الحسناء فى البكاء وقالت:

ـ أنا المذنبة فى تعاستك، ألم تخبرك أمك عما ينبغى فعله كى تعودين فتاة مرة أخرى؟.

رد الفتى المتنكر:

ـ لقد أخبرتنى أمى بأن على النوم مع الفتاة التى استحممت معها، أو التى دفعتنى إلى الماء، وذلك حتى أتخلص من تلك اللعنة.

ردت الحسناء:

ـ حسنا، فلنذهب بسرعة إلى الشاطئ ونفعل ما قالته أمك.

خرجت الحسناء من الماء ومعها الفتى المتنكر. ورقدت الحسناء فوق العشب ونام الفتى معها. وبعد ذلك قالت الحسناء:

ـ يا له من أمر رائع! يا له من أمر رائع! ما الذى يمكننا فعله كى تظلـــى رجلا إلى الأبد؟.

رد الفتى:

ـ لو أنك قبلت الزواج منى فسوف أظل رجلا إلى الأبد.

وهكذا، تزوجت الفتاة الحسناء من الفتى الفقير.

٦٣. حكاية أبى نواس

(١)

كان ياما كان رجل يدعى أبا نواس[١]. وكان الرجل محبوبا لـــدى هـــارون الرشيد[٢]. وذات يوم أراد أبو نواس شراء حمار، ولم يكن لديه نقود. فقـــرر أبـــو نواس أن يطلب المال من هارون الرشيد. وذهب إليه فى قصره. ولم يكن هارون الرشيد فى ذلك الوقت يستقبل أحدا. فمنع الحراس أبا نواس مـــن الـــدخول إلـــى القصر، وذلك على الرغم من علمهم بحاجته إلى النقود. وفى ذلك الوقـــت خـــرج كبير الحراس وقال لأبى نواس:

ـ سوف أمنحك تصريحا للدخول إلى القصر، ولكن عليك أن تقتسم معى ما سوف تحصل عليه من السلطان.

اتفق الاثنان على ذلك الأمر. وعندما وقع الاثنان الاتفاق بينهمـــا، قـــام كبيـــر الحراس بالتوقيع عن أبى نواس، وقام أبو نواس بالتوقيع عن كبير الحراس. وبعد ذلك دخل أبو نواس إلى بلاط هارون الرشيد، وألقى عليه التحية، وجلس أمامه صامتا.

---

(١) أبو نواس- شاعر عربى ذائع الصيت عاش فى القرن الثامن، وكثيرا ما جرى تمثيله فى حكايات "ألف ليلة وليلة". ويرتبط اسمه بعدد كبير من الحكايات الشعبية السواحلية التى تسمى فلكلور المدينة، والتى تجسد تـــأثير الثقافـــة الإسلامية فى تلك المناطق.

(٢) هارون الرشيد- الشخصية الشعبية فى الفلكلور العربى وخاصـة فى "ألف ليلة وليلة". والتى تجسد الثراء والنفوذ. ويعود اسم هذه الشخصية الشعبية إلى الخليفة العربى هارون الرشيد (٧٦٣-٨٠٩) والذى ينتمى بأصله إلى العباسيين، والذين وصلوا بحكمهم فى بغداد إلى ذروة النهضة والمجد.

سأل هارون الرشيد:

ــ ماذا بك يا أبا نواس؟.

ــ أريد الحصول على مئة ضربة بالعصا.

كان هارون الرشيدى يحب أبا نواس حبا كبيرا. وكان يشفق عليه من الضرب. لكن أبا نواس أخذ يلح فى طلبه، حتى أمسك هارون الرشيد بالعصا وأخذ يضربه. وكان يضربه ضربا غير مؤلم. وعندما وصل إلى الضربة الخمسين، أخرج أبو نواس العقد الذى وقعه مع كبير الحراس، وأعطاه لهارون الرشيد وقال:

ــ لقد اتفقت مع صديقى أن أقتسم معه مناصفة كل ما أحصل عليه منك. وهأنا قد حصلت على خمسين ضربة، وعليه بدوره أن يحصل على الخمسين الأخرى.

عندئذ أمر هارون الرشيد بإحضار كبير الحراس، وضربه بالعصا خمسين ضربة.

وقال هارون الرشيد لكبير الحراس:

ــ فليكن هذا درسا لك، كى لا تكرر فعلتك فى المستقبل.

وندم كبير الحراس ندما شديدا على اتفاقه مع أبى نواس.

(٢)



ذات مرة أراد حمار أبى نواس الشرب. ولم يكن هناك وعاء لدى أبى نواس يصب فيه الماء للحمار. فذهب إلى جاره يستعير منه إناءً. وعندما حصل على الإناء من جاره، عاد به إلى البيت وسقى حماره. وظل الإناء لدى أبى نواس لثلاثة أيام. وفى اليوم الرابع وضع بداخله إناءً صغيرا، وذهب بهما إلى الجار. نظر الجار إلى داخل الإناء، وعندما شاهد الإناء الصغير صاح يقول:

ـ هذا الإناء الآخر ليس لى!.

رد أبو نواس:

ـ إنى لست لصا، ولا يمكننى أخذ شيء ليس ملكا لى، فقد أنجب الإناء لدى، ووضع هذا الطفل الصغير.

فرح الجار فرحا كبيرا وفكر فى نفسه: "يا للبيت المحظوظ الذى يعيش به أبو نواس، فإن الأوانى حتى تلد عنده".

مرت بضعة أيام، وذهب أبو نواس من جديد يطلب الإناء من جاره. لكن أبا نواس لم يعد الإناء واحتفظ به لفترة طويلة. وعندئذ ذهب الجار إليه بنفسه يسأله عن الإناء. فرد عليه أبو نواس:

ـ ألم تدر؟ لقد مات الإناء.

صاح الجار فى دهشة:

ـ ما هذا الذى تقوله؟ هل سمع أحد من قبل أن الإناء يموت؟.

سأله أبو نواس:

ـ وهل سمع أحد من قبل أن الإناء يلد؟.

ـ نعم.

ـ إذا، فالشيء الذى يلد يمكنه أن يموت.

ذهب الجار إلى العارفين والعلماء، فأكدوا له قول أبى نواس.

وهكذا، ظل الإناء لدى أبى نواس.

(٣)

ذات مرة قام أحد التجار بذبح عنزة ليأكلها. وعندما بدأ يشوى لحمها وصل أحد الفقراء، وجلس بالقرب منه يأكل طعامه الشحيح، وهو يتشمم رائحة الشواء.



وفى الصباح قابل الفقير التاجر وقال له:

ـ لقد ساعدتنى كثيرا بالأمس، وجعلتنى أحصل على رائحة طيبة انبعثت من شواء اللحم.

صرخ التاجر قائلا:

ـ أخ! لقد عرفت السبب فى عدم وجود رائحة للحم الذى شويته.

وذهب التاجر يشكو الفقير إلى هارون الرشيد، الذى أمر الفقير بدفع اثنتى عشرة روبية تعويضا للتاجر.

خرج الفقير إلى بيته وهو يبكى بمرارة، حيث إن المال لم يكن لديه. وأثناء سيره قابل أبا نواس وحكى له الأمر. فأعطى أبو نواس اثنتى عشرة روبية للفقير وقال له:

ـ سوف تعيد هذا المال إلى التاجر، ولكن لا تعطه له قبل وصولى.

فى الصباح وصل التاجر والفقير إلى هارون الرشيد. وقال الفقير:

ـ لقد أتيت لدفع المال إلى التاجر، على الرغم من أنى لم آكل اللحم، بل فقط شممت رائحته.

فى ذلك الوقت وصل أبو نواس، وحكوا له الأمر. فسأل أبو نواس:

ـ أين المال الذى أحضرته أيها الفقير؟.

أجاب الفقير وهو يمد يده بالنقود:

ـ ها هو المال.

أخذ أبو نواس المال ونادى على التاجر ليأخذه.

وعندما هم التاجر بأخذ النقود صاح أبو نواس:

ـ انتظر!

وألقى أبو نواس بالنقود على الأرض قائلا:

ـ هل سمعت رنين قطع النقود المعدنية؟ فلتأخذ الرنين لك وتترك النقـــود، كما أخذ الفقير رائحة اللحم فقط.

لم يستطع التاجر الاعتراض على الأمر. ومنح أبو نواس المال للفقير، الذى أسرع إلى بيته وهو يحلق من السعادة.

٦٤. هل يمكنك تعليمى الدهاء؟

ذهب رجل إلى رجل آخر وقال له:

ـ أريدك أن تعلمنى الدهاء!.

أجاب الآخر:

ـ حسنا سوف أعلمك، لكن عليك أولا أن تحضر لى وعاءً مملوءًا بحليب جملك.

فعل الأول ما طلبه الرجل، وانتظر حتى انتهى من شرب اللبن، ثم قال:

ـ هأنت قد شربت اللبن، والآن فلتشاركنى دهاءك.

ـ بكل سرور، هأنا على سبيل المثال قد خدعتك للتو، وشربت لبن جملك بلا مقابل.

٦٥. البخيل الخبيث

يحكى أن رجلا عاش فى الدنيا، ولم يكن يعطى شيئا لأحد، على الرغم من أنه لم يكن يرفض طلب أحد، واستطاع أن يخدع الجميع بالكذب والدهاء. وكـــان الجميع يخرجون من عنده راضين رغم عدم حصولهم على شـــىء منـــه. ودارت حول الرجل البخيل الأقاويل والحكايات.

ووصلت الأقاويل عنه إلى أربعة من الدعاة. وفكـــروا قـــائلين: "فلنـــذهب للتعرف على هذا الرجل الذى كثرت حوله الحكايات، ولو اتضح أنه بخيل بالفعل، فسوف نقول له: استمع إلينا وعد إلى رشدك واترك بخلك جانبا، وذلـــك حتـــى لا تتعرض فى العالم الآخر إلى العقاب العظيم! ولو كان الناس كاذبين فيما يقولونـــه عنه، فسوف نضع حدا لتلك الأقاويل".

وذهبوا إلى الرجل وقالوا له أول ما قالوا:

ـ أخبرنا، هل أنت هو ذلك البخيل الذى سمعنا عنه الحكايات؟.

رد عليهم البخيل:

ـ أيها الأخوة، هل يعقل أن تصدقوا الأقاويل التى تحاك حولى؟ لا تستمعوا إلى الذين يصفوننى بالبخل. واسألونى عن أى شىء تريدونه، وســوف ترون بأنفسكم أنى لن أبخل عليكم بشىء.

فكر الدعاة: "ربما ينسج الناس الأكاذيب حوله، فلنمكث ونتابع سلوكه!".

نادى الرجل على زوجته التى تفهم جيدا إيماءاته وقال لها:

ـ يا زوجتى العزيزة، أعدى الفراش للضيوف، وضعى فوقه فراء الكلاب في حجرة النوم النجسة.

تلفت الضيوف من حولهم في خوف لدى سماعهم ما قاله حول فراء الكلاب والنجاسة. وفى ذلك الوقت أعدت الزوجة الفراش فى الحجرة البعيدة، ووضعت فوقه فراء الكلاب.

وعندما كان الضيوف فى حالة من الذهول والحيرة فيما يفعلونه، قال البخيل لزوجته مرة أخرى:

ـ يا زوجتى العزيزة، أحضرى الخرقة القديمة المصنوعة من وبر الجمل، ونظفى بها زلعة الماء لأن قعرها قد اتسخ.

سمع الضيوف ما قاله حول الزلعة القذرة والخرقة البالية، فأصابهم الذهول. أما الزوجة فقد حملت الزلعة، وصارت تنظفها بخرقة بالية لم يستطيعوا حتى النظر إليها. وسرعان ما ذهبت إلى زوجها وقالت:

ـ لقد أصبحت الزلعة جاهزة للشرب.

عندئذ قال لها الزوج:

ـ إذا أحضرى البقرة التى سرقتها من اليتامى وأعطيها لضيوفنا.

وهنا لم يتمالك الدعاة أنفسهم، ونهضوا خارجين من البيت وهم يرددون:

ـ ابتعد عنا أيها الشيطان، فلن نأخذ منك شيئا لنضعه فى فمنا أبدا! وخرج الرجل من خلفهم وهو يصيح:

ـ لا ترحلوا أيها الأخوة، وانتظروا حتى تروا كرم ضيافتى لكم!.

لكنهم رفضوا عرضه، وهم يقسمون ألا يكون بينهم وبين البخيل وبيته أية صلة، وأن يتخلوا عن جميع الأفكار لتقويم سلوكه.

٦٦. الخادم الخبيث

ذات مرة قضى الخادم ليلته مع ابنة الملك. ووصل هذا الأمر إلى مسامع الملك، فأراد قتل الخادم. لكن الحاشية قالت للملك:

ـ لا تقتله! بل اجعله يدفع تعويضا!.

اعترض الملك قائلا:

ـ وما الذى يمكن أن يدفعه هذا الخادم؟ إنه فقير معدم.

وفكر الملك بعض الوقت، ثم قال:

ـ سوف آمر بقطع إحدى أذنيه!.

وافقت الحاشية الملك قائلة:

ـ هذا هو الأمر الصحيح. فلتأمر بقطع أذنه.

وقطعوا أذن الخادم.

وعندما قطعوا أذنه، ركض على الفور إلى قريته وهو يصرخ قائلا:

ـ لقد أصدر الملك قانونا جديدا! على كل واحد أن يقطع أذنه! وانظروا إلى كى تتأكدوا بأنفسكم!.

استمع جميع الناس إليه. ونظروا إلى الخادم ذى الأذن المقطوعة وقالوا:

ـ لقد أصدر الملك قانونا جديدا بالفعل، ولا يمكن لأحد الاعتــراض علـــى أمره!.

وقاموا جميعا بقطع أذن من أذنيهم.

فى اليوم التالى، عندما اجتمع الناس فى قصر الملك، لاحظ أن لديهم جميعــا أذنا واحدة. فسأل الملك:

ـ كيف جرى أن لديكم جميعا أذنا واحدة؟.

رد الناس عليهم:

ـ لقد أتى إلينا أحد الرجال وقال إنك قطعت إحدى أذنيه، ثم أصدرت قانونا يحتم على جميع السكان قطع إحدى أذنيهم.

ثار الملك غاضبا وقال:

ـ انظروا إلى، فلدى الأذنين سليمتين. أريدكم أن تقبضوا على ذلك الرجــل ذى الأذن الواحدة وتقتلوه!.

ذهب الناس إلى قريتهم وأخذوا فى البحث عن الرجــل ذى الأذن الواحـــدة. لكنهم لم يستطيعوا القبض على الخادم الحاذق، ذلك لأنهم جميعا أصبح لــديهم أذن واحدة فقط.

٦٧. اللصوص الخبثاء

كان هناك زوج وزوجة. وكان الاثنان من اللصوص. وذات مرة خرجا إلى الغابة يفتشان عن شيء يسرقانه. فقال الزوج:

ــ سوف نفعل التالى: أسرق أنا ما تسرقه النساء، مثل الكُسافا، والموز، والفلفل، أما أنت فتسرقين المواشى من الحظائر التى يقوم على حراستها الرجال. وعندئذ لن يرتاب أحد فينا.

وافقت الزوجة على فكرة الزوج. وأخذ الاثنان يسرقان فى كل مكان. ولم يمر يوم واحد دون حدوث سرقة. وأصابت الدهشة الناس وقالوا:

ــ ما الذى يجرى!؟ إن السرقات تحدث لدينا ولا نعرف الذين يقومون بها! الموز والكُسافا واللحم يختفون.

وهكذا، أخذ الناس يبحثون عن اللصوص، حتى وصلوا أخيرا إلى وكر فى الغابة يعيش به الزوج والزوجة. فسألهما الناس:

ــ أنتما تعيشان هنا فى الغابة وليس فى القرية، فمن أين تحصلان على الطعام؟.

اقتاد الناس اللصين إلى القرية، كى يقوموا بمحاكمتهما وقتلهما. وفى ذلك الوقت كان الناس يلقون فى النار بمن يعتقدونه لصا. ولو مات يعرف الناس أنه اللص الحقيقى الذى قام بالسرقة.

لكن الزوج والزوجة اللصين كانا فى غاية الخبث والدهاء. فقال الزوج:

ــ إنى أخبث الخبثاء، وزوج نزيكا، وسوف أعود إلى بيتى فى الغد.

ردت الزوجة عليه قائلة:

ــ وأنا نزيكا إيكيلا زوجة أخبث الخبثاء، وسوف أعود إلى بيتى فى الغد.

قام الناس بإلقاء الزوج والزوجة فى النار. وصرخ الزوج:

ــ إنى لم أسرق المواشى من حظائركم!.

أشفقت شعلة النار عليه، حيث إنه فى واقع الأمر لم يسرق المواشى، بل كانت زوجته هى الفاعلة.

وصرخت زوجة اللص بدورها:

ــ إنى لم أسرق الموز والكُسافا أبدا!.

أشفقت النار عليها هى الأخرى، ولم تحرقها لأنها نطقت بالحق. وهكذا استطاع الزوج والزوجة أن يخدعا الجميع، وظلا سليمين معافين. وقام الناس بمنحهم الهدايا والهبات تعويضا لهما، وعاد الاثنان إلى بيتهما.

٦٨. حكاية المرأة الثرثارة

كان ياما كان حاكم جشع يجمع من السكان الإتاوات والضرائب الكبيرة. وعاش بالقرب من قصره صياد حاذق. كان الصياد يقوم بنصب الأفخاخ، وينجح فى اصطياد العديد من الفرائس، وعلى الرغم من ذلك، فلم يكن يتبق لديه شىء. لأن الحاكم كان يأخذ كل شىء. وعندئذ قرر الصياد أن يلقن الحاكم درسا. فتسلل إلى القصر، وسرق منه كل أمواله. ولكن ما الذى عليه فعله بعد ذلك؟ وهنا ينبغى التنويه إلى أن زوجة الصياد كانت امرأة ثرثارة (يقول شعب البوغندا عن مثل أولئك الناس: "إن الثرثار مثله مثل النار"، ذلك لأن الثرثار لا يرحم أحدا مثله فى ذلك مثل النار).

وخرج الصياد إلى البحيرة، ورمى شبكته فوقعت بها سمكة كبيرة. أخذ الصياد السمكة إلى الغابة حيث وضع الأفخاخ. وشاهد الصياد أرنبا وقع فى أحد الأفخاخ. فأخرج الأرنب من الفخ ووضع السمكة بدلا منه، ثم حمل الأرنب إلى البحيرة ووضعه فى الشبكة وألقى بها فى الماء. وبعد ذلك ذهب مسرعا إلى بيته عبر الغابة، وأخفى النقود فى حفرة أسفل إحدى الشجيرات.

وصل الصياد إلى البيت وقال لزوجته:

ـــ ألا تريدين الذهاب معى كى نتفقد الأفخاخ؟ فربما وقعت فريسة بإحداها.

وافقت الزوجة بسعادة، وخرج الاثنان معا. وذهبا فى البداية إلى البحيرة. وجذب الصياد الشبكة، فرأت الزوجة الأرنب عالقا بداخلها. واعترتها الدهشة

والذهول وهى تنظر إلى الأرنب. وتصنَع الصياد هو الآخر الدهشة، ثم ذهبا معا إلى الأفخاخ، وشاهدا السمكة فى فخ منهم. وازدادت الدهشة التى اعترتهما. وعندما ذهبا إلى البيت، سار الزوج مع الزوجة بالقرب من الشجيرة التى أخفى أسفلها النقود. وقام بدفعها متعمدا وهو يهتف:

ــ انظرى يا زوجتى إلى هذه المعجزة!.

نظرت الزوجة فى الحفرة، وشاهدت النقود بداخلها فأخذت تضحك من السعادة. وقال الزوج:

ــ استمعى لما أقوله لك، ولا تخبرى أحدا بأننا عثرنا على نقود فى الغابة.

وعدته الزوجة بكتمان الأمر. ولكنها لم تمسك لسانها، وحكت لجميع الجيران عن عثورها على النقود فى الغابة مع زوجها. وسرعان ما وصلت أخبار الأمر إلى الحاكم بنفسه. فقام الحاكم بإرسال حارسه الخاص للقبض على الصياد. وقام الحارس بربط يدى الصياد، واقتاده إلى قصر الحاكم. كما اقتادوا أيضا جميع الناس الذين سمعوا حول النقود. وأخذ الحاكم يستجوبهم واحدا بعد الآخر. وكان كل منهم يجيبه:

ــ لقد سمعت بأمر النقود من فلان الفلانى.

وبعد الانتهاء من استجواب سكان القريتين، جاء الدور على زوجة الصياد الثرثارة الأولى. فحكت على الفور حول عثورهما على النقود فى الغابة.

هتف زوجها قائلا:

ــ إن كل ماتقولينه كذبا وافتراءً.

قالت الزوجة للحاكم:

ــ لدى البرهان على صدق قولى. ففى ذلك اليوم حدثت معجزتان.

وحكت الزوجة بالتفصيل حول الأرنب الذى شاهدته فـــى شـــباك الـــصيد، والسمكة التى وقعت فى الفخ للغابة.

وعندئذ قال جميع الحضور فى القصر للحاكم:

ـ إن هذه المرأة مختلة العقل تماما!.

وأمر الحاكم بطرد المرأة الثرثارة، وإطلاق سراح الصياد.

٦٩. الحكاية التى ليست لها نهاية أبدا

كان ياما كان حاكم لديه ابنة حسناء. وعندما حان الوقت لزواجها، فكر الحاكم طويلا فى البانة (المَهر) التى يطلبها من الخطيب. وأخيرا قرر أن يزوجها لمن يقص عليه حكاية ليست لها نهاية. وأن تكون تلك الحكاية هى بانة ابنته.

وامتد طابور طويل من الشباب والرجال، وكل منهم يُمنى نفسه أن يكون سعيد الحظ الذى يتزوج من الحسناء ابنة الحاكم. وأخذ الجميع يقدحون زناد أذهانهم، ويحكون للحاكم الحكايات والحواديت المختلفة، لكن كل حكاية كانت لها نهاية فى آخر الأمر. وصار الحاكم يتفاخر بنفسه لوضعه ذلك الشرط الذى لا يمكن لأحد القيام به.

وذات يوم جاء إلى القصر عابر سبيل فقير يرتدى فراء الماعز. فنظر الحاكم إليه وقال:

ــ هل تظن أن بوسعك حكى قصة بلا نهاية، بينما فشل فى ذلك الأمر أمهر الناس وأبرعهم على الإطلاق؟.

قال العابر:

ــ اسمح لى أن أجرب حظى يا مولاى.

سمح له الحاكم. وبدأ العابر فى سرد حكايته كالتالى:

"كان ياما كان حاكم يعيش فى بلاد الله خلق الله. وكان لديه مُنجم يخبره بالغيب، ولم يخطئ المُنجم أبدا ولا مرة واحدة. وذات مرة قال للحاكم إن بانتظاره جفافا رهيبا قادما. فأمر الحاكم الناس بزرع القمح فى مكان تصل إليه أياديهم. كما أمر الحاكم بإقامة عنابر هائلة لتخزين القمح. وعندما نضجت أعواد القمح، كان المحصول ضخما بصورة غير مسبوقة. وقام الشعب كله بجمع المحصول حتى آخر حبة منه. وعندما انتهوا من الجمع، حلق فجأة سرب ضخم من الجنادب (الصراصير)، وانقض يهجم على المحصول. وأخذ أول جندب من السرب حبة قمح حملها وطار بها. ولكن الحبة سقطت منه على الأرض. وحملت بقية الجنادب كل حبوب القمح المتبقية. أما الحبة الوحيدة التى سقطت على الأرض، فنمت وخرج منها سنبلة هائلة الحجم. وجاء الناس وشاهدوا السنبلة الضخمة. فأخذوها، ونزعوا الحب منها وزرعوه ثانية فى كل الأرجاء. ونضج المحصول بكميات غير مسبوقة مرة أخرى. فقام الناس بجمع المحصول. لكن سربا من الجنادب هجم عليه وأخذ فى خطف البذور..." ومضى العابر يكمل حكايته مكررا ما قاله عن الحبة الوحيدة التى سقطت من الجندب على الأرض، وخرجت منها سنبلة هائلة الحجم جمع الناس حبوبها وزرعوها إلخ.. ثم جاءت الجنادب... إلخ.

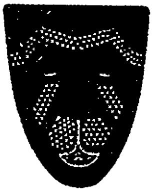
ظل الحاكم يستمع لهذه الحكاية لخمسة أيام، ثم قال أخيرا:

ـ أعطيك يوما واحدا لتنهى حكايتك.

لكن العابر رد عليه:

ـ إن هذه الحكاية يا مولاى سوف تنتهى عندما تتوقف الحبة عن السقوط على الأرض، ويتوقف القمح عن النمو، ويكف الناس عن جمعه. ولكن الحبة لن تتوقف عن السقوط على الأرض، وبالتالى فلن تنتهى الحكاية أبدا.

هُزم الحاكم بهذه الإجابة، وصار مضطرا لإعطاء ابنته زوجة لذلك العابر الفقير.



٧٠. العقل الواحد شيء جيد، والعقلان أفضل بكثير

كان ياما كان خبيث ومخادع يعيشان فـى الـدنيا. عـاش أحـدهما فـى بوليميزى[١]، فى قرية كيانا أميرتيرا، وكان يدعى ناكا تيريكاوا، أما الآخـر فقـد عاش فى بودو[٢]، فى قرية بوتيبا، وكان يدعى باندابيلو كوى. ولم يمر يوم واحـد دون أن يقوم الاثنان بخداع أحد ما، لكنهما كانا يفعلان ذلك بمهارة شديدة، حتى أن الناس لم يمكنهم إثبات خداعهما لهم.

وذات مرة سمع كل منهما عن الآخر. واشتدت الرغبة بالمخادع بانـدابيلو كوى فى التعرف على ناكا تيريكاوا. فأعد نفسه على وجه السرعة، وانطلق إلـى بوليميزى. وقبل حلول المساء وصل إلى بيت ناكا تيريكاوا. وقـام أهـل البيـت باستقباله بكل الحفاوة والترحاب، وأعدوا له مأدبة فاخرة. فى البداية أحضروا إلى باندابيلو كوى حساء الخضروات فى قصعة صـاحب البيـت. وكانـت القـصعة مزخرفة بالنقوش البديعة الرائعة، حتى أن باندابيلو كوى لم يستطع تحويل عينيـه عنها. فلم ير فى حياته من قبل مثل هذه القصعة الجميلة. وفكر فى نفسه قائلا: "لو أن زوجتى رأت مثل هذه القصعة الرائعة لاعتراها الذهول من فرط جمالهـا! إن الحساء فى مثل هذه القصعة يبدو أشهى من أى حساء آخر!".

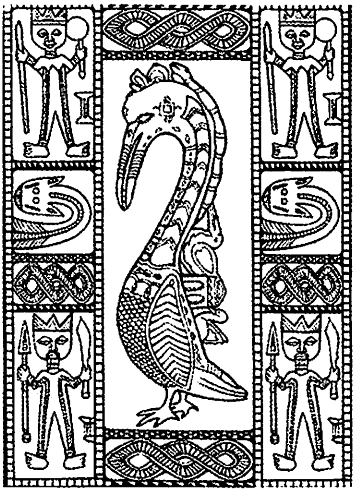
وقرر أن يسرق هذه القصعة ويأخذها إلى بيته، ناسيا أنه ينبغى ألا تفعل مع أصدقائك مثلما تريد ألا يفعلوا معك (عامل الناس بما تحب أن تُعامل به). أما ناكا

---

(١) بوليميزى- منطقة تقع فى بوغاندا.

(٢) بودو- منطقة تقع فى بوغاندا.

تيريكاوا فلاحظ أن باندابيلو كوى لا يحيد بصره عن القصعة، وقرر إخفاءها على كل الأحوال. وعندما استعد الجميع للنوم، أخذ ناكا تيريكاوا القصعة، وعلقها على طرف سريره فوق رأسه، وملأها بالماء، وذلك كى ينسكب الماء ويوقظه فى حال محاولة الضيف سرقة القصعة.



ولكن من منهما أكثر خبثا من الآخر؟ هذا أمر غير معروف حتى الآن.

انتظر باندابيلو كوى حتى راح الجميع فى النوم، ثم تسلل بحذر إلى حجرة صاحب البيت المظلمة وهو يتشمم الهواء. واستطاع من خلال الرائحة أن يحدد موقع القصعة. فاقترب منها بحذر، وأدرك أنها مملوءة بالماء. حينئذ خرج من البيت وعثر على أنبوب رفيع، فأخذه وعاد إلى الحجرة، حيث وضع الأنبوب داخل القصعة وشرب عبره كل الماء الموجود بها. وبعد ذلك نزع القصعة المعلقة، وخرج بها ليخفيها. ذهب الرجل إلى النهر، وقرر أن يحفر حفرة فى الشاطئ الطينى، ويطمر القصعة بداخلها. لكن الشاطئ كان شديد الانحدار، فاضطر للغوص بقدمه فى الماء. وبعد أن انتهى من إخفاء القصعة، عاد مسرعا إلى البيت وراح فى سبات عميق.

فى ذلك الوقت كان ناكا تيريكاوا قد استيقظ من نومه. ومد يده على الفور ناحية القصعة، فتجمد قلبه من فرط الدهشة عندما لم يجد القصعة فى مكانها. وأخذ ناكا تيريكاوا يفكر فى المكان الذى يمكن لباندابيلو كوى أن يخفى فيه القصعة. فاقترب من صديقه النائم وتحسسه بحذر بلسانه حتى راحة يديه. وكان مذاق راحة يديه مالحا. وهنا ينبغى القول إن مياه النهر كانت مالحة للغاية، فأدرك ناكا تيريكاوا على الفور أن القصعة مخبأة فى مكان ما بالنهر. ولكن، كيف يمكن تحديد ذلك المكان؟ عندئذ أخذ ناكا تيريكاوا يتفحص قدمى صديقه بعناية، حتى شاهد طبقة رقيقة من الملح على قدمى الصديق قد خلفتها المياه المالحة. فأخذ ناكا تيريكاوا عصا، وألصقها بحذر إلى قدم صديقه، ووضع علامة على العصا تشير إلى المكان الذى تنتهى فيه طبقة الملح، ثم أسرع إلى النهر وأخذ يقيس عند الشاطئ عمق المياه بعصا أخرى، ويقارن العمق بالعصا التى ترك عليها علامة. وظل يكرر الأمر، حتى عثر على المكان الذى أخفى فيه باندابيلو كوى القصعة، وهنا لم يعد من الصعب العثور على المخبأ. فقام ناكا تيريكاوا بالحفر حتى عثر على القصعة، فأخذها وأخفاها فى فراشه.

وعندما استيقظ الجميع فى الصباح، وجلسوا لتناول طعام الإفطار سأل باندابيلو كوى:

ـ أين تلك القصعة الجميلة التى أكلت منها الطعام بالأمس؟.

قال ناكا تيريكاوا:

ـ لقد أخذتها إلى مكان ما، لكن هذه القصعة قد أوحت لى بفكرة جيدة.

ـ أية فكرة؟.

ـ لقد فكرت فى أن كلا منا يتمتع بقدر كبير من الخبث والدهاء، وذلك من أجل أن يسرق أحد منا القصعة من الآخر، ولو أننا وحدنا ذكاءنا معا، فأظن أنه يمكننا الحصول على السلطة والزعامة بعد موت الزعيم.

أعجبت هذه الفكرة باندابيلو كوى إلى درجة أن الصديقين اتفقا على كل شيء بسرعة، وشرعا فى العمل. انتظر الصديقان حتى حلول الليل، ثم انطلقا نحو المقبرة التى دُفن بها الزعيم الراحل منذ فترة قريبة. وقاما بنبش المقبرة، ثم تسلل باندابيلو كوى إلى هناك. ورقد بجوار جثة المتوفى. أما ناكا تيريكاوا فقام بردم الحفرة وأهال التراب فوقها. وبعد أن انتهى من ذلك، انطلق مسرعا إلى كبير الوزراء وأعلن له قائلا:

ـ أنا ناكا تيريكاوا الابن الأكبر للزعيم الراحل، وقد كنت مسافرا فى بلد آخر، والآن بعد أن عرفت بموت والدى، جئت مسرعا كى أتولى حكم البلاد.

سأل كبير الوزراء ناكا تيريكاوا عن برهان، يثبت به أنه بالفعل الابن الأكبر للزعيم. فقال له ناكا تيريكاوا:

ـ نعم، سوف أقدم لك ولكل المجلس الدليل على صحة قولى.

نادى كبير الوزراء على أعضاء المجلس، وقام ناكا تيريكاوا بإلقاء كلمة للأعضاء:

ـ أنا ناكا تيريكاوا الابن الأكبر للزعيم، ولى وحدى الحق فى المملكة، ولكننى أريد أن يقوم والدى الزعيم بالتأكيد على حقى هذا بنفسه. فلنذهب جميعا معا إلى مقبرة الوالد، حتى تسألوه بأنفسكم.

ذهب الجميع إلى المقبرة، والتفوا واقفين حولها. وتوجه كبير الوزراء بكلماته إلى المقبرة:

ـ لقد جئنا جميعا هنا يا فخامة الزعيم، كى نسمع منك عن خلفك الذى تريد توريثه الحكم.

تردد صوت من داخل المقبرة يجيب قائلا:

ـ إنى أعين ابنى الأكبر ناكا تيريكاوا وريثا على الحكم!.

عندئذ صاح جميع من كانوا هناك قائلين:

ـ هل يمكن لفخامتكم أن تكرر ما قلت مرة أخرى؟.

تردد الصوت من داخل المقبرة للمرة الثانية يقول:

ـ ابنى الأكبر ناكا تيريكاوا ينبغى أن يصبح وريثى فى الحكم!.

وهكذا، أصبح ناكا تيريكاوا زعيما على البلاد، أما صديقه باندابيلو كوى فقد عينه كبير الوزراء.

٧١. اللصـــــان

توقف أحد المسافرين عند نزل صغير ليقضى ليلته بفنائه. وحذر صـــاحب النزل المسافر قائلا:

ــ عليك توخى الحذر! فاللصوص فى قريتنا يمكنهم سرقة ملابس الإنـــسان دون أن يشعر بذلك.

طمأن المسافر الرجل قائلا:

ــ لا تخشى شيئا على، فلن يستطيع أحد أن يسرقنى أبدا.

استمع إلى هذا الحديث لصان كانا يختبئان خلف الحـــائط. وعنـــدما هـــبط المساء، رقد المسافر للنوم بالقرب من حماره كى لا يسرقه أحد. أما اللصان فتسللا بحذر نحو المسافر حتى اقتربا منه، وقال أحدهما للآخر:

ــ أتعرف يا صديقى، هذا هو المكان الأمثل كى نخبئ به كنزنا.

رد الآخر:

ــ يالك من أحمق، ألا ترى أن هناك رجلا ينام؟ لو أننا خبأنا كنزنـــا هنـــا فسوف يسرقه.

اعترض الأول قائلا:

ــ إنه نائم ولا يسمعنا.

ـ لا، لا أظن أنه نائم. ولكن على أية حال هيا بنا نجرب أن نوقظه، كـي نتأكد إن كان نائما بالفعل، وإن لم يستيقظ فيمكننا إخفاء كنزنا هنا.

ومضى اللصان ينزعان ملابس المسافر الذى تصنع النوم ولم يحرك جفنـا. وبعد ذلك قاموا بحفر حفرة وضعوا بداخلها حجرا كبيرا، ثم ردموها مرة أخـرى. ورحلوا ومعهم جميع أغراض المسافر وملابسه.

أما المسافر فانتفض مسرعا من رقاده. وأخذ يحفر ليخرج الكنز المزعـوم، لكنه لم يجد شيئا وأخرج الحجر الذى أخفوه، فهتف بحسرة قائلا:

ـ أخ، لقد كان صاحب النزل محقا فى قوله!.

٧٢. حكاية على وأبناء شقيقه

كان ياما كان فى زمن بعيد من الأزمان، يعيش على الأرض شقيقان. كـان أحدهما يدعى لوس، والآخر كداب. مات والدهما وتركهما مع الأم، كما ترك لابنيه ثروة كبيرة. لكنهما سرعان ما بددا كل الثروة.

وفى يوم من الأيام قال كداب لشقيقه لوس:

ـ فلنذهب ونسأل أمنا عن العمل الذى كان يمارسه والدنا.

وذهبا وسألا الأم التى ردت:

ـ لقد كان والدكما حدادا يطرق الحديد، ويصنع منه المعاول.

عندئذ أخذ الشقيقان يتعلمان تلك الحرفة. لكنهما لم ينجحا فى ذلـك وأتلفـا الحديد، حتى قاموا بطردهما من الورشة. وكلما سعيا إلى تعلم حرفة أخـرى، لـم يفلحا فيها أبدا. وعندما نفذت النقود لديهما تماما، ذهبا إلى أمهما وقالا:

ـ يا أمنا، إننا نحتاج إلى المال. وقد قررنا أن نبيعك!.

وافقت الأم. وقام الشقيقان ببيعها إلى السلطان، وأخذا كيسين مـن الفـضة مقابلها. ولكن المال سرعان ما نفذ. وعندئذ قال الشقيق الأصغر لأخيه:

ـ هيا بنا نذهب إلى أمنا، ونسألها مرة أخرى عن عمل أبينا، وإن لم تخبرنا بالحقيقة فى هذه المرة نقتلها.

وذهب الاثنان إلى الحقل الذى عملت فيه أمهما. وطلبا من المشرف على العمل التصريح لهما بالحديث مع الأم. لكن المشرف رد قائلا:

ــ إن أمكما تعمل الآن، فانتظرا حتى تنتهى من عملها.

عندئذ قال الشقيق الأكبر له:

ــ سوف أقوم بالعمل بدلا منها، بينما شقيقى الآخر يتحدث معها.

وافق المشرف.

عندئذ قام الشقيق الأصغر بالدعاء إلى الصلاة، فتجمع الناس من حوله على الفور تاركين عملهم بالحقل. وعندما شاهد المراقب ما جرى، أسرع إلى السلطان وحكى له عن كل شيء. وما إن سمع السلطان ما قاله المشرف، حتى سمح للشقيقين بأخذ أمهما إلى البيت. كما منحهما بعض المال.

وعندما وصلوا إلى البيت قالت الأم للشقيقين:

ــ لقد كان والدكما يعمل بالسرقة.

تحاور الشقيقان ثم قررا:

ــ فلنذهب فى البداية لنسرق شيئا ما من عمنا على.

وبالمناسبة، فقد كان عمهم هو الآخر يعمل بالسرقة.

وما إن شاهدهما العم، حتى أدرك على الفور نيتهما. فقد كان يعلم جيدا أن الثعبان لا يلد سوى ثعبان. فقال لزوجته:

ــ عليك أن تخفى عنزتنا فى مكان لا تصل إليه أيادى أبناء شقيقى، وذلك حتى لا يسرقوها.

وخرجت الزوجة وأخفت العنزة فى حجرة الخزين.

استيقظ الشقيقان أثناء الليل. وخرج كداب إلى الفناء وأخذ يبحث فيـه، ولـم يعثر على شيء به. عندئذ ذهب إلى حجرة عمه وفتح الباب بهدوء وحذر، ثم غير نبرة صوته مقلدا صوت عمه وقال:

ــ أين قمت بإخفاء العنزة يا زوجتى؟.

ردت زوجة العم قائلة:

ــ لقد أخفيتها فى حجرة الخزين.

ذهب كداب إلى حجرة الخزين، وأخرج العنزة منها، ثم أيقظ شقيقه ورحـل الاثنان من هناك. وسار الشقيقان إلى البيت عبر طريقين، فسار أحدهما الذى يجـر العنزة عبر الغابة، أما الآخر فمضى على الطريق الواسع. وأخذا يبدلان أماكنهمـا بالتناوب كل فترة، فتارة يسير أحدهما فى الغابة وتارة أخرى على الطريق.

سأل على زوجته فى الصباح:

ــ أين قمت بإخفاء العنزة؟.

ردت الزوجة:

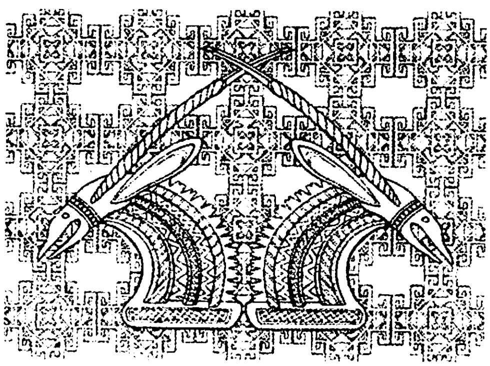
ــ ألم أخبرك أثناء الليل أننى أخفيتها فى حجرة الخزين.

وذهب الاثنان للتأكد من وجود العنزة، فلم يعثرا على أثر لها. وأدرك العـم على الفور أن ابنى شقيقه قد سرقا العنزة. فانطلق كى يلحق بهما. وعندما وصـل إلى آثارهما اعترته الحيرة، فتارة يرى الأثر عبر الغابة، وتارة أخرى يظهر الأثر على الطريق. لكن العم هو الآخر كان يعرف أساليب اللصوص. فاختبأ فى الغابة، حتى اقترب أحد الشقيقين الذى يجر العنزة، فأخذ على الحبل من يد الشقيق، الـذى ظن أن عليا هو شقيقه الآخر. وأخذ العم العنزة وذهب بها إلى البيت.

التقى الشقيقان، وسأل كل منهما الآخر فى صوت واحد:

ـ أين العنزة؟.

أدرك الاثنان أن عمهما قد أخذها. فأسرع كداب عائدا إلى بيت العم. ووصل هناك قبل عودة على. وبدل كداب ملابسه، ووضع عباءة على رأسه وجلس عند الباب. وصل العم وربط العنزة بالقرب من البيت. أما كداب فغير صوته وطلب من العم أن يذهب ويغتسل من آثار الطريق. وظن العم أن كداب هو زوجته، فذهب ليغتسل. وأسرع كداب وحل حبل العنزة، وأخذها ورحل. وبعد ذلك التقى مع شقيقه، وذبحا العنزة، وذهبا باللحم إلى البيت. وعندما ذهب العم فى أحد الأوقات لزيارة ابنى شقيقه، قاما بدعوته إلى تناول بعض لحم العنزة.



وعندما أدرك العم ما فعلاه، ذهب إلى السلطان وقال له:

ـ مولاى السلطان، إن اللصوص يعيثون إجراما وسرقة فى المدينة. فلتأمر الحراس بالقبض عليهم.

أصدر السلطان أمره. وانطلق الحراس للقبض على اللصوص. وكان أولئك الحراس يحبون حليب الماعز المُحلى بالعسل. فقاموا بإرسال على للبحث عن عنزة يحلبها وعن العسل. وبعد أن أحضر على ما طلبوه. سار عائدا إليهم، بينما كان الشقيقان يتربصان به على الطريق. وعندما شاهدا عليا، جلس كداب على الطريق متنكرا فى هيئة شحاذ أعمى. وعندما مر على أمامه. أخذ كداب يئن بصوت خفيض:

ـ أخ، يا لى من فقير، فقير معدم!.

أشفق على عليه وقال:

ـ أمسك بالعنزة وسر خلفى إلى المدينة. •

سار الاثنان، على فى المقدمة وكداب من خلفه، وكان على يسأل كداب بين الحين والآخر:

ـ أما زالت العنزة معك؟.

فيجيبه الآخر:

ـ نعم، ما زالت معى.

وهكذا ظلا يسيران حتى وصلا إلى المكان الذى يختبأ فيه لـوس. وعنـدما أصبح الشقيقان متجاورين، قفز لوس من مخبئه، وقطع الحبل، وأخذ العنزة.

سأل على الشحاذ:

ـ هل ما زالت العنزة لديك؟.

ـ لا أعرف، وأشعر أن الحبل قد صار خفيفا.

التفت على خلفه ولم ير أثرا للعنزة، فقال:

ـ اجلـس هنا وانتظرنى، وسوف أركض خلف اللص الـذى سـرقها، وأعيد العنزة.

وطلب على من الكداب أن يحمل وعاء العسل. وما إن ابتعد على خطـوات قليلة، حتى حمل كداب الإناء، وركض به نحو شقيقه.

لم يعثر علىّ على العنزة، فعاد حيث ترك الشحاذ مع إناء العـسل، ووجـد أنهما قد تبخرا معا. فذهب إلى السلطان ثانية، وقال:

ـ لقد خدعنى اللصوص، وسرقوا منى العنزة والعسل.

رد السلطان:

ـ يوجد لدى الكثير من العسل.

ونادوا على الحراس، وأعطوهم العسل. فخرج الحراس إلى مكان مهجور من الناس؛ لأنهم كانوا ينزعون ثيابهم عندما يأكلون العسل. وعندما وصلوا إلى المكان، خلعوا ثيابهم وتركوا عندها حارسا منهم.

وصل كداب فى ذلك الوقت إلى المكان وسأل الحارس:

ـ أين رفاقك الآخرون؟.

أشار الحارس بيده إلى مكانهم قائلا:

ـ إنهم هناك يأكلون العسل.

قال كداب له:

ـ وهل لديهم خبز يأكلون به العسل؟.

ـ لا.

عندئذ أعطاه كداب ريالا وقال:

ـ اذهب واشتر لهم بعض الخبز.

فرح الحارس ظنا منه أن ذلك الرجل من الحمقى. فذهب مسرعا وهو يقول فى نفسه: "سوف أحتفظ بالريال لنفسى".

جمع كداب ملابس الحراس كلها، وفر هاربا من المكان. وعاد الحارس فوجد أن الملابس قد اختفت. فأسرع نحو الآخرين، وحكى لهم عما جرى. وذهبوا إلى السلطان، وأخبروه أن اللصوص قد سرقوهم.

وأمر السلطان بإعلان حظر السير فى الشوارع بعد العاشرة مساءً. وبعد ذلك أرسل ستة حراس للقبض على اللصوص. فى ذلك الوقت كان كداب قد خبز رغيفين كبيرين من الخبز، ووضع فى أحدهما مادة مخدرة، وفى الآخر بعض التوابل. وعندما هبط الليل قبض الحراس على كداب، فقال لهم:

ــ قبل أن تزجوا بى فى السجن، فلنذهب أولا إلى بيتى كى أطعمكم، وبعد ذلك يمكنكم الذهاب بى إلى السجن.

وافق الحراس، وذهبوا به إلى البيت. وعندما وصلوا إلى هناك أعطاهم كداب الرغيف الكبير الذى وضع به المادة المخدرة، وقال:

ــ تفضلوا وكلوا بالهناء والشفاء.

أما هو، فأخذ يأكل من الرغيف الآخر حتى لا يشكون فى أمره. وأكل الحراس من الخبز المخدر، فسقطوا جميعا غائبين عن الوعى. وأخذ كداب أسلحتهم ونزع عنهم ملابسهم، وفر هاربا.

استيقظ الحراس فى الصباح، وشاهدوا أن ملابسهم وأسلحتهم قد اختفت، ففروا هاربين إلى الغابة. وعرف السلطان هذا الأمر، فأرسل حراسا آخرين للقبض على اللصوص. ولكن نفس الأمر تكرر معهم. وفى النهاية قرر السلطان الخروج بنفسه للقبض على اللصوص.

وصل كداب فى الليل، واستطاع المكر بالسلطان وربطه بالحبال، ثم قام بضربه ضربا مبرحا، وألقى به فى السجن. وفى الصباح حضر الوزراء إلى السجن. وشاهدوا السلطان مقيدا بالحبال، وعلى وجهه آثار الضرب. وحكى لهم السلطان عما حدث له. وأمر أن يعلنوا فى كافة الأرجاء أمره التالى:

ــ سوف أمنح ابنتى زوجة لهذا اللص، لو أنه جاء وسلم نفسه إلى.

وأخذ كل رجل فى المدينة يدعى أنه هو ذلك اللص. أما كداب فقال:

ـ إنى لا أثق بالكلمات الشفاهية، فليضع السطان توقيعه على وعده بمنح ابنته زوجة للص.

وافق السلطان وفعل ما طلبه كداب. عندئذ أحضر كداب ملابس الحراس إليه، وقال:

ـ إنه أنا اللص الذى قمت بربطك وإلقائك فى السجن.

قال السلطان:

ـ حسنا، إنى أصدقك الآن. لكن عليك قبل زواجك من ابنتى، أن تخبرنى إذا كان هناك شيء فى العالم لا يمكنك سرقته.

همهم اللص ورد قائلا:

ـ لا يوجد شيء فى العالم يستعصى على السرقة علىَّ، فإنى أستطيع سرقة أى شيء كان.

عندئذ قال السلطان:

ـ إذا، أريدك أن تسرق شيئا واحدا. ولو نجحت فى ذلك، فسوف أمنحك ابنتى ومعها نصف المملكة، وإن لم تستطع فسوف أعدمك.

قال اللص:

ـ حسنا، وإنى موافق.

فقال السلطان له:

ـــ أريدك أن تسرق عناد زوجتى، فقد ضجرت بعنادها وصلابة رأيها.

عندئذ قال كداب:

ـــ هذا أمر لا أستطيع القيام به، وأنت بهذا قد هزمتنى.

وهكذا، فقد اللص رأسه.

٧٣. العدالة لا تعرف سوى الله وحده

فقد أحد الأشخاص جمله. وذات يوم شاهد فجأة جمله المفقود يرعى الكلأ، ضمن قطيع لأحد الرجال المحترمين جدًا، والمعروف بكرمه ولباقة حديثه وشدة بأسه. وقال الرجل المحترم:

ـ إنى لا أعرف شيئا عما تتحدث عنه، ولو أردت فيمكنك أن تشكونى فى المحكمة.

عندئذ ذهب صاحب الجمل إلى كبار القوم، الذين أخذوا يتناقشون حول الأمر.

لكن القضاة خشوا نفوذ صاحب قافلة الجمال، وحكموا فى الأمر لصالحه. أما صاحب الجمل المفقود فلم يعترف بقرار المحكمة. فاختاروا قضاة جددا. ولم يكن أولئك القضاة عادلين بدورهم، ولم يستطع صاحب الجمل أن يستعيد جمله مرة أخرى.

وبعد أن خسر قضيته للمرة الثانية سأله القوم:

ـ والآن ما الذى سوف تفعله؟ هل ستطلب عقد محكمة جديدة؟.

رد الرجل:

ـ لقد قررت الخضوع لحكم واحد فقط، وهو إينا سانوينى.

وهنا ينبغى القول إن إينا سانوينى كان أحد الأقرباء المقربين لصاحب قطيع الجمال. وانتقلت القضية إلى إينا سانوينى.

وبعد الاستماع إلى كلمة صاحب الجمل المفقود ورد صاحب القطيع، وكذلك شهادة الشهود. نهض إينا سانويني وقال لصاحب القطيع:

ــ إن العدالة لا تعرف عزيزا ولا قريبا ولا صديقا، ولا تميز بين صاحب الجاه والفقير، ولا الأطفال أو الأشقاء، ولا الآباء والأمهات، ولا تعرف زوجات أو أزواجا، ولا أخوالا أو أعماما ولا عمات، ولا مقربين أو أغرابًا. إن العدالة لا تعرف سوى الله وحده. فعليك إعادة الجمل إلى الرجل.

وهنا نهض صاحب الجمل، واقترب من إينا سانويني والقضاة الآخرين، وأظهر لهم يديه قائلا:

ــ يا إينا سانويني! سوف أنشر في كل أرجاء المعمورة مجدك وصيتك.

بعد ذلك عاد إلى بيته الواقع بين قبيلته، وظل طوال حياته يردد في جميع الأحاديث والأمسيات قائلا:

ــ ينبغي عليكم الذهاب إلى إينا سانويني.

وهكذا أصبح إينا سانويني شهيرا ذائع الصيت في كل أرجاء العالم.

٧٤. طلب النصيحة

ذات مرة ذهب رجل إلى إينا سانوينى وقال له:

ـ إينا سانوينى، أريد التماس النصح لديك.

سأل إينا سانوينى:

ـ وما الأمر الذى تريد نصحى حوله؟.

قال الرجل:

ـ أريد مشورتك حول طلاقى من زوجتى.

نظر إينا سانوينى إليه بعدم رضى، فقال الرجل:

ـ لماذا تنظر نحوى بغضب؟ هل أغضبتك فى شىء؟.

ـ نعم، لقد غضبت منك.

ـ لماذا؟.

ـ لأن الناس يلجؤون إلى نصحى عندما يريدون بناء أسرة. فهل يمكــن أن يلجؤون إلى نصحى لهدم الأسرة؟.

٧٥. المهمة الصعبة

عاش رجل يدعى عبد الله فى إحدى البلاد البعيدة. وكان رجلا ثريا ومرموقا. وكان يمتلك سبعة عشر جملا اختارهم بنفسه واشتراهم. كانت جماله كبيرة الحجم، وكانت جميعها تتمتع بحجم واحد. فلم يكن هناك جمل واحد أكبر حجما من الآخر.

وعندما هبط ملاك الموت كى يقبض روح هذا الرجل، شعر به ونادى على أبنائه والشهود وقال لهم:

ـ بعد موتى لا تضموا جمالى إلى أملاكى التى سوف تقسم على ورثتى باعتبارها ميراثا لهم. وعليكم الانتظار حتى يكبر حجمها ويزداد عددها، وعندئذ يحصل الابن الأكبر على نصف الجمال، والأوسط على الثلث، والأصغر على تُسع كل الجمال. وإن لم يزدد عددها، فعليكم تقسيمها على نفس النحو الذى ذكرته، وذلك حتى لا يدعى أحد أن أبنائى خرقوا وصيتى بطريقة غير شرعية.

أخذ الأبناء فى البكاء وهم جالسون حول والدهم المحتضر. وبعد أن شعروا أن جسمه أصبح باردا، نظروا إليه وأدركوا أنه قد رحل عن الدنيا. فاجتمع الناس والأقرباء، وشرعوا فى مراسم الدفن.

بعد مرور سبعة أيام أرسل القاضى نائبه ليقوم بتقسيم التركة. فأخبره الشهود بوصية عبد الله فيما يتعلق بالجمال. وقبل أن يبدأ فى التقسيم، قام نائب القاضى

بتنحية الجمال جانبا، ثم قسم بقية الأملاك. وعندما أوشك على الانتهاء هتف الأبناء قائلين:

ـ أنت لم تقم بعد بتقسيم جمالنا طبقا لوصية والدنا.

صمت نائب القاضي وقام بعد الجمال الموجودة. وعرف أنه لن يستطيع تقسيمها كما أراد والد الأبناء، فقال:

ـ أيها الفتيان، إن هذه الجمال لا يمكن تقسيمها كما أراد والدكم، إلا إذا قمنا بذبح بعضها وعدم تقسيم لحمها، أو أن أحدا منكم يتخلى عن نصيبه، ولا يقوم الآخر بالحصول على نصيب أكثر مما يستحق. انظروا وتأكدوا بأنفسكم أن نصف عدد الجمال السبعة عشر هو ثمانية ونصف. فكيف يمكن الحصول على نصف جمل إن لم نقم بتقطيعه أو بيعه وعدم توزيع النقود؟ أو ندع الآخرين يوافقون على التضحية بالجمل لصالح الشقيق الأكبر، وذلك كي يحصل على تسعة جمال.

اعترض الأشقاء الأصغر قائلين:

ـ لا، إن والدنا لم يقل ذلك، بل أراد أن يحصل أحدنا على الأفضلية بالنسبة للآخرين.

قال نائب القاضي:

ـ إذا، فليقم الشقيق الأكبر بالتنازل عن الجمل لكم، ويكتفي بثمانية جمال.

عندئذ قال الشقيق الأكبر:

ـ لا، إني لا أوافق أن يحصلا على عدد أكثر مني. فقد أوصى الوالد بعدم تغيير الأنصبة المخصصة لكل منا.

أصبح الأمر محيرا بصورة نهائية، وأسقط في يد نائب القاضى ووقع في حيرة من أمره. فنادى على الأشقاء، وذهب بهم مع جمالهم إلى القاضى، وشرح أمامه الأمر برمته.

وعندما سمع القاضى كل ما جرى صمت برهة، ثم قال:

ــ هيا بنا إلى الخارج كى ألقى نظرة على تلك الجمال.

خرج الجميع، وشاهد القاضى الجمال. وبعد أن قام بعدهم هز رأسه وقال:

ــ حسنا، هذا ليس بالأمر الصعب.

قال الأبناء:

ــ غفر الله لك يا سيدى، ولكن لا ينبغى أن يحصل أحد منا على نصيب أقل أو أكثر مما أوصى به والدنا.

رد القاضى بغضب:

ــ أتقولون هذا لى؟ أتظنون أن هذه أول مرة أحكم فيها حول تركة أو ميراث؟.

خر الأبناء على أقدامهم يطلبون المغفرة والسماح. فغفر لهم القاضى، ثم نادى على خادمه وقال:

ــ اذهب إلى مرعى جمالى، وأحضر لى الناقة التى أرتحل عليها.

رحل الخادم مسرعا، وأحضر الناقة التى طلبها القاضى. وأمر القاضى بضمها إلى جمال الأبناء. ففعلوا كما أمر. وقف الأشقاء صامتين وهم ينتظرون سير الأمور.

التفت القاضى نحو الشقيق الأكبر وسأله:

ـ كم عدد الجمال الموجودة هنا؟.

ـ ثمانية عشر جملا، أطال الله عمرك.

ـ وكم ينبغى عليك أن تحصل منها؟

ـ النصف أطال الله عمر فخامتك.

ـ وكم يصبح النصف من ثمانية عشر؟

ـ تسعة جمال.

ـ لو أنك حصلت على تسعة جمال بينما نصيبك هو ثمانية ونصف، فهل تكون راضيا؟.

ـ نعم، أطال الله عمرك، بل سوف أكون أكثر من راض، لأنى عندئذ سوف أحصل على نصف جمل زيادة عن نصيبى.

ـ إذا خذ تسعة جمال، ولكن لا تأخذ ناقتى من بينهم. وبالمناسبة فأنا أعرف أنى إن لم أقل لك ذلك، فإنك لن تأخذها فى جميع الأحوال؛ لأنها أصغر حجما من الآخرين.

تملك الفرح من الفتى، وفغر فاه عن ابتسامة عريضة، وساق جماله مغادرا المكان إلى بيته مسرعا. فقد كان يخشى أن يبدلوا رأيهم ويأمروه بإعادة الجمل الزائد.

نظر الأشقاء الأصغر إلى القاضى نظرة غضب واستياء. فقد ظنوا أن شقيقهم الأكبر قد فاز بنصيب زائد، وأنهما سوف يخسران من نصيبهما.

التفت القاضى نحو الشقيق الأوسط وسأله:

ـ كم تبلغ حصتك من الجمال؟.

ـ لقد أوصى الوالد بتقسيم الجمال إلى ثلاثة أنصبة ومنحنى واحدا منها أطال الله عمرك أيها السيد.

ـ وإذا قمنا بتقسيم الثمانية عشر جمل على ثلاثة أنصبة فكم تبلغ حصتك؟.

ـ باركك الله أيها السيد، إن نصيبى يبلغ ستة جمال.

ـ خذ ستة جمال، وأخبرنى إن كنت راضيا؟.

ـ نعم أيها السيد المبجل. فلو أنك لم تمنحنا جملك، لكنت حصلت على خمسة جمال وثلثى الجمل.

وساق الفتى جماله إلى البيت وهو سعيد راضٍ.

وهكذا، تبقى ثلاثة جمال. ونظر القاضى إلى الشقيق الأصغر وسأله:

ـ وكم يبلغ نصيبك أيها الفتى؟.

ـ لقد أوصى والدنا أن نصيبى هو تسع عدد الجمال، أى أن نصيبى هو واحد وثمانية أتساع جمل.

ـ وإن حصلت على جملين فهل تكون راضيا؟.

ـ باركك الله أيها القاضى العظيم، لو أنى حصلت على جملين فسوف أكون سعيدا جدا.

ـ إذا، خذ جمليك، على ألا يكون جملى من بينهم.

ساق الشقيق الأصغر جمليه إلى البيت وهو يكاد يطير من السعادة. أما القاضى فنظر إلى خادمه وقال:

ـ اذهب بجملى لينضم إلى بقية جمالى فى المرعى الذى أحضرته منه.

ساق الخادم جمل القاضى. ووقف الناس مبهورين بحكمة وفطنة القاضى.

٧٦. كيف انتصر الضرير على جاره اللص؟

عاش رجل ضرير ثرى فى بلد من البلدان. وكان له الكثير من الأملاك، والكثير من الذهب والفضة. ولم يكن لديه ابن ولا أقارب يعيشون معهم، ولذلك كان يحتفظ بأمواله فى جوال يضعه خلف وسادة فراشه.

وذات يوم عندما ساد الهدوء ولم يسمع صوت نفس يتردد، قام الرجل بدفن ذهبه وفضته فى الفناء أسفل إحدى الأشجار. غير أن جاره شاهده وهو يقوم بذلك، فانتظر حتى رحل الثرى إلى البيت، وقام الجار بإخراج المال من أسفل الشجرة وسرقته.

بعد مرور عدة أيام عاد الضرير إلى موقع كنزه المخبأ، وأدرك أن الذهب والفضة قد اختفيا. فتملك الغضب والحزن منه لفقدانه كنزه الغالى، وقرر معرفة الفاعل الذى كدر حياته. فذهب إلى أحد الحكماء. وسأله الحكيم:

ـ ما الذى أتى بك إلىّ؟.

رد الثرى الضرير:

ـ لقد جمعت قدرا كبيرا من الذهب والفضة بالجهد والعرق. وقمت بإخفائه فى فناء بيتى. وبعد مرور بضعة أيام ذهبت كى أطمئن على كنزى، فوجدت أن هناك حفرة فى المكان، وأن الذهب والفضة قد اختفيا. ولهذا جئت إليك كى تكشف لى عن هذا السر وترشدنى إلى اللص.

فكر الحكيم لبعض الوقت ثم نصح الضرير قائلا:

ـ اذهب إلى جارك وأخبره أنك قد أخفيت فى أحد الأماكن الكثير من الذهب والفضة، وأنك لم تقرب ثروتك لفترة طويلة، والآن قد ظهر لديك الكثير من المال ثانية فى البيت، ولا تعرف إن كان عليك إخفاؤه فى نفس الحفرة السابقة التى دفنت فيها كنزك، أم القيام بإخفائه فى مكان آخر، وعليك أن تفعل ما ينصحك به جارك. وعندئذ سوف ترى أن النقود قد عادت إليك.

استمع الضرير لنصيحة الحكيم وفرح بها. فودع الحكيم وذهب إلى بيته كى ينفذ ما نصحه به، وقال لجاره:

ـ استمع إلىّ جيدا أيها الشقيق! فأنت جارى الحميم، وليس لدى سواك ألجأ إليه فى حال حدوث مكروه أو مصيبة لتساعدنى، وليس لدى أحد سواك أثق فيه وأعتمد عليه، ولذلك لا أخفى عنك شيئا. وأريد أن تشاركنى الرأى حول فكرتى بخصوص ثروتى. فقد قمت بحفر حفرة فى أحد الأماكن، أخفيت بها الكثير من الذهب والفضة. والآن أصبح لدى مال كثير مرة أخرى. فأخبرنى رأيك إن كان على وضع المال الجديد فى نفس المكان، أم البحث عن مكان آخر أخفيه به؟.

رد الجار عليه:

ـ ولماذا تبحث عن مكان آخر لإخفاء مالك الجديد؟ من الأفضل أن تضعه مع أموالك الأخرى فى مكان واحد، فأنت ضرير وعليك توخى الحذر كى لا تفقد ثروتك! وأنا أنصحك باعتبارى صديقك المخلص أن تضع المال فى نفس المكان السابق.

تصنع الضرير هيئة الفرح، وأبدى سعادته وموافقته على اقتراح جاره، وذهب إلى بيته. أما الجار فأخذ يفكر فى نفسه: "سوف أسرق أمواله الجديدة أيضا"،

وقام بجمع الذهب والفضة التى سرقها، وأعادها إلى مكانها السابق. وبعد ذلك اختبأ خلف الشجيرات منتظرا وصول الضرير.

انتظر الضرير الخبيث لبعض الوقت، ثم ملأ جوالا بالرمال وحمله إلى المكان القديم. وعندما وصل إلى الحفرة أخذ يتحسس داخلها حتى عثر على ذهبه وفضته هناك. وعندئذ تأكد أن جاره هو اللص الذى سرق، فشكر الله، وألقى فى الحفرة بجوال الرمل بعد أن استعاد أمواله منها، وعاد إلى بيته.

أما الجار اللص، فانتظر حتى ذهب الضرير إلى بيته، ثم قام بالحفر فى المكان، فلم يجد أثرا للنقود، وعثر فقط على الجوال المملوء بالرمال.

لن يمكنك خداع العدالة الإلهية فها هما الاثنان وقد حصل كل منهما على ما يستحقه، وعادا إلى بيتهما، أحدهما يكاد يحلق من السعادة والفرح، والآخر غاص فى بحر من الحزن والندم.

وهذه هى الحكاية كما يقولها الراوى.

٧٧. حكاية الرسول فى مافتام

إذا سرت نحو أقصى الشمال من خليج غينيا، فسوف تصل إلى شعب قبيلة سونينكا، حيث عاش فى زمن من الأزمنة، فى كوخ صغير رجل يدعى محمـــدى. كان الرجل فقيرا معدما، ولكن الجميع كانوا يبجلونه ويحترمونه، ويحكون عنه أنه لا يكذب أبدا.

وذات يوم وصلت الأقاويل حول محمدى إلى أسماع باهينى زعـــيم قبيلـــة سونينكا، فهتف الزعيم بغضب:

ــ من هذا الذى يدعى محمدى، والذى تقولون عنه إنه أمين شريف صادق ولا يكذب أبدا؟.

رد كبار القوم على الزعيم:

ــ إنه يعيش فى أوجو، ويعرفونه فى كل أرجاء البلاد؛ لأنه لا يقـــول أبـــدا عن شىء لم يوجد، أو لا وجود له.

قال الزعيم:

ــ أظن أن ما يقولونه حوله هو مجرد هراء، فلا يوجد أحد على الأرض لا يكذب، لا فى الصحارى ولا فى السهول. أحضروا إلىّ هذا المحمـــدى كى أنظر إلى هذه المعجزة بنفسى.

أحضر الرسل محمدى إلى الزعيم. فقال باهينى له:

ـ أخبرنـــى يا محمـــدى، هل حقا ما يقولونه إنك لم تكذب ولا مرة واحـــدة فى حياتك؟.

ـ نعم، هذه هى الحقيقة.

ـ من الصعب تصديقك، فلا يوجد على الأرض رجل لـــم يقـــل ولا مـــرة واحدة ما يطابق الحقيقة. وعلى الرغم من ذلك فالجميع يحكون عنك أنك لا تكذب أبدا، فأخبرنى هل أنت واثق من أنك لا تتوق أبدا إلى الكذب؟.

ـ نعم، إنى على ثقة من ذلك!.

سأل باهينى:

ـ وكيف يمكن أن يكون الإنسان واثقًا فى مثل هذا الأمر؟ ومن العبث القول القول بمعرفة ما تفعله مستقبلا وأنت لا تدرى ما سوف يحدث لك.

قال محمدى:

ـ إن الأمر سيان، فمهما جرى معى لن يمكننى الكذب أبدا.

ـ حسنا يا محمدى، إنك تبدو لى رجلا جديرا بالثقة، ولو أن لـــسانك علـــى نفس القدر من الثقة التى تتحدث بها، فذلك يعنى أنى أخطأت فى ظنـــى عن عدم وجود شخص لا يكذب على وجه الأرض. ولكن لو أنك كذبت ولو مرة واحدة، فسوف يصبح الأمر أسوأ من أن يكذب الإنسان العادى، حيث إن الإنسان العادى لا يعطى تلك الأهمية لكلماتـــه التـــى يقولهـــا. فاحترس يا محمدى من ذلك اليوم الذى تكذب فيه. فسوف يكـــون أســـوأ أيام حيـــاتك! وإذا اكتشـــف أهل قبيلتك أنـــك كذبت ولو مرة، فـــسوف آمر بجلدك.

رحل محمدى إلى قريته، وقال باهينى لمستشاريه:

ـ يا له من مغرور واثق بنفسه، ولا بد أنه رجل أمين؛ لأن الناس جميعهم يعرفونه. ولكن الأمانة وحدها لا تكفى حتى لا يكذب الإنسان، بل إن ذلك الأمر يتطلب قدرا من الذكاء. وهو على يقين بأنه لا يستطيع الكذب، وهذه وقاحة فى حقيقة الأمر. وينبغى تلقينه درسًا لوقاحته.

مرت بضعة أيام ، وأرسل باهينى منذ الصباح الباكر رسوله لإحضار محمدى ثانية.

وفى بيت الزعيم شاهد محمدى باهينى وقومه وهم مدججون بالأسهم والرماح فى أياديهم.

ـ يا محمدى، أريدك أن تقوم بخدمة لى، فأرجو منك الذهاب إلى بيتى الثانى الواقع فى قرية مافتام، وإخبار زوجتى بأننا قد خرجنا لصيد الغزلان، وسوف نصل إلى مافتام فى منتصف النهار. ونحن بالطبع سوف نشعر بالجوع، وسوف نتوق إلى تناول الطعام كما ينبغى. فعليها إعداد الطعام وانتظارنا هناك. وأنت بدورك يا محمدى سوف تتناول الطعام معنا!.

خرج باهينى إلى الصيد، وأسرع محمدى يسابق الريح منطلقا نحو مافتام. وكان يتعجل الوصول كى ينقل الأخبار إلى زوجة الزعيم، حتى يمكنها تحضير الطعام للصيادين فى الوقت المناسب.

وما إن اختفى محمدى عن الأنظار، حتى عاد باهينى أدراجه إلى القرية مع رفاقه. ووضع الزعيم سهامه ورمحه جانبا وقال:

ـ لقد بدلت رأيي، ولن نخرج إلى الصيد، ولن نذهب إلى مافتام اليوم. فإن محمدى يؤكد أنه لا يستطيع الكذب أبدا، وسوف يخبر زوجتي أننا قد خرجنا إلى الصيد، وسوف نصل إليها في منتصف النهار ونحن في حالة من الجوع الشديد. ولكن شيئا من هذا لن يحدث! وعندما نصل إلى هناك في وقت لاحق، فسوف نسخر منه ونضحك عليه؛ لأن ذلك الفقير قد يكون أمينا بالفعل، لكنه ليس ذكيا على الإطلاق. وعندئذ سوف نضرب محمدى ضربا مبرحا لوقاحته!.

في ذلك الوقت كان محمدى يسرع الخطى نحو مافتام. وقد مضى يسابق الريح حتى أنه وصل إلى مافتام خلال ثلاث ساعات فقط.

ولدى وصوله إلى القرية ذهب إلى زوجة باهيني:

ـ إني أحمل لك خبرا مهمًا من باهيني!

سألت الزوجة:

ـ أي خبر؟.

ـ خبر لا أثق فيه تماما.

ـ وأي خبر هذا تنقله إليّ إن لم تكن تثق فيه؟ وما الذي ينبغي عليك قوله لي؟.

ـ من الجائز جدا، أو ربما، ومن المحتمل، وقد يحدث أن باهيني خرج إلى الصيد.

صاحت الزوجة في غضب:

ـ إني لا أفهم ما تقوله، فهل ذهب إلى الصيد أم لم يذهب؟.



واصل محمدى حديثه قائلا:

ــ هذا ما أقوله لك، فإنى عندما رأيته مع الصيادين، قد بدا عليه الاستعداد للخروج إلى الصيد. وكانوا واقفين جميعا حاملين السهام والرماح... وبالطبع فإن الناس يقفون حاملين الرماح أحيانا، وأحيانا يحملونها وهم عائدون من الصيد. ولكن لا يبدو عليهم أنهم عادوا من الصيد؛ لأنهم لا يحملون أية طرائد ولا فرائس، وأيضا فمن البديهى أنهم ربما لن يصادفوا حيوانات أو طيور كى يصيدوها. وعلى الرغم من ذلك فإنى أفترض أنهم يستعدون للخروج إلى الصيد، ولم يرجعوا من الصيد. ويمكن الثقة فى هذا الأمر إلى درجة معينة. وفى نهاية الأمر فهذا ما يدركه المرء من خلال حديثهم، أو لا يدركه.

قالت زوجة باهينى:

ــ فلتهدأ بعض الشيء وتخبرنى، هل ذهب زوجى إلى الصيد أم لم يذهب؟.

ــ سوف أشرح لك. فمن الجيد أن تعدى للصيادين لحم الغزال أو شيئا آخر من هذا القبيل، وذلك بالطبع لو أنهم اصطادوه، على الرغم من أن باهينى ينوى قتل الغزال، لكن ذلك الأمر مرهون بالطبع بالعثور عليه أثناء الصيد.

هتفت الزوجة باستياء:

ــ أووف، ألم يمكنه العثور على أحد سواك من جميع أفراد القبيلة؟ ما الذى يمكنك إضافته؟ ألديك شيء آخر تقوله؟.

ــ نعم، على ما يبدو أنه فى فترة قريبة، ويمكن ألا تكون قريبة، أن يتوق باهينى ورفاقه الصيادون إلى تناول الطعام، وربما يأتون فى منتصف النهار، أو فى وقت لاحق. وفى حال وصولهم؛ وربما لن يصلوا؛ فعليك معرفة، وربما ليس من الضرورى أن تعرفى بهذا الأمر، أو أنك ربما...

صرخت زوجة الزعيم مقاطعة:

ــ كفى، كفى! إننى لم أفهم منك شيئا. ألا يمكنك الحديث بدقة أكثر؟.

ــ بدقة أكثر؟ بالطبع علىّ انتظاره هنا حتى عودته، وذلك فى حال عودته، وربما أنه لن يعود، أو أن...

قاطعت زوجة باهينى محمدى فى غضب:

ــ اصمت! هل سوف يأتى أم لن يأتى؟.

ــ نعم، لقد شرحت لك سابقا، والآن قد أصبح الأمر واضحا بدرجة أو بأخرى، إنه سوف يكون هنا، وذلك على الرغم من أن الأمر ليس معروفا تماما أن باهينى يمكنه أو ينبغى عليه الحضور مبكرا أم متأخرا...

قاطعت زوجة باهينى محمدى صارخة وهى تكاد تجن:

ــ صه أيها الرجل! الأمر سيان عندى! ولا أريدك أن تخبرنى بشيء بعد. فكلما ثرثرت أكثر كلما قل فهمى لما تقوله.

رقد محمدى على حصيرة فى الفناء منتظرا وصول الزعيم.

مر الوقت وانتصف النهار، ثم اقترب اليوم من نهايته وحل المساء دون أن يظهر باهينى ورفاقه الصيادون.

انقضى الليل وحل الصباح، وأخيرا وصل الزعيم ورجاله إلى مافتام.

وعندما شاهدوا محمدى فى انتظارهم بالفناء، أخذوا يقهقهون ضاحكين بصوت عال. وهتف باهينى فى مرح:

ــ مرحبا، هل برد طعامنا الذى أعدته زوجتى؟ على أية حال فهذا ليس بالأمر المحزن، فقد أثبتنا أن أكثر الأشخاص أمانة يمكنه الكذب أحيانا، وأن وقاحة هذا الإنسان أكثر بكثير من أمانته.

سألت زوجة باهينى:

ــ ولماذا تقول هذا الأمر؟.

لقد أخبرك أننا قد خرجنا إلى الصيد، بينما لم نذهب إلى أى مكان فى حقيقة الأمر. كما أخبرك بأننا سوف نصل بالأمس فى منتصف النهار، بينما لم نستعد بالأمس للمجىء هنا. وأكد أننا سوف نحضر معنا غزالا أو طريدة، بينما؛ كما ترين؛ لم نحضر معنا أية طريدة. والآن ينبغى علينا ضربه ضربا مبرحا، كى يكون ذلك درسا له!.

ردت زوجة باهينى:

ــ لا، لقد أخبرنى أنك ربما تخرج إلى الصيد وربما لن تخرج، ومن الجائز أن تخرج وقد لا تخرج، ومن المحتمل أن يحدث هذا الأمر أو لا يحدث... وقد نقل إلىّ كلماتك مليئة بالعديد من الاحتمالات المختلفة، حتى صعب علىّ فهمها وإدراك محتواها.

أسقط فى يد باهينى وثار من الغضب. وأصبح فى حال من الخجل والعـــار الذى لحق به بدلا من محمدى أمام الجميع.

منح الزعيم مكافأة لمحمدى وقال:

ـ لقد أخطأت فى حقك يا محمدى! فأنت حقا رجـــل أمـــين وذكـــى، والآن أعرف جيدا أن ما يقولونه عنك أفراد قبيلة سونينكا هو الحقيقة بعينهـــا، وأنك لا تكذب أبدا!.

٧٨. عاشقان للمرأة المتزوجة

كان ياما كان امرأة متزوجة لها عاشقان. وذات يوم قال زوج المرأة لها إنه سوف يخرج لعمل ما، وسوف يغيب لفترة طويلة.

وعندما هبط الليل جاء أحد العاشقين إلى المرأة. وبعد مرور بعض الوقت عاد الزوج فجأة. فتملك الخوف من الشاب وهتف في خوف:

ــ ما الذى يمكننى فعله الآن؟.

قالت له الزوجة:

ــ هيا اختبئ فى ذلك الصندوق الكبير.

أسرع الفتى إلى الصندوق وحشر جسمه فى داخله بالكاد، ثم دخل الزوج إلى الحجرة، وجلس مع زوجته التى أخذت تتحدث معه فى هدوء كما لو أن شيئا لم يحدث.

وعندما احتدم الحوار بينهما دخل العاشق الثانى إلى البيت ووقف عند الباب وقال بلطف:

ــ مساء الخير!.

ــ مساء الخير.

سمع العاشق الثانى صوت الزوج يجيب عليه، فهتفت الزوجة متداركة الأمر تقول:

ـــ هل جئت كى تأخذ صندوق الجعة إلى أمك؟.

تمالك الفتى رباطة جأشه وأجابها:

ـــ نعم، لقد طلبت منى أمى أن أحضر الصندوق إليها.

وضعت المرأة الصندوق فوق رأس العاشق الثانى الذى حمله ورحل مغادرا البيت.

وسار حتى وصل إلى بعض الشجيرات، فتنفس الصعداء قائلا فى نفسه: "أخ! لقد نجوت بنفسى"، ثم سمع صوتا يتردد من داخل الصندوق يقول: "وأنا الآخر". فصرخ العاشق الثانى بغضب:

ـــ نعم، ولكنك لم تنج فوق رأسى!.

وألقى بالصندوق على الأرض، وركله بقدمه حتى تحطم إلى قطع صغيرة.

٧٩. حكاية الرجل الذى طلبت منه زوجته أن يحضــر لهـــا حــليب الجامـوس

يحكى أن رجلا طيبا حسن الخلق يعيش فى إحدى القرى. وذات مرة اتفقت زوجته مع عشيقها على الأمر التالى: قالت الزوجة لزوجها:

ــ إن عينى تؤلمنى ألما شديدا، وقد أخبرونى أن علاجى من مرض عينــى هو حليب الجاموس. فاذهب للبحث عنه وأحضره إلىَّ.

صدق الرجل الطيب أن زوجته مريضة بالفعل. فخرج للبحث عن طلبهــا. وصادف أثناء سيره أحد الرهبان الذى سأله:

ــ إلى أين أنت ذاهب يا ولدى؟.

أجاب الرجل المسيحى الراهب:

ــ لقد أخبرتنى زوجتى أن مرضا قد أصاب عينيها. وأخبروها أن عــلاج هذا المرض هو حليب الجاموس. ولهذا أمرتنى بالعثور عليه. وهأنا قــد خرجت للبحث عن حليب الجاموس.

أدرك الراهب على الفور أن المرأة تمكر بالرجل الساذج، وقرر فى داخلــه أن يساعده، فاقترح عليه قائلا:

ــ هيا بنا نذهب إلى بيتك، وسوف أرشدك إلى الدواء المناسب.

وافق الرجل قائلا:

ـــ حسنا، ولكن المسافة بعيدة من هنا حتى البيت.

مضى الاثنان يسيران حتى اقتربا من بيت الرجل، فقال الراهب له:

ـــ انتظرنى هنا.

ووضع الرجل داخل جوال جلدى للحبوب، وحمله فوق كتفيه وسار به. وعندما وصل إلى البيت طلب من زوجة الرجل:

ـــ اسمحى لى من فضلك قضاء الليل لديك.

دعت المرأة الراهب إلى البيت، وسألته بلطف:

ـــ وكيف حال صحتك أيها الوالد؟ وما الذى تحمله معك؟.

ـــ إنها لوازم الكنيسة ومعها سرج للحمار.

دخل الراهب البيت وطلب من الزوجة:

ـــ لا تشعلى النار يا ابنتى، وذلك حتى لا يأتى لص ويسرق أدوات الكنيسة التى أحملها. ومن الأفضل أن أجلس فى الظلام.

كانت المرأة قد أعدت فى بيتها اللحم والجعة المغلية من أجل عشيقها. فقدمت ما أعدته إلى الراهب الجالس فى الظلام. فقام الراهب بفتح الجوال وتقاسم الطعام مع زوج المرأة القابع به.

بعد ذلك عرضت المرأة على الراهب قائلة:

ـــ أيها الوالد، هيا بنا نغنى.

ـــ حسنا يا ابنتى، ابدئى بالغناء.

عندئذ شرعت المرأة فى الغناء على هذا النحو:

الجاموس الذى سار هنا لم يصل بعد.

التقت الراهب كلمات الأغنية وردد:

استمع إلى هذه الأغنية جيدا يا سرجى العزيز.

وهكذا، قضى الاثنان المساء فى مرح وغناء. وعندما حل وقت النوم رقدت المرأة بجوار صديقها فى الفراش.

وعندما راحت المرأة هى وعشيقها فى النوم، خرج الزوج من الجوال وقطع رأس عشيق زوجته، ثم ألقى برأسه فى وعاء الجعة، وغادر المكان.



وعندما استيقظت المرأة نظرت بجوارها فشاهدت جسم صديقها بلا رأس، فأخذت تصرخ وتولول:

– أيها الوالد الراهب، يا والدى، لقد نام معى رجل، وهو الآن أصبح بلا رأس!.

أجابها الراهب:

– يا ابنتى العزيزة، إن الرؤوس كلها تشبه بعضها بعضًا، مثلها فى ذلك مثل اليراع[١].

---

(١) اليراع: هو ذباب الليل الذى يطير متوهجًا كالنار. (المترجم).

وحتى لا يعرف أحد هذا الأمر، قررت الزوجة التخلص من الجثة، فدفنتها مع القمامة. أما الراهب فقد نهض فى الصباح وشاهد جواله فارغا. وقال للزوجة:

ـ لقد فقدت لوازم الكنيسة، ولا بد أنك قمت بسرقتها.

قالت المرأة:

ـ سوف أدفع لك مقابلها.

وأحضرت جميع صور القديسين وأعطتها للراهب الذى وضعها فى جواله الجلدى ورحل.

أما زوج المرأة فعاد إلى البيت فى اليوم التالى وسأل زوجته:

ـ هل تشعرين بنفسك فى حالة جيدة؟.

ـ نعم، إنى أشعر بتحسن اليوم.

بعد مرور بعض الوقت، قامت المرأة بوضع قصعة الحساء فوق الجمر الساخن لتنظيفها من الغبار. وأخذت القصعة تصدر صوتا: "صر، صر" وسمع الزوج الصوت فسأل زوجته:

ـ ما هذه القصعة التى تقومين بتنظيفها؟.

تحدثت القصعة قائلة:

ـ لقد وضعت الجثة مع القمامة، ولو أردت مشاهدة بقيتها فانظرى إلى وعاء الجعة.

وضعت المرأة يديها فى وعاء الجعة، وشاهدت الرأس المقطوع. فأخرجتها من هناك، بينما واصلت القصعة حديثها:

ـ الجثـة مع القمامة، فاذهـبى إلى البـاب وقـلبى القمامـة بالمكنـسة وانظرى هناك.

ذهبت المرأة وأخرجت الجثة من قلب القمامة.

سمع الزوج كل ما قالته القصعة، فقال لزوجته:

ـ فلنذهب ونلقى بالجثة من أعلى الجرف.

حمل الرجل الجثة وربط الرأس خلف ظهره وذهب إلى الجـرف. وعنـدما وصل إلى حافة الجرف، ألقى بالجثة وقال لزوجته:

ـ لا أريدك أن تفترقى عن عشيقك فى مثواه الأخير!.

ودفع زوجته هى الأخرى خلف جثة عشيقها. وعاد إلى بيته بمفرده.

وهكـذا، فمن يظن أن الخبث يعينه فى حياتـه، سوف يلقـى مـصرعه بسبب خبثه.

٨٠. حكاية الزوج والزوجة اللذين خدع كل منهما الآخر

كان ياما كان زوج يعيش مع زوجته. وكانا يعيشان فى يسر ورخاء، فكان لديهما كل ما يرغب المرء فيه. وبغض النظر عن حياتهما الرغدة، إلا أن الزوج كان مهموما وحزينا، بسبب أن زوجته كانت نزقة ومستهترة الخلق. ونفذ صبر الزوج من سلوك زوجته فى نهاية الأمر، وكف عن التفكير فى شئون حياته ودنياه، ولم يعد يفكر سوى فى الطريقة التى يمكنه بها محو زوجته من على وجه الأرض. وظل يفكر طويلا فى هذا الأمر، ويقلب مختلف الخطط فى ذهنه، حتى توصل إلى فكرة التظاهر بالعمى. فظل راقدا يصرخ ويولول:

ـ أخ، يا للألم الفظيع الذى أشعر به، ويا لحالتى التى تزداد سوءًا، دعونى ألقى بنفسى فى التهلكة حتى أرتاح من العذاب!.

وسعى الناس إلى مساعدته، فاقترحوا عليه مختلف العقاقير والأدوية، لكنه رفض تعاطيها خوفا من فضح أمره واكتشاف أنه يرى مثل الصقر. وظل راقدا فى الفراش لفترة طويلة يخدع جميع من حوله، وعندما ينهض يهتف قائلا:

ـ أترون، أترون! لقد حدث ما كنت أخشاه، وأصبح نظرى لا يبصر على الإطلاق، ولا يمكننى رؤية أى شيء!

صدق الناس الرجل وواصلوا زيارته ومواساته.

مضى بعض الوقت، وفى نهاية الأمر أصبح متصنع العمى حارسا على البيت. فكان يجلس عند عتبة المنزل ممسكا بعصا من البامبو يهش بها الدجاج

والطيور. وسواء كانت زوجته بداخل البيت، أو خرجت لأمر ما، يظل جالسا على ذلك الوضع طوال اليوم.

وذات يوم شاهد على البعد أحد عشاق زوجته يسير نحو البيت، فأخذ يشكو بصوت عالٍ:

ــ أخ، يا لمصيبتى ويا لحالى من العمى الذى أصابنى وجعلنى لا أرى الناس. ولو جاء إلى هنا رجل سيئ أو لص فلن يمكننى مساعدة زوجتى.

ظن العاشق أن الزوج لا يراه. فتسلل بحذر إلى البيت. وسار بجانب الزوج، واختبأ خلف زلعة كبيرة داخل البيت. أما "ضريرنا" فقد نهض من مكانه عند العتبة، ودخل إلى البيت، ونزع بندقيته من فوق الحائط، وسار عائدا بها. وفى ذلك الوقت تماما عاد إلى البيت ابن الرجل الذى كان يرعى الغنم، وذلك كى يتناول طعام الغداء. فقال له والده:

ــ يا ولدى العزيز، إن ضميرى يعذبنى لأنى لم أعلمك حتى الآن فنون القتال. وأريدك أن تحضر لى علبة الرصاص. فعلى الرغم من عماى، إلا أنى أستطيع تعليمك كيفية الرماية.

فعل الابن ما طلبه منه والده. وأحضر له علبة الطلقات من البيت. فقال أبوه:

ــ والآن أحضر شيئا ما كى أتكئ بالسلاح عليه.

أحضر الابن المطحنة اليدوية لوالده الذى وضع فوقها البندقية، وأخذ يدرب الابن على كيفية الرماية. وقال الوالد:

ــ ما أن يصبح الهدف أمام ذُبانة البندقية يمكنك ضغط الزناد. هكذا كما أفعل تماما.

ووضع إصبع يده فوق إصبع يد ابنه الممسك بالزناد، وصوب مباشرة نحو الزلعة التى اختبأ خلفها عشيق زوجته.

ـ هيا اذهب وانظر إن كنا أصبنا الهدف أم لم نصبه.

ـ أيها الوالد، هناك شخص ما قد أصبته!.

ـ كيف حدث هذا؟ ومن أين أتى هذا الشخص؟ اذهب وانظر جيدا!.

ـ أيها الوالد، ليأخذنى الله إن كنت أكذب، لقد قتلنا رجلا بالفعل!.

عندئذ ذهب الرجل وأخذ يتحسس جثة القتيل، حتى تأكد أنهما قتلاه بالفعل. فأخذ يصيح:

ـ يا للمصيبة! يا للكارثة! ومن يكون هذا الرجل إن كنت تعرفه؟.

ـ نعم، إنى أعرفه جيدا، فهو جارنا.

وبينما أخذ الوالد فى العويل والصراخ مرددا: "يا للمصيبة، يا للكارثة!"، عادت زوجته إلى البيت. وما إن دخلت حتى شاهدت جثة عشيقها، فشهقت مفزوعة وأخذت تنوح وتولول، وغضب الزوج قائلا:

ـ كفاك عويلا ونواحا! فأنتِ المذنبة فى كل شىء، وتبكين الآن! كان ينبغى عليك التفكير فى ذلك من قبل، فاصمتى من فضلك. لقد جرى الأمر على هذا النحو: كنت أدرب ابنى على الرماية، فأطلق النار عليه وهو مختبئ... فلماذا تبكين وقد وقع المحظور ولن يمكن تغيير الأمر؟.

ـ وما الذى سوف نفعله الآن؟ وما الذى أقوله لوالديه؟.

ـ سوف نخبرهم أن ابنهم طلب تنظيف البندقية، فانطلقت منها رصاصة بصورة عفوية وأصابته. وهكذا، مات فى حادث عفوى.



وافقت الزوجة وقالت:

ــ حسنا سوف أخبرهم بما قلت.

فعلت الزوجة ما قاله زوجها، وأخبرت أهل القتيل بتلك الرواية. فرد أهله:

ــ إنه قضاء الله وإرادته، وما بيدنا فعل شيء.

ونادوا على الأقارب والمعارف، وذهبوا لدفن القتيل.

وعندما عرف أهل الزوجة بالأمر- أمها ووالدها وشقيقها- أتوا جميعا إلى منزل المتوفى. ولكن لم يكن هناك أحد بعد أن ذهب الجميع لدفنه، وكان جثمان المتوفى مسجى فى الكنيسة فى ذلك الوقت، لذلك قرر أهل الزوجة الذهاب إلى الزوج للسؤال عن صحته وعينيه. وذهبوا إلى هناك فشاهدوه راقدا بمفرده فى البيت. فقاموا بتحيته، واغتسلوا من آثار الطريق، وأخذوا يتناقشون معا. وهنا ينبغى الإشارة إلى أن الزوجة الشريرة قد قررت التخلص من زوجها، فوضعت له السم فى الطعام. وقبل أن تغادر البيت قالت له:

ــ لقد أعددت لك الطعام، حتى تأكل منه عندما تجوع.

وفطن الزوج إلى نية زوجته فى تسميمه كى تنتقم منه، فأخذ يلح على ضيوفه قائلا:

ــ لقد أعدت لى زوجتى طعاما شهيا وحساءً لذيذا. فأرجو منكم أن تتذوقوه.

كان التعب والجوع قد أصاب الضيوف، لذلك لم يرفضوا الدعوة إلى تناول الحساء. وسرعان ما خر ثلاثتهم صرعى وفارقوا الحياة. أما الزوج فأصبح راضيا بنجاحه فى تحقيق ما أراد. وفى ذلك الوقت انتهت مراسم الدفن، وتفرق المشيعون وعادت الزوجة بدورها. وعندما دخلت إلى البيت شاهدت والديها وشقيقها راقدين على الأرض بلا حراك فصرخت مولولة. وسأل الزوج من مرقده كما لو أن شيئا لم يحدث:

ــ ما الذى جرى لك؟ ما الذى حدث؟.

أخذت الزوجة تولول وتصرخ:

ــ أنت أيها الملعون! أنت أيها الملعون!.

ــ ما الذى جرى؟.

ــ ألا يمكنك أن ترى أن والدى وأمى وشقيقى قد ماتوا؟.

عندئذ قال الزوج:

ــ إذا، أحضرى لى حبلا كى أشنق نفسى به.

كانت الزوجة فى حالة شديدة من الغضب على زوجها، فأسرعت بإحضار الحبل له. وقال الزوج:

ــ أتوسل إليك أن تساعدينى، فأنا لا أرى شيئا، وأريدك أن تعلقى الحبل فوق شجرة.

خرج الاثنان إلى الفناء، ووقفت الزوجة على حجر الرحى، وألقت بالحبل فوق إحدى الأشجار. فقال الزوج متوسلا:

ــ والآن أدخلى رأسك فى العقدة كى أعرف أنها تتسع لرأسى.

فعلت الزوجة ما طلبه الزوج. فأسرع بدفع الحجر من أسفل قدميها. فضغط الحبل حول عنقها حتى فاضت روحها.

وعندما تخلص من جميع متاعبه، طلب من ابنه الذهاب به إلى المياه المقدسة. وقضى هناك حوالى أُسبوع. وفى أحد الأيام الرائعة هتف مرددا بفرح:

ـ لقد عدت مبصرا يا ولدى العزيز! فافرح لى! يا لها من معجزة!.

وفى اليوم التالى قال:

ـ أريد التأكد من أنى أرى كل شىء. فأخبرنى يا ولدى، هل ذلك الذى يسير هناك هو حمار يسير وعلى ظهره حِمل؟.

رد الابن:

ـ حقا يا والدى.

هتف الوالد بفرح:

ـ إذا فقد عاد البصر إلىّ مرة أخرى.

وعاد إلى بيته، وتزوج من امرأة أخرى. ويحكى أنهما يعيشان فى سعادة وهناء.

إن المرأة الفاضلة تمنح العظمة للزوج القوى، أما الزوجة السيئة فتجعل من الزوج الطيب رجلا سيئا سريع الغضب. ولهذا يقولون إن المرأة الفاضلة مثلها مثل التاج على رأس زوجها.

٨١. حكاية الرجل الذى أراد تخويف الآخر

ذات يوم قابل أحد الرجال رجلا آخر، ففكر فى نفسه قائلا: "فلأخيفه وأقص عليه شيئا مرعبا". وقال له:

ـ هل عرفت ما جرى؟.

سأل الآخر:

ـ عما تتحدث؟.

ـ يقولون إن العالم سوف ينقلب غدا رأسا على عقب.

ـ وكيف ينقلب؟.

عندئذ قال الأول:

ـ سوف ينقلب بالكامل، الناس والمواشى وكل شىء فى العالم سوف ينقلب.

ـ اسمع أيها الرجل! إن ما تقوله هو حقا شىء مرعب. ولكن هذا الأمر بالنسبة إلى قريتنا يمكنه أن يصبح مفيدا.

ـ وكيف هذا؟.

ـ إن سنام جمالنا قد تآكلت، ولم يعد بوسعها حمل أى شىء، وعندما ينقلب العالم فسوف يمكننا وضع الأغراض على بطونها بدلا من سنامها.

٨٢. حكاية الرجل الذى تزوج من البقرة

كان ياما كان رجل اشترى لنفسه بقرة. وقال الناس له:

ــ بما أنك اشتريت لنفسك بقرة، فلا بد أنك تنوى الزواج.

ــ ولماذا تقولون هذا؟.

ردوا عليه:

ــ إن البقرة هى زوجتك فى واقع الأمر.

أخذ الرجل بقرته وذهب معها لوضع خلايا النحل فوق الشجر. وتسلق شجرة وقال لها:

ــ ناولينى الخلية أيتها الزوجة!.

لكن البقرة ظلت ترعى العشب فى هدوء.

غضب الرجل وهبط من فوق الشجرة. وأمسك بعصا غليظة وضرب البقرة بها على رأسها بقوة شديدة، حتى أنها ماتت وسقطت فوق الأرض. وبعد ذلك سألوه فى القرية:

ــ ما الذى فعلته مع بقرتك؟.

ــ لقد قتلتها.

ـ ولماذا قتلتها؟.

ـ لقد أمرتها باعتبارها زوجة مطيعة أن تناولنى الخلية، لكنهـا رفـضت، فقمت بقتلها لسوء سلوكها.

فغر الجيران أفواههم من الدهشة وأخذوا يسبونه لحماقته.

٨٣. حكاية المرأة الحمقاء

كان ياما كان فى قديم الزمان فقير يعيش فى إحدى المدن. تزوج الفقير وأنجبت زوجته ابنة. ولم يكن لديه سوى بقرة واحدة. وكان الفقير يعمل فى حقل بالقرب من المدينة. وكانت ابنته تظل فى البيت. وفى كل يوم كان الفقير يحمل حزمة من العشب إلى بقرته أثناء عودته إلى البيت.

كانت ابنته فى الثامنة من العمر عندما تراءى لها حلم. فشاهدت فى منامها أنها قد تزوجت، وأنجبت طفلة جميلة جدا. وفى اليوم التالى استيقظ والدها مبكرا كعادته، وخرج إلى الحقل. أما الفتاة فصرخت لدى استيقاظها:

ـ يا أمى! أين طفلتى!.

سمعت الأم صراخ ابنتها، فدخلت إلى الحجرة تسألها:

ـ ما الذى جرى لك يا ابنتى؟ ولماذا تبكين؟.

ردت الفتاة:

ـ لقد شاهدت فى منامى أنكم قد زوجتمونى، وأنجبت طفلة جميلة، وعندما صحوت الآن لم أرها فأخذت فى البكاء. ولابد أنك قد أخذتها منى.

قالت الابنة ما قالته وشرعت فى البكاء مرة أخرى.

نظرت الأم إلى ابنتها وأخذت تبكى بدورها. وهكذا ظلت الاثنتان تبكيان معا. سمع الجيران صوت البكاء، فأتوا يسألون عن الأمر. وحكت الأم لهم كل شىء. فضحك الجيران قائلين:

ـ يا للمهزلة! لم نسمع من قبل أن أحدا يبكى من حلمه!.

وظلت الأم وابنتها تنتحبان أكثر فأكثر.

وشاهد عجوز من الجيران أن الأم وابنتها تنتحبان وتولولان أكثر فأكثر؛ فقرر أن يهدئ من روعهما. واقترب من الأم وقال لها:

ـ فيما ينفع البكاء أيتها الأم؟ ولو أن الصغيرة المولودة قد ماتت أثناء الليل، فينبغى تدبر الأمر والانتهاء منه، وبما أنها قد ماتت وهى ما زالت صغيرة جدا، فلنقم على روحها وليمة جنائزية كى ترتاح أرواحكما.

ردت زوجة الفقير:

ـ هذه نصيحة طيبة، ولكن كيف يمكننى القيام بذلك وزوجى غائب يعمل فى بيت السيد؟.

فقال الجار:

ـ أليس لديك فى البيت ولو دجاجة واحدة؟.

ردت المرأة:

ـ لا يوجد فى البيت شيء سوى بقرة السيد، والتى يحبها كثيرا.

قالوا لها:

ـ ينبغى عليك إقامة وليمة جنائزية فى جميع الأحوال، وذلك حتى لا يسوء الأمر ويحل الموت بك أو بزوجك.

خافت المرأة لدى سماعها قول الجيران وفكرت: "يبدو أننى سوف أضطر لذبح البقرة، ولا مفر آخر لدى". ونادت على الناس، وطلبت منهم ذبح البقرة.

فرح الناس بهذا الحظ الطيب. وقاموا على الفور بذبح البقرة، وقطعوا سيقانها وقايضوها ببعض الأرز وغيره من الحبوب التى يمكن طهيها مع اللحم. وبدؤوا فى سلق اللحم وتحميره، حتى أصبح الطعام جاهزا عند منتصف اليوم. وطلبوا حضور الشيخ كى يقوم بالصلاة على روح الرضيعة. واجتمع الناس ملتفين حول المأدبة. وجاء كل من سمع بالأمر ليأكل نصيبه من الطعام، ويخرج متخما من الشبع. وسرعان ما عرفت المدينة بأسرها عن المأدبة المقامة فى بيت الفقير، وأخذ الجميع يمدحون الطعام ومذاقه. أما الزوج فقد كان يعمل فى الحقل فى ذلك الوقت. فحضر الناس من المدينة وحكوا له عن المأدبة الجنائزية، لكنه لم يصدق الأمر؛ لأنه كان يعلم أن بيته خاليا من الزاد. وأخذ يعمل كعادته، وعندما حان موعد عودته إلى البيت، جمع حزمة من العشب الجاف، ومضى يسير نحو المدينة بخطوات وئيدة. فى ذلك الوقت كان جميع المدعوين والضيوف قد غادروا بيته. وعندما وصل الفقير إلى البيت قابلته الزوجة بكلمات الترحيب:

ــ ادخل أيها السيد، ادخل!.

ذهب الفقير فى صمت إلى الحظيرة، وألقى بحزمة العشب من فوق كتفيه، ثم قام بفردها على الأرض. وجال ببصره فى أرجاء الحظيرة فلم ير أثرا للبقرة!. وصرخ الفقير:

ــ أين بقرتى!؟

ردت الزوجة:

ــ ادخل إلى البيت يا زوجى العزيز، وسوف أحكى لك عما جرى لبقرتك.

أجاب الفقير:

ــ لن أذهب إلى أى مكان قبل أن أرى بقرتى.

طلبت الزوجة مرة أخرى:

ـ اذهب إلى البيت وسوف أشرح لك الأمر.

أصر الفقير على موقفه قائلا:

ـ أين بقرتى؟.

تأكدت الزوجة من عناد زوجها، فحكت له عن كل شيء.

ما إن سمع الفقير عن بقرته التى ذبحوها، حتى أسقط الأمر فى يده واعتراه الذهول. ودخل إلى البيت، فأحضرت له الزوجة طعاما ليأكل، لكنه لم يستطع أكل أى شيء.

وفى المساء قال الفقير لزوجته:

ـ لم أر فى حياتى حمقاء مثلك! ولم يحدث أن ذبح أحدا بقرته لهذا الأمر! ألا تنتاب الجميع مثل هذه الأحلام!؟ والآن اخبزى لى بعض الفطائر للطريق، فسوف أرحل وأطوف بلاد الله خلق الله، وأبحث عن حمقاء أخرى مثلك. وإن نجحت فى العثور عليها فسوف تظلين زوجة لى، وإن لم أعثر فسوف أتركك إلى الأبد.

فى الصباح خبزت الزوجة الفطائر. فأخذها الزوج، وأخذ معه أوراقا ومدادا، وانطلق فى طريقه. ومضى يسير عبر الغابات والصحارى لسبعة أيام، وبعد سبعة أيام أخرى وصل إلى مدينة كبيرة. لكنه لم يدخل إلى المدينة، بل طرق باب كوخ إحدى العجائز. فدعته العجوز إلى الدخول، وقدمت إليه الطعام. وأخذ الضيف يسأل عن المدينة وحكامها، فسألته العجوز:

ـ لماذا تريد أن تعرف كل هذه الأمور يا بنى؟.

ـ إنها أمور ضرورية جدا لى.

هبط الليل وسألت العجوز:

ـــ هل تريد الذهاب إلى المدينة أم قضاء الليل هنا؟.

رد عليها:

ـــ من الأفضل لى البقاء هنا، والذهاب فى الصباح إلى المدينة.

قالت العجوز:

ـــ إذا، فلتبق هنا، ولدى العديد من الأماكن.

وذهبت به العجوز إلى حجرة أخرى تركته بها.

فرح الضيف فرحا كبيرا. وأغلق باب الحجرة عليه، ثم أخرج أوراقه وجلس يكتب خطابات: الأول إلى السلطان، والثانى إلى ابنة السلطان، والثالث إلى الوزير، والرابع إلى ابنة الوزير. وبعد ذلك وضع كل خطاب فى مظروف مستقل. وفى الصباح سأل العجوز عن عناوين الأشخاص الذين كتب إليهم الخطابات. فقالت العجوز:

ـــ إن جميع أولئك الناس يعيشون على شاطئ البحر عدا ابنة السلطان، فهى تعيش فى المدينة بالقرب من هنا.

كان الفقير يحتاج إلى معرفة كل هذا. ونهض مودعا العجوز.

ـــ وداعا أيتها الأم، فينبغى على الذهاب مبكرا حتى يمكننى تسليم جميع الخطابات.

وانطلق فى طريقه، وسرعان ما وصل إلى المدينة. وذهب إلى بيت ابنة السلطان. وتلفت حوله فشاهد كومة من الجير أسفل شباك البيت. فانتظر حتى حلول الساعة التاسعة، ثم اندس بجسمه داخل الكومة، وأخرج رأسه منها وهو يصرخ بصوت عالٍ:

ـ أيها الناس! انجدوا شقيقكم، أغيثونى أنا الغريب الذى جئت من بلاد بعيدة، ساعدونى أيها القوم!.

وهنا أطل خادم من نافذة البيت، فشاهد رأس الفقير خارجة من كومة الجير. فنادى على سيدته وقال لها:

ـ انظرى لأسفل أيتها السيدة، فهناك شىء ما.

نظرت الفتاة إلى أسفل، وشاهدت رجلا يزحف من بين الجير وهو يصرخ. فنادت على الخادم وقالت له:

ـ اذهب بسرعة يا أوليدى وانظر ما جرى مع هذا الرجل.

خرج أوليدى إلى الفقير وسأله:

ـ من أنت؟ رجل أنت أم شيطان؟.

رد الفقير:

ـ أنا إنسان جئت من العالم الآخر. وقد أرسلونى لتوصيل رسالة إلى شخص ما فى هذه المدينة. ولا أدرى أين أنا الآن.

قال أوليدى:

ـ أنت أمام بيت ابنة السلطان.

فرح الرجل القادم من ذلك العالم وقال:

ـ يا للحظ الطيب، فلدى رسالة لها.

أمسك أوليدى بالرجل من يديه وأخرجه من قلب الجير. وذهب به إلى فناء البيت، حيث جلبوا إليه ماءً يغتسل به وطعاما يأكل منه. فجلس يأكل فى دهشة مصطنعة وقال:

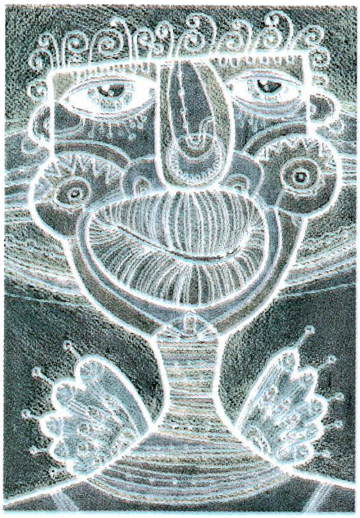
ـ إذا، فذلك هو الطعام الذى يأكلونه على الأرض الآن!.

بعد ذلك اصطحبوه إلى الطابق العلوى لبيت السيدة. ودخل الفقير إلى جناحها، وركع على الأرض أمامها قائلا:

ـ لقد أحضرت خطابا إليك أرسله عمك من العالم الآخر. وهو يبعث إليك وإلى زوجك بتحياته.

فضت ابنة السلطان المظروف، وأخذت تقرأ الخطاب الذى كُتب فيه:

"أهديك السلام يا ابنة شقيقى الغالية. إنى أعيش هنا فى مملكة الموتى على نحو جيد، وجميع الأقارب بصحة جيدة، ولا يقلقنى سوى أمر واحد. فقد استدنت بعض المال ولا يمكننى إعادته. ولهذا فإنى أرجو منك أن تعطى حامل الرسالة ألفين من الروبيات، حتى يمكننى سداد الدين، والسلام عليك أيتها الغالية، ولتتذكرينى دائما، المخلص عمك".



قرأت ابنة السلطان الرسالة، وانهمرت فى البكاء، ثم تمالكت رباطة جأشها، وفتحت حقيبتها الجلدية الصغيرة، وأخرجت منها ألفى روبية. وبعد ذلك فتحت صندوق الملابس وأخرجت منه معطفا من القطن، وآخر من القماش، وثالثا من الموسلين، ثم أخرجت قبعة بيضاء رائعة الجمال وملابس أخرى وغيرها من الأغراض الصغيرة. وأخذت تبحث فى المكان، حتى عثرت على منديل حريرى كبير وضعت بداخله كل هذه الأغراض. وشرعت فى كتابة خطاب لعمها:

"سلام الله عليك يا عمى! لقد استلمت رسالتك وسعدت بها كثيرا بعد ما علمت أنك بصحة طيبة. وقد أعطيت رسولك كل ما طلبته من المال والثياب؛ لأنى عرفت أن الثياب لديكم لا تكفى، والسلام عليك يا عمى! ابنة السلطان".

وأعطت الفتاة المنديل الكبير والخطاب إلى الفقير، وقالت له:

ـ احمل كل هذا إلى عمى، وأخبره بأنك لم تجد صاحب البيت، وإلا كنت أعطيتك المزيد.

بعد ذلك سألت ابنة السلطان:

ـ هل تريد أن أعطيك حمالا يصاحبك؟.

أجاب الفقير:

ـ لا، فينبغى علىّ حمل كل هذا بنفسى؛ لأن الإنسان الحى لا يمكنه السير فى العالم الآخر. فوداعا أيتها السيدة، حيث إن على الإسراع بالذهاب والوصول قبل مغيب الشمس، ذلك لأن الناس فى العالم الآخر هم الذين يسحبون أشعتها إلى أعلى.

خرج الضيف إلى الشارع، وأدرك عدم ضرورة توصيل بقية الرسائل. وتلفت حوله فشاهد الطريق المؤدى إلى الغابة. فمضى يسير عبره نحو البيت.

أخذ الرجل يسير فى الطريق وهو يقول فى نفسه:

ـ لم أكن أتصور أن هناك فى العالم مثل هذا العدد من الحمقى، وذلك بعد أن ظننت بزوجتى أنها الحمقاء الوحيدة! وقد اتضح لى أن الحمقى منتشرون حتى فى أوساط الأغنياء!.

ظل الرجل يسير ويسير فى الغابة حتى قطعها وخرج إلى الحقول. ومضى يجد فى سيره مسرعا لأنه خشى مطاردته. وعندما خرج إلى الحقل شاهد رجلا عجوزا يحرث الأرض. فسأله الفقير:

ـ أيها الوالد، هل وصلتك أخبار المدينة؟.

رد الآخر:

ـ لا، لم تصلنى بعد. فما الذى جرى هناك؟.

رد الفقير:

ـ لقد أصدر السلطان مرسوما بالقبض على جميع الفلاحين العجائز، والتضحية بهم وتقديمهم قربانا فى سبيل بناء القصر الجديد. وبما أنى رجل طيب فأنا أريد مساعدتك. فخذ معطفى وأعطنى ملابسك والمحراث. وسوف أعمل فى الحقل بدلا منك، بينما تسلق أنت هذه النخلة كى تراقب الطريق وتنظر إن كان أحد يسير به.

والآن، لنعد إلى ابنة السلطان. فما إن رحل الرجل القادم من العالم الآخر حتى عاد زوجها. وعندما شاهد زوجته فى حالة من الحزن والغم سألها:

ـ ما الذى حدث؟.

لم تنطق الفتاة بشيء بل حملت الرسالة وأعطتها لزوجها. فقرأها وسألها عما جرى. وحكت له عن قدوم الرسول إليها من العالم الآخر، حاملا تلك الرسالة التى أرسلها عمها المتوفى طالبا منها المال، والهدايا الأخرى التى أعطتها له.

ثار الزوج ثورة عارمة وصرخ فى وجهها:

ــ هل فقدت عقلك تماما؟ هيا أخبرينى بسرعة عن الطريق الذى سار به هذا الرسول القادم من العالم الآخر.

أجابته:

ــ لقد سار فى الطريق المؤدى إلى الغابة.

أمر الزوج من فوره بإعداد فرسه الرهوان وتسريجه. وارتدى درعه، ووضع العمامة فوق رأسه، وامتشق سيفه، وامتطى فرسه، واستعد للانطلاق فى أثر النصاب الوقح. لكنه استدار نحو زوجته قبل خروجه وقال لها:

ــ عليك أن تعرفى أنى لو أدركت ذلك الرجل، واتضح لى أن كل ما قلته صحيحا، فسوف تظلين زوجتى، أما لو ظهر أن الأمر مجرد أكاذيب وهراء فلن تصبحى زوجة لى بعد ذلك.

انطلق الزوج على رهوانه يسابق الريح. وعندما اقترب من مشارف الحقل، هتف الفلاح المراقب من فوق النخلة:

ــ إنى أرى سحابة من الغبار عند مشارف الحقل، وهناك أحد ما قادم إلى هنا.

قال الفقير:

ــ أرأيت صحة ما قلته لك؟.

وصل الفارس إلى الحقل وشاهد فلاحا يحرث الأرض، فسأله:

ــ ألم تشاهد رجلا حاملا جوالاً مر بالقرب من هنا؟.

ـــ لا، لم أشاهد أحدا أيها السيد، ولكنى رأيت رجلا جاء من المدينة وأسرع بتسلق هذه النخلة. وعندما سألته عن سبب صعوده النخلة، أجـــابنى أنـــه خائف. فربما يكون هو الرجل الذى تبحث عنه.

تملك الغضب الشديد من زوج ابنة السلطان الحمقاء، وقال للفلاح:

ـــ أيمكنك تسلق هذه النخلة؟.

أجاب الفقير المتنكر فى ثياب الفلاح:

ـــ لا، إنى للأسف لا أستطيع تسلقها أيها السيد.

عندئذ خلع الفارس ملابسه، ونزع عنه درعه وعمامته وخنجـــره وســـيفه، وأعطى كل أغراضه تلك مع الفرس للفلاح كى يحرسها، بينما قام هو بتسلق النخلة وهو يهتف ويصيح:

ـــ والآن أيها اللص سوف ترى ما لم تره فى حياتك، وتعرف الأخبث منا.

أما الرجل الجالس أعلى النخلة، فقد شاهد الزوج يتسلق النخلة نحـــوه وهـــو يتوعده، فتأكد من حقيقة أنه قد جاء ليقتله طبقا لأمر السلطان. فهتف يقول له:

ـــ تعال إلىّ، وسوف أريك ما لم تحلم به.

وظل زوج ابنة السلطان الغاضب يتسلق لأعلى ولا ينظر لأسفل. فى ذلـــك الوقت قام الفقير بجمع ملابس الفارس وكل أغراضه الأخرى، وحملها مع جوالـــه وامتطى فرس الزوج، وانطلق مسرعا كالسهم. وعندما شاهده العجوز صاح فـــى وجه الفارس:

ـــ انظر لأسفل أيها الأحمق لتشاهد فرسك الذى اختفى.

كان الزوج قد خارت قواه من التعب، فلم يستطع مواصلة التسلق لأعلى ولا الهبوط لأسفل. ولكنه اضطر للهبوط ليعرف ما جرى لفرسه. وقال للعجوز:

ـ حسنا، اهبط إليّ ولنتحدث بالحسنى.

لكن العجوز لم يهبط. فاضطر الزوج أن يقسم له بأنه لن يقتله أو يمسه بسوء. فهبط الاثنان من فوق النخلة. وسأل صهر السلطان:

ـ من هذا الرجل الشرير؟.

قص عليه العجوز كل ما جرى معه، وأخبره بخشيته من أمر السلطان وسبب تسلقه النخلة. وعندما سمع صهر السلطان الحكاية، أخذ يقهقه من الضحك حتى نسى غضبه تماما.

سأله الفلاح:

ـ ألا تخبرنى فى النهاية بما يجرى فى المدينة الآن؟.

حكى الزوج له عن الرسالة القادمة من العالم الآخر، وعن زوجته التى منحت المال والثياب للرسول القادم من العالم الآخر. وأخذ الاثنان يقهقهان من الضحك حتى كادت بطونهما أن تنفجر.

سأل الفلاح:

ـ وما الذى سوف تقوله فى البيت؟.

رد صهر السلطان:

ـ ما الذى أقوله؟ سوف أقول إنى عندما أدركت ذلك الرجل، وحكى لى عن حياة الموتى، خفق قلبى من شدة الشفقة والحزن على حياتهم البائسة، حتى أنى أعطيته ملابسى ورمحى وأغراضى. وأنت أيها العجوز ما الذى تنصحنى به؟.

رد العجوز:

ـ أنصحك بهذا القول، وإلا فسوف يسخرون منك لو حكيت لهم عن خداع الرجل لك.

عاد صهر السلطان إلى البيت يحمل خنجرا فى يده ويرتدى ملابسه الداخلية فقط. فذهب إلى زوجته التى سألته:

ـــ ما الذى جرى لك؟ وأين ذهبت ثيابك وفرسك؟.

رد عليها:

ـــ لقد كنت محقة فيما قلته يا زوجتى. فما إن سمعت أخبار العالم الآخر من ذلك الرسول، حتى اعتصر الأسى قلبى، فأعطيته فرسى وجميع أغراضى، كى يحملها إلى القوم هناك. فلننس هذا الأمر يا زوجتى. ولكن لو أتى إليك أحد آخر من ذلك العالم، فأرجو منك ألا تعطيه شيئا قبل مشاورتى.

والآن فلنذهب ونشاهد ما جرى مع الرسول القادم من العالم الآخر. لقد مضى فوق الرهوان ينهب الطريق مسرعا حتى وصل إلى البيت. ودخل إلى زوجته وهو فى حالة من التعب والإنهاك من ركوب الفرس. فنزع رمحه ووضع جواله والأغراض الأخرى، وساق الفرس إلى حظيرة الأبقار. وبعد أن أخذ قسطا من الراحة وتناول الطعام، حكى لزوجته عن مغامرته، وأراها النقود التى حصل عليها قائلا:

ـــ اجلسى أيتها الزوجة. فقد عثرت على فتاة أكثر حماقة منك بكثير. ولكن فى جميع الأحوال لو أن حلما ما أو هراءً راودك، فعليك انتظار وصولى ومشاورتى فى الأمر كى نحله معا.

ومنذ ذلك الحين وهما يعيشان معا فى سلم ووئام.

٨٤. حكاية الحمقى الثلاثة

عاش رجل فى قديم الزمان. وكان يطوف الدنيا وبلاد الله، عندما صـــادف على الطريق ثلاثة من الناس جالسين وسط غبار الطريق. فقام المسافر بتحيتهم:

ـــ السلام عليكم أيها الحمقى!.

ردوا عليه:

ـــ وعليكم السلام!.

ومضى الرجل لمواصلة طريقه، بينما أخذ الحمقى يتبارون فيما بينهم. فقال أحدهم:

ـــ إن هذه التحية كانت موجهة لى فقط!.

قال الثانى:

ـــ لا، إنى أنا الأحمق بعينه.

وردد الثالث نفس الكلام. وظلوا يتجادلون حتى قال أحدهم:

ـــ لا داعى أن نتجادل هنا طوال اليوم. فإن ذلك الرجل لم يبتعد كثيرا. فهيا بنا ندركه ونسأله عن الأحمق فينا.

اتفق ثلاثتهم على الأمر. وأسرعوا فى الطريق ينادون على المسافر بصوت عالٍ:

ـ أنت أيها الحارس، أيها الحارس!.

فكر المسافر فى نفسه: "ما الذى فعلته عندما مررت بالقرب من أولئك الناس؟". وتوقف على الطريق. فاقترب منه الحمقى وسأله أحدهم:

ـ أخبرنا أيها الرجل الطيب. ألم تكن تحيتك موجهة نحوى فقط؟ ألست أنا الأحمق الذى تعنيه؟.

سأل الثانى بدوره:

ـ كيف هذا؟ ألم توجه تحيتك لى؟ ألست أنا الأحمق؟.

سأل الثالث:

ـ أخبرهم بأننى أنا الأحمق.

فكر المسافر: "ما الذى يمكننى أن أجيبهم به؟" وقال لأحدهم:

ـ أخبرنى إذا عن الحماقة الحقيقية.

رد الرجل:

ـ أيها السيد، إنى هو الأحمق بعينه فى حقيقة الأمر! وسوف أثبت لك ذلك. فقد ذهبت بالأمس إلى السوق لشراء اللحم، وحملته إلى زوجتى التى أخذت فى إعداده. وعندما أوشك اللحم على النضج، خرجت الزوجة فى طلب الملح. عندئذ اختطفت قطعتين من اللحم، وألقيت بهما فى فمى وأخذت ألوكهما. ولم يسعفنى الوقت لابتلاعهما، حتى سمعت صوت خطوات زوجتى عائدة. فحركت اللحم خلف خدى حتى انتفخ. عندما دخلت زوجتى وشاهدت وجهى صرخت قائلة: "يا إلهى العظيم! ما إن خرجت لطلب الملح حتى انتفخ خد زوجى! فيا لتعاستى! ينبغى وضع الإبرة فوق النار على وجه السرعة!" وقامت بإحضار إبرة طويلة،

وتسخينها فوق النار، ثم غرستها فى خدى. وعندما شعرت بالألم يحرق وجهى حركت اللحم نحو الخد الآخر فغرست زوجتى الإبرة فيه. وعندما أدركت أنه ليس هناك مكان آخر للحم بصقته فوق الأرض. أما الزوجة فأخذت تردد: "خسئت أيها الزوج! إن هذا اللحم كله لك فى جميع الأحوال، فلماذا جعلتنى أثقب خديك أيها الأحمق!" والآن أخبرنى أيها السيد ألست أحمق بالفعل؟.

رد المسافر:

ــ نعم، فى حقيقة الأمر أنت رجل أحمق بالفعل.

قال الأحمق الثانى:

ــ أيها السيد، لا يوجد فى العالم أحد أشد منى حماقة. فقد خرجت بالأمس إلى السوق واشتريت اللحم وبعض ثمار جوز الهند والتوابل. وأخذت كل هذا إلى زوجتى التى أعدت الطعام. وفى بلدتنا أمر يقضى بغلق الأبواب فى العاشرة مساءً. ومن لا يغلق بابه فى تمام العاشرة يقبضون عليه ويلقون به فى السجن. وفى الصباح يسحبونه ويجرسونه فى أرجاء المدينة، ثم يعدمونه عند الشاطىء. وهكذا، كنا نجلس فى البيت حتى العاشرة مساءً والباب مفتوح، ذلك لأن الطعام لم يوضع على الطاولة بعد. وأخيرا صحت على زوجتى: "أحضرى الطعام على الطاولة!" وعندما أحضرت الطعام، وشرعنا فى تناوله طلبت من زوجتى قائلا: "ألا تعرفين أن هناك أمرا فى البلاد بغلق الأبواب، اذهبى وأغلقى الباب، ثم نأكل الطعام". فردت على الزوجة: "اذهب بنفسك واغلقه!" فقلت لها: "اذهبى أنت!" فصاحت تقول: "اذهب بنفسك وأغلقه!" عندئذ صحت: "ولماذا نظل نتشاجر؟ هيا بنا نجلس دون تناول الطعام، ومن منا يبدأ فى

الأكل أو النطق بأية كلمة عليه إغلاق الباب". وهكذا جلسنا فى صمت أنا وزوجتى، ولم نفعل شيئا سوى النظر لبعضنا بعضًا. وطالت جلستنا على هذا النحو، حتى دخل حمار من الباب المفتوح، والتهم كل الطعام ورحل فى سبيله، بينما لم ينطق أحدنا بكلمة واحدة حتى لا يغلق الباب. وأتـى كلب دخل البيت، وأخذ يلعق بقية الطعام من الأوانى، ثـم الـتهم الأرز وكسر القصعة وفر هاربا، ونحن جالسون فى صمت لم ننطق بحـرف، وذلك حتى لا يغلق أحد منا الباب.

ظللنا جالسين حتى الواحدة بعد منتصف الليل. وعندما جاء الحراس يسألون: "لماذا لم تغلقوا الباب؟" ظللنا صامتين ولم نجب عليهم. فقـبض الحـراس علينـا. وألقوا بنا فى السجن حتى الصباح. وبعد ذلك اقتادونا إلى الـسلطان الـذى قـال: "اذهبوا بهما لتجريسهما، ثم اقتلوهما". وقاموا بتجريسنا فى كافة أرجـاء المدينـة ونحن صامتون لا ننطق. وعدما اقتربنا من بيتنا، قالت زوجتى فجأة: "هل هذا هو بيتنا يا زوجى؟ لماذا نسير بالقرب منه؟" فصرخت قـائلا: "آه! أوه! لقـد نطقـت زوجتى! آها! لقد نطقت زوجتى!" واعترت الدهشة الحارس وقال: "ما الذى جـرى لهما؟ لقد أمرنى السلطان بتجريسهما فى المدينة، ثم الذهاب بهمـا إلـى الـشاطئ وإعدامهما، وهما غير مباليين! ينبغى العودة بهما إلى السلطان مرة أخرى للنظـر فى أمرهما". وعاد بنا الحارس إلى السلطان، وحكى له عن الأمر. وسألنا السلطان من جديد. فشرحنا له كل شىء. وعندئذ سمح لنا بالعودة إلى البيت.

أرأيت أيها السيد؟ لقد كادت زوجتى وبيتى وطعامى أن يتسببوا فـى قتلـى، وإنى أستحق أن أصبح أحمق الحمقى.

رد المسافر:

ــ نعم، إنك أكثر حماقة من الأحمق الأول.

قال الثالث:

ـ لا أيها السيد، فإنى أكثر حماقة منهما! ففى ذات مرة آلمتنى إحدى أسنانى. فسألت: "ألا يوجد طبيب أسنان فى هذه المدينة؟". أجابونى: "يوجد طبيب أسنان يدعى على". فذهبت إلى على وقلت له: "إن سنتى تؤلمنى، فهل يمكنك أن تخلعها؟" فرد على: "يمكننى". وسألته قائلا: "وكم ستأخذ مقابل ذلك؟" فقال: "نصف روبية". وكان لدى نصف روبية فى صورة خمسة ريالات. فأعطيته المال، وخلعها.

وعندما عدت إلى البيت سألتنى زوجتى. كيف الحال؟ هل خلع لك سنتك؟" فأجبتها: "نعم خلعها". فسألتنى ثانية: "وكم دفعت مقابل ذلك؟". قلت لها: "خمسة ريالات". فقالت لى: "إن الآخرين يخلعون السن مقابل ربع ريال، بينما دفعت أنت خمسة ريالات!".

ذهبت إلى على مرة أخرى وقلت له: "اسمع يا على، كيف تجعلنى أدفع لك خمسة ريالات بينما الآخرون يخلعون السن مقابل ربع ريال؟ عليك إذا أن تخلع بقية أسنانى مقابل ما دفعت!". وقام على بخلع جميع أسنانى المتبقية. وعندما عدت إلى البيت سألتنى زوجتى: "هل حصلت على بقية مالك؟" قلت لها: "بالطبع، بل إنى مدين له". سألتنى ثانية: "وكيف هذا؟". قلت لها: "لقد جعلته يخلع جميع أسنانى مقابل الريالات الخمسة التى دفعتها. فما قولك فى ذكائى وفطنتى؟". وصرخت الزوجة فى وجهى: "يا لك من أحمق حقا!".

والآن أيها السيد، ألا ترى أنى أحمق الحمقى بالفعل؟.

قال المسافر:

ـ نعم، إنك بالفعل أحمق من رأيت، وتستحق تحيتى إليك.

عاد الحمقى الثلاثة أدراجهم، بعد أن عرفوا من فيهم الأكثر حماقة من الآخرين.

٨٥. الأحمق لدينا يسمونه "شاشاشا"

كان هناك رجل من قبائل الهاوس يدعى فافا. وكان الرجل يتاجر فى شتى الأغراض. وذات مرة ذهب إلى بلاد إيروبا، حيث لا يعرف معظم سكانها؛ فى المدينة التى ذهب إليها؛ لغة الهاوس. لكن فافا لم يعرف ذلك الأمر. وعندما وصل إلى بوابة المدينة، شاهد قطيعا هائلا يرعى بالقرب منها. فاعترت الدهشة فافا من حجم القطيع، وسأل عابرا صادفه:

ــ هل هذا القطيع ملك لرجل واحد أم لعدة أشخاص؟.

أجاب العابر بلغة شعب إيروبا:

ــ أنا لا أفهم كلامك.

ظن فافا أن عبارة "أنا لا أفهم كلامك" هى اسم الرجل الذى يملك القطيع. لذلك رد قائلا:

ــ لا بد أن "أنا لا أفهم كلامك" رجل ثرى جدا.

واصل فافا سيره حتى دخل إلى المدينة، وشاهد بيتا فخما كبيرا. فاقترب منه وأراد معرفة اسم صاحب البيت. وسأل شابا يمر بالقرب منه:

ــ أخبرنى أيها الشاب من فضلك، لمن هذا البيت الكبير؟.

لم يكن الشاب يعرف لغة الهاوس، لذلك رد عليه بلغته:

ــ أنا لا أفهم كلامك.

عندما سمع فافا بالعبارة قال:

ـ لا شك فى أن "أنا لا أفهم كلامك" هو بالفعل أغنى الأغنياء فى هذه المدينة، فهذا البيت لا يليق سوى بملك أو زعيم، وحتى لو لم يعرف المرء، فسوف يدرك على الفور أن هذا البيت هو بيت العز والثراء.

واصل فافا طريقه، وأخذ يسير فى نعليه الباليين إلى حيث ساقته قدماه، حتى وصل إلى شاطئ النهر الذى يقطع المدينة. فشاهد هناك مركبا كبيرا يحملون فوقه البضائع. ونظر فافا إلى البضائع الكثيرة وقال:

ـ يا للرب! لقد امتلأ المركب واكتظ بالبضائع!.

ونظر إلى رجل يقف بالقرب منه وسأله:

ـ أيها الأخ، هل كل هذه البضائع ملك لرجل واحد؟

كان الرجل من شعب إيروبا، ولم يفهم ما يقوله فافا. فنظر إليه نظرة حائرة وقال:

ـ أنا لا أفهم كلامك.

عندما سمع فافا عبارة "أنا لا أفهم كلامك"، فغر فاه من الدهشة وقال:

ـ إنه زعيم المدينة بلا شك. وقد أصاب من الثراء ما لم يصبه أحد! فيا ليت الله يساعدنى فى مقابلة هذا الرجل.

وجلس يرتاح بعض الشيء، وشرب بعض الماء، ثم مضى مواصلا طريقه. وهكذا ظل فافا يطوف كل أرجاء المدينة، حتى عاد إلى بوابتها. وهناك شاهد موكبا جنائزيا يسير بالقرب منها. وقد اجتمع فى الموكب الكثير من الناس الذين كانوا يبكون ويولولون. فتوقف فافا ناظرا إليهم. وعصف الحزن به متأثرا بالمشهد الجنائزى. فاقترب من عجوز وسألها:

ـ من هذا الرجل الذى انتقل إلى العالم الآخر؟.

لم تفهم المرأة لغة الهاوس، فنظرت إلى فافا وقالت:

ـ "أنا لا أفهم كلامك".

ما إن سمع فافا عبارتها حتى صرخ قائلا:

ـ يا الله يا عظيم! أنت العالِم أن كل إنسان مهما علا شأنه وارتفع، فسوف يخرج من الدنيا عاريا كما ولد، ولو حتى كان رجلاً مثل "أنا لا أفهم كلامك". فقد حصل على كل ما يريد المرء من الدنيا، وفى النهاية يعود إلى التراب! ولن يبقى له من كل ثروته وجاهه سوى تلك الخرق التى يلفونه بها. وبما أن هذا هو مصير الإنسان فى النهاية، فلماذا رحلت عن ديارى؟! فإن الله فى جميع الأحوال سوف يرزقنى ولو بكسرات من الخبز! لقد رحلت عن ديارى بسبب الغرور والتكبر، فأشكرك يا الله يا عظيم على تلقينك هذا الدرس لى فى صورة ذلك الرجل "أنا لا أفهم كلامك". والآن لم يبق لى شيء سوى العودة إلى البيت. وأرجو أن يساعدنى الله فى العودة سالما إلى حقلى الصغير. فليس من العبث القول إن المَثل الغريب هو وعظ للمرء وحكمة له.

٨٦. الصهـــــر

كان هناك رجل عجوز لديه ابنة واحدة. وقد أطلقوا عليها اسم سانجبا. كانت الفتاة آية فى الجمال، ولم يكن هناك شاب لم يحلم بالزواج منها.

كان كل من يتقدم لطلب يد الفتاة، يقول والدها له نفس العبارة التى يكررها دائما: "أحضر لى غزالا حيا كى تحصل على سانجبا". وقد كان أمرًا مـــضحكًا أن يمسك أحد بغزال! وكان هذا الطلب الغريب يجعل العديد من الخطاب يفقدون الأمل فى الزواج من الحسناء. وإن كان البعض منهم قد سعى للإمساك بـــالغزال حيـــا، وذلك اعتمادا على مهارتهم فى الصيد وسرعة عدوهم، ولكن أحدا منهم لم يـــنجح فى ذلك الأمر بالطبع.

وذات يوم قرر صديقان قادمان من إحدى القرى البعيدة، أن يجربا حظهمـــا فى الزواج من الفتاة الحسناء. وكانا يدعيان نيلا وسيفو. فذهبا إلى العجـــوز والـــد الفتاة الذى سألهما:

ـ لماذا أتيتما إلىّ؟.

تقدم نيلا ورد قائلا:

ـ لقد جئت أطلب يد ابنتك.

وقال سيفو هو الآخر:

ـ وأنا أيضا أريد الزواج من سانجبا.

عندئذ قال العجوز لهما:

ـ أنتم اثنان، وليس لدى سوى سانجبا واحدة. وسوف يحصل عليها منكما من يحضر لى غزالا حيا.

وهكذا، انطلق الشابان إلى الغابة. وظل الاثنان يطوفان طويلا بين الأحراش، حتى شاهدا أخيرا غزالا يركض بين الأحراش. فأخذا فى مطاردته بكل قوتهما. ولم يكن سيفو على نفس القدر من سرعة نيلا. فسرعان ما تخلف عنه، وجلس منهكا أسفل إحدى الأشجار. وفكر فى نفسه قائلا: "لا، إن هذه المطاردة لا تصلح لى! ولا يمكن للمرء أن ينهك نفسه فى سبيل امرأة! فسوف يظل العالم قائما بدون هذه السانجبا، كما أن هناك العديد من الفتيات الحسناوات اللاتى يمكن اختيار إحداهن زوجة دون مشقة خاصة. بالإضافة إلى ذلك، فما المغزى من هذه الوسيلة الحمقاء فى مطاردة الغزال للحصول على الفتاة؟ وأنا لم أسمع من قبل عن شرط مماثل. لا، لن أنهض من مكانى حتى ولو كان المقابل جميع جميلات العالم! وسوف أظل هنا فى انتظار نيلا".

سرعان ما راح سيفو فى النوم. وعندما استيقظ شاهد صديقه نيلا يقترب منه وهو يجر خلفه غزالا حيا!.

وهتف نيلا:

ـ ها هو الغزال! وقد أصبحت سانجبا ملكا لى الآن! لقد كنت مستعدا للبقاء فى الغابة لأيام عديدة، فى سبيل الحصول على هذا الغزال؛ لأننى أذوب عشقا فى سانجبا!.

عاد الصديقان إلى القرية، وقاما بتقديم الغزال إلى والد سانجبا فى جو احتفالى بهيج.

وأمر العجوز بذبح الغزال وإعداد لحمه، ثم دعى أصدقاءه وقال:

ــ ها هــو غزالنــا. فهيا كلوا منه هنيئا مريئا. وبعد ذلك يمكننــا الحــديث حول سانجبا.

وبعد أن انتهوا من تناول الطعام، دعى العجوز مجلس الحكماء وقال:

ــ إنكم تعلمون جميعا أن ابنتى الوحيدة سانجبا هى أثمن من حياتى، ولــذلك فأنا أريد أن يتمتع زوجها بالطيبة والرجولة. وقد جاء إلى هذان الشابان لطلب يد ابنتى. وأخبرتهما عن شرطى بأن من يحضر لى غزالا حيــا، تصبح سانجبا من نصيبه. وها هما قد حققا مطلبى وأحضرا لى الغزال. ولكن أحدا بمفرده هو الذى أمسك بالغزال. فلماذا لم يــستطع الآخــر أن يفعل ذلك؟ يا كبار القوم! إنى أتوجه إليكم كى تضعوا سانجبا فى مقــام ابنتكم، وتختارون زوجا لها من بين هذين الشابين.

عندئذ سأل الكبار الشابين:

ــ لقد جئتما معا، وطلب كل منكما يد الفتاة، فلماذا أحضر واحد منكما فقــط الغزال الحى؟.

تحدث نيلا فى البداية قائلا:

ــ لقد خرجنا معا إلى الغابة، وأخذنا فى البحث عن الغزال. وعندما رأينــاه أخذنا نطارده معا، ولكن سيفو سرعان ما كف عن المطاردة، وواصــلت أنا مطاردة الغزال حتى أمسكت به؛ لأنى كنت مبهورا بجمال ســانجبا. وأوثقت الغزال بالحبال، ووضعته فوق كتفى، وعدت إلى صــديقى فــى المكان الذى انتظرنى به. وقد جاء معى الآن باعتباره مجرد صديق.

بعد ذلك تحدث سيفو:

ـ لم أسمع فى حياتى من قبل بمثل هذا الطقس الغريب، فى الإمساك بغزال حى حتى يتزوج المرء. ولكن سانجبا قد أعجبتنى، فقررت أن أجرب حظى، وخرجت مع نيلا للحصول عى الغزال. ولكننا اضطررنا إلى الركض طويلا، حتى أصابنى الإنهاك والتعب. وعندئذ توقفت وفكرت فى نفسى: "هل يستحق الأمر أن يركض المرء على هذا النحو حتى تتحطم رأسه؟ إن النساء كثيرات بما يكفى، ويمكننى الحصول على أية حسناء بطريقة أسهل من طريقة سانجبا"، ولذلك جلست أسفل الشجرة فى انتظار نيلا. وقد جئت معه الآن باعتبارى صديقا له. أما ابنتك فلا أريدها.

استمع كبار القوم إلى الصديقين، وتشاوروا فيما بينهم، ثم قالوا:

ـ سيفو الذى توقف عن المطاردة ولم يمسك بالغزال هو من يتزوج سانجبا. فنحن لا نحتاج إلى صهر لنا مثل نيلا الذى أحضر الغزال. فهو لم يوقفه شيء عن تحقيق هدفه. ولو قرر القتل فسوف يقتل دون الاستماع إلى نصح الآخرين. ولو أننا أعطيناه سانجبا، فإنها حين تخطئ أو تفعل شيئًا على غير المرغوب به، فسوف يقوم نيلا بضربها دون الاستماع إلى أحد ممن يحبونها. لا، لا نريد مثل هذا الصهر. أما سيفو فهو الرجل المناسب وسوف يستمع إلينا. ولو أراد معاقبة سانجبا لخطأ ما فعلته، فسوف يستمع لكلماتنا وتهدأ نفسه، حتى لو كان غضبه عظيما. إن سيفو سوف يكون صهرا طيبا ومطيعا، ولهذا سوف يصبح زوجا لسانجبا.

٨٧. حكاية فرخ الكروان الذى وقع فى الشباك

يحكى أن فرخ الكروان كان يبحث عن بعض حبوب القمح الناضجة. وشاهد فجأة شبكة ممدودة عند طرف حقل القمح. عندئذ سأل أمه:

ـ أخبرينى يا أمى، ما هى أفضل الطرق للهبوط على الحقل دون الوقوع فى الشباك؟.

ردت الأم عليه:

ـ لا تفكر فى هذا الأمر يا صغيرى، ولا تقترب من الحقل حتى لا تقع فى الشباك.

لكن فرخ الكروان قال باستهتار:

ـ لا، لن أقع. فسوف أراقب الشبكة قليلا، وأتسلل عبرها إلى الحقل بحذر.

وطار فرخ الكروان محاولا اختراق الشبكة إلى الحقل، لكنه بالطبع لم ينجح فى ذلك، ووقع فى داخلها يتخبط. وأدركت الأم أن مكروها لحق بابنها العنيد، والذى لم يستمع لنصيحة الأم. وأخذ الصغير يبكى مستغيثا:

ـ لقد وقعت فى الشباك يا أمى، أنجدينى!.

قالت الأم له:

ـ يا ولدى العزيز، ألم أحذرك من قبل؟ لو أنك استمعت لنصيحتى لما وقع لك هذا الأمر، والآن لا يمكننى مساعدتك فى هذه الورطة.

ـ أرجوك، حررينى من هنا!.

ـ وكيف أفعل ذلك يا ولدى؟.

ـ إذا هل تتركيننى هنا حتى أموت؟.

عندئذ فكرت أمه وقالت:

ـ سوف أخبرك بحيلة تقوم بها. عليك إغلاق عينيك والتظاهر بأنك ميت. وعندما يحضر صاحب الشباك، فسوف يظن أنك ميت ويفتح الشبكة. وعندئذ تنجو بنفسك.

جاء الرجل صاحب الحقل لجمع المحصول. وعندما نظر إلى الحقل شاهد طائرا واقعا فى الشبكة. وكانت الطائر فى ذلك الوقت قد أغلق عينيه متصنعا الموت. فظن الرجل أنه ميت بالفعل. ففرح واعترته الدهشة؛ لأن الفرخ لم يقطع الشبكة.

كان رفيقه فى الحقل المجاور يقوم بحراسة المحصول. فنادى عليه صاحب الشبكة:

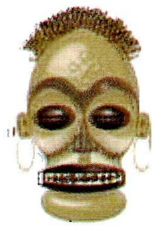
ـ أيها الأخ، لقد سقط فرخ فى شباكى ولم يقطعها. وهأنا قد عثرت عليه.

رد الرفيق:

ـ اقذف به لأعلى وسوف أنظر إليه!.

فعل صاحب الشبكة ما قاله الرفيق. وألقى بالفرخ نحو السماء. فإذا به يواصل صعوده مرفرفا بجناحيه. وظل الفرخ الصغير يحلق حتى وصل إلى بيته فوق الشجرة فى الغابة.

أيها الأطفال عليكم أن تعلموا قيمة نصائح آبائكم وأمهاتكم، وأن تقوموا دائما بتنفيذ نصائحهم، أوامر كانت أم رجوات.



٨٨. العبد والسيد

كان هناك رجل يملك عبدا. وذات يوم قال العبد لسيده:

ـ أيها السيد! أعطنى سكينا، وسوف أصنع لك فخاً.

أعطى السيد سكينا للعبد الذى صنع به فخا وتركه. وذات يوم خرج العبد يتفقد الفخ، فشاهد امرأة جميلة وقعت به. كانت المرأة تدعى بولومبا. وعاد الاثنان إلى القرية. واصطحبها العبد إلى بيته، وعاش الاثنان معا باعتبارهما زوجا وزوجة.

وفى مساء أحد الأيام، دخل السيد بيت العبد الذى كان جالسا فى الفناء مع رفيقته. وما إن شاهدها السيد حتى أخذ يغنى قائلا:

هيا نتحدث معا أيها الفتيان،

لقد أعطيته سكينا أيها الفتيان،

وقام بصنع فخٍ بالسكين،

فحصل على بولومبا من الفخ،

فقلت له أيها الفتيان،

سوف أتزوج تلك المرأة،

التى اتخذها لنفسه رفيقة تؤنسه!

أدرك العبد لدى استماعه لتلك الكلمات، أن سيده يريد أخذ بولومبا زوجة لنفسه. فتكدر وحزن. وسرعان ما أخذ السيد المرأة لنفسه.

وكما ترون، فلو أن العبد يملك شيئا ما، فسوف يأخذه منه السيد فى جميع الأحوال. وهذا هو العرف السائد.

٨٩. الزوجة المحبوبة والزوجة غير المحبوبة

كان ياما كان رجل لديه زوجتان. كانت إحداهما أثيرة إلى نفسه، والأخرى غير محبوبة. وقد جرت الأمور على هذا النحو التالي: فمهما فعلت الأثيرة من أخطاء، ظلت أحوالها جيدة ولا يحاسبها أحد، أما الزوجة غير المحبوبة هي وأطفالها، فكانوا مكروهين مهما فعلوا من أعمال طيبة. وجاء وقت اندلعت فيه الحرب. فخرج الزوج للقتال. وكما تعرفون فأينما تكون الحروب يسود الجوع. فأخذ الأطفال فى البكاء وطلب الطعام. ولم يكن فى الحقل شيء قد نما عدا بعض ثمار البطاطا، والتى كانت نحيلة مثل ذيول الفئران. وخرجت الزوجة غير المحبوبة إلى قسمها من الحقل، فجمعت الثمار الشبيهة بذيول الفئران، وأعدت حساءً أطعمت به الأطفال. أما الأثيرة ففكرت فى نفسها: "لو أننى أطعمت أطفالى بتلك الثمار الشبيهة بذيول الفئرن، فلن يشبعوا منها فى جميع الأحوال، ولن أجد شيئا أطعم به زوجى لدى عودته". ولم تقم بإعداد الحساء لأطفالها. وسرعان ما قتل الجوع أطفالها وماتوا. أما أطفال الزوجة غير المحبوبة، فظلوا على قيد الحياة.

انتهت الحرب وعاد الزوج إلى البيت فى وقت متأخر من الليل. فاستقبلته الزوجة الأثيرة، وأسرعت إلى القسم الخاص بها من الحقل، فجمعت منه ثمار البطاطا التى نمت وأصبح حجمها كبيرا. وبدأت فى سلقها وإعداد الطعام للزوج.

أما الزوجة غير المحبوبة فوقفت جانبا، حيث إنه لم يكن لديها شيء تطعم به زوجها.

عندئذ صاحت المحبوبة:

ـ فلتنظر تلك التى سلقت ذيول الفئران إلى ثمار البطاطا الحقيقية.

ردت غير المحبوبة:

ـ فلتنظر تلك التى انتظرت أن تكبر ثمار البطاطا، وتذهب لتشاهد أطفالها.

وخرجت الزوجة غير المحبوبة، بينما سأل الزوج عن مغزى قولها، وعن أطفاله. وعندئذ حكت له الزوجة المحبوبة عن احتفاظها بثمار البطاطا، وعدم إطعامها الحساء لأطفالها. فأدرك الزوج مدى حمقها. وقام بضربها وطردها من البيت.

إن ما تفعله المحبوبة ليس دائما هو الصواب، وما تفعله غير المحبوبة ليس دائما هو الخطأ.

٩٠. القرد والأرنب



ذات يوم جلس الأرنب والقرد يتبادلان الحديث. فقال القرد:

ـ أتعرف أيها الأخ الأكبر الأرنب، إنى أستطيع الجلوس طوال اليوم دون أن أهرش جسمى.

رد الأرنب:

ـ لكن هذا الأمر صعب عليك أيها الأخ القرد.

ـ أقسم لك بذقن جدى الأكبر، إنى أستطيع الجلوس طوال اليوم دون حك جسمى ولا حكة واحدة.

حينئذ قال الأرنب:

ـ أتعرف أيها الأخ القرد، أنا الآخر يمكننى الجلوس طوال اليوم دون أن أحرك بصرى ولا ألتفت حولى.

ـ هذا أمر يصعب تصديقه أيها الأرنب.

ـ أقسم لك بما تريد بأنى سوف أجلس طوال اليوم دون تحريك بصرى.

ـ إذن، فلنجرب هذا الأمر فى الغد.

فى الصباح التالى جلس كل من الأرنب والقرد قبالة بعضهما بعضًا، وأخذ كل منهما يراقب الآخر. ولم يحك القرد جسمه ولا حرك الأرنب بصره حتى منتصف النهار.

واشتدت الرغبة بالأرنب فى تحريك بصره فقال:

ــ أتعرف أيها الأخ القرد، عندما قامت الحرب الكبرى، كان الرصاص يتطاير مثل المطر، حتى أنك لا تستطيع تحريك نظرك هكذا.

وبينما قال الأرنب عبارته حرك بصره ممثلا لحكيه. فأخذ القرد يفكر ويفكر حتى قال:

ــ أتعرف أيها الأخ الأرنب، لقد كان الرصاص يتساقط حولنا فى الحرب السابقة، حتى أننا كنا نلتقطه من الهواء ونرميه بعيدا عنا هكذا.

وأخذ القرد يهرش جسمه وهو يمثل حركة التقاط الرصاص من الخلف.

وأدرك كل من الأرنب والقرد ما فعلاه، فأخذا يقهقهان من الضحك.

هناك مثل لدى شعب البومر يقول: "يمكن التخلص من كل شيء إلا العادات".

إن العادات هى الثياب الدافئة، والتى نخلعها عندما تشتد الحرارة، ونضعها عند البرد. وما يعتاده المرء يصعب عليه التخلص منه.

٩١. الأرمل الأهتم

كان ياما كان رجل أهتم (عديم الأسنان) يعيش مع زوجته الحنون الطيبة. وكانت الزوجة تمضغ له الطعام حتى يستطيع أكله. ولكنها سرعان ما رحلت عن الدنيا وماتت. وعندما قاموا بدفنها، وانفض المعزون من الجنازة، ظل زوجها يبكيها عند المقبرة طويلا. وقضى ليلته هناك والحزن والألم يعتصران لفراقها. وبعد شروق الفجر جاء عجوز إلى المقبرة. وعندما شاهد الأهتم جالسا عندها، اقترب منه وألقى التحية عليه، وأخذ يسأله عما جرى. فقال الأرمل:

ـــ لقد ماتت زوجتي بالأمس، وقمنا بدفنها هنا.

سأل العجوز:

ـــ وما الذي يبقيك هنا ما دامت قد رحلت عن الدنيا؟!

ـــ لم يبق لدي أمل في الحياة بعد موتها. وأريد أن تفيض روحي هنا بجانبها.

سأل العجوز:

ـــ لا بد أنها كانت زوجة صالحة.

ـــ نعم.

ـــ هل كانت زوجتك الوحيدة؟.

ـــ نعم.

ـــ وما سبب حبك الكبير لها؟.

ـــ إنى أهتم بلا أسنان، وقد كانت زوجتى تمضغ الطعام لى.

عندئذ قال العجوز:

ـــ وهل تظن أنك لن تجد امرأة أخرى تقوم بذلك من أجلك؟.

ـــ أظن أنى سوف أجد من يمكنها القيام بذلك.

ـــ إذا، اذهب واعثر على زوجة لك أفضل من السابقة، وتزوج بها مرة أخرى.

أخذ الأرمل يفكر فى الأمر فى نفسه: "ربما يمكننى فعل ذلك حقا". وبعد ذلك نهض قائلا:

ـــ وحق الله إنك محق فيما تقوله. وليكن الأمر على هذا النحو.

وسرعان ما تزوج من امرأة أخرى. ولكن الزوجة الجديدة لم تمضغ له الطعام، بل كانت تطحنه. واتضح أن الطعام الممضوغ لا يقارن بالمطحون. فالمطحون أشهى وألذ بكثير!.

وذات يوم خرج الرجل فى الصباح إلى مقبرة زوجته الأولى، حاملا بعض العشب الجاف كى يحرقها. وفى الطريق قابل نفس العجوز الذى صادفه فى المرة السابقة، ونصحه بالزواج الثانى. فسأله العجوز:

ـــ أين تريد إشعال النار بهذا العشب الجاف الذى تحمله؟.

أجاب الآخر:

ـــ أريد إحراق مقبرة زوجتى الراحلة.

ـــ لماذا؟.

ـــ لأنها خدعتنى.

ـــ وكيف خدعتك؟.

ـــ إنى أهتم بلا أسنان. وعندما كانت زوجتى تمضغ الطعـــام لـــى، كانـــت تمتص رحيق الطعام، وتترك لى طعاما ممضوعا بلا مذاق.

ـــ ومتى عرفت هذا الأمر؟.

قال الأهتم:

ـــ منذ وقت قريب.

ـــ وكيف عرفت به؟.

ـــ لدى الآن زوجة أخرى لا تقوم بمضغ الطعام، بل تطحنه.

حينئذ سأله العجوز:

ـــ وهل تعرفت على؟.

ـــ لا.

ـــ لقد جئت إليك عند المقبرة وأنت تبكى زوجتك، ونصحتك بالزواج مـــرة أخرى، والآن أقول لك إن زوجتك الراحلة التى كانت تمضغ الطعام لك، لم تكن امرأة سيئة على الإطلاق، حتى لو عثرت على أفضل منها الآن، وعليك التخلى عن فكرة حرق قبرها، بل من الأفضل لك أن تصلى مـــن أجلها. واعرف أن كل إنسان مهما بلغ من الكمال، يوجد فى العالم مـــن هو أفضل منه.

٩٢. التقط المصيبة بأسنانك؛ لأنك لن تمسكها من ذيلها[(١)]

كانت هناك فتاتان ترعيان عنزة وخروفًا. وأخذت كل منهن تتباهى أمام الأخرى. فقالت إحداهن: "إن والدى أفضل من والدك"، فقالت الأخرى: "لا، إن والدى هو الأفضل".

قالت إحداهن:

ـ إن والدى أفضل من كل الناس.

حينئذ قالت الأخرى:

ـ ربما أنه أفضل من والدى من وجهة نظرك فقط.

ـ نعم، هو الأفضل.

ـ وما الذى يجعله الأفضل؟.

ـ لأنه هو الأذكى والأقوى. فلو أن العالم انقلب رأسا على عقب وتناثر أجزاءً، فسوف يجمعه والدى ويعيده إلى حاله!.

اعترت الدهشة الفتاة الثانية، فصمتت برهة ثم قالت:

ـ لو أن والدك يستطيع تجميع العالم المتناثر، فلا بد أنه شخص رائع. لكننى أقول لك إن الأرض التى يقف عليها والدى لا تنقلب أبدا.

---

(١) مثل شعبى يعنى أن المصيبة يمكن تجنبها قبل وقوعها، أما بعد وقوعها فيصعب على المرء التخلص منها.

٩٣. إما أن يكون لسانك صديقك أو يصبح عدوك
(لسانك حصانك إن صنته صانك)

ذات يوم هجم شعب بوغاندا[١]، على شعب بانورو؛ لأنهم أرادوا الاستيطان في بلاد بونورو[٢]، ذلك لأن أرض بوغاندا لم تكن كافية لهم. وكانت الحرب بالغة العنف والدموية، فسقط في ساحة الحرب العديد من قتلى البوغاندا والبانورو. لكن أعداد البوغاندا كانت أكثر، واستطاعوا إحراز النصر. وقد تملك الرعب والفزع ممن تبقوا من البانورو، ففروا إلى الأحراش، واتخذوها ملاذا لهم مع زوجاتهم وأطفالهم. أما مقاتلوا بوغاندا فاستقروا في قرى بانورو. ولم يستقر بها جميعهم، بل عاد بعضهم إلى بيته في بوغاندا.

وذات يوم سار بعض مقاتلي بوغاندا في الممر عبر الأدغال. كان الممر ضيقا، فساروا طابورا. وعندما هبط الليل ولفت الظلمة المكان، تعثر المقاتل الذي سار في المقدمة في جُذمور[٣] فالتفت وصاح محذرا رفيقه في الخلف:

ـ احترسوا فهنا يوجد جُذمور.

---

(١) بوغاندا- هي "بلاد شعب غاندا": وهو الاسم الذي أطلق في القرون الوسطى على الدولة القائمة على أرض أوغندا المعاصرة.

(٢) بونورو- هي "بلاد بانورو"، وهو الاسم الذي أطلق على أوغندا المعاصرة في القرون الوسطى.

(٣) الجُذمور باللاتينية **rhizoma**، وهو عبارة عن ساق تنمو أفقياً تحت الأرض يستعملها النبات للانتشار وتكوين نباتات جديدة- المترجم).

هتف الثاني إلى الثالث:

ــ هنا يوجد جُنمور!.

وهكذا حذر كل مقاتل الواقف خلفه في الطابور قائلا: "هنا جُنمور!" (كلمة جُنمور بلغة شعب البوغاندا تعني "تكونجي"). وبالقرب من تلك الجُنمور، كان يختبئ في قلب الأحراش الرجال والنساء من البانورو. وكان هناك رجل يدعى تكونجي. وعندما سمع الرجل صوت البوغاندا يرددون "هنا تكونجي!"، قال لرفاقه وداعا! لقد شاهدني البوغاندا. ألم تسمعوا صراخهم وهم يقولون: "هنا تكونجي!"؟.

وسمع البوغاندا صوته، فاندفعوا إلى الأحراش وأمسكوا بجميع البانورو وليس فقط بتكونجي.

التفكير على عجالة هو شيء خطير،

والثرثرة كثيرا هي شيء ضار.

ينبغي على المرء التفكير قبل القول!.

٩٤. حكاية المرأة صاحبة الذرية الكبيرة، والتى تباهت بأطفالها أمام المرأة العاقر واحتقرتها

عاشت امرأتان فى مكان واحد. إحداهن عاشت فى يسر وبحبوحة من العيش، وكان لديها سبعة أبناء، أما الأخرى فقد عاشت على الخبز والماء فقط فى فقر مدقع، ولم يكن لديها أطفال. لهذا، كانت والدة السبعة أبناء تتحدث باحتقار إلى المرأة العاقر كلما قابلتها فى الصباح، وتقول لها:

ـ ليس لديك ولا ابن واحد. فمن الذى سوف يطعمك عندما تهرمين؟ ومن الذى سوف يقوم بدفنك؟ سوف تموتين بلا قبر يحتويك، وتصبحين طعاما للضباع!.

وكانت المرأة العاقر تجيب باقتضاب وصبر قائلة:

ـ إن ما تقولينه أيتها الأخت هو الحقيقة بعينها، ولكن أتوسل إليك ألا تحدثيننى على هذا النحو، واهتمى بشأنى، وتولى دفنى بعد موتى، وسوف يكافئك الله على فعلك!.

مرت العديد من السنوات، وهرمت المرأتان. وأصبحت كل منهن لا تغادر بيتها. وقالت المرأة صاحبة الأبناء الكثر:

ـ ها هم أبنائى من حولى، سوف يطعموننى ويسقوننى، وعند موتى يدفنوننى!.

وأخذ الأبناء السبعة يطعمونها بالتناوب، وكل منهم يطعمها لشهر كما طلبت.

أما العجوز العاقر فقد كانت مضطرة للبحث عن زادها بنفسها. فكانت تقتات على فتات الطعام التى يتصدق بها عليها البعض. وكانت تتحمل برد الشتاء فى الليل وحرارة الصيف عند الظهيرة. وظلت تعيش على هذا النحو البائس.

أما أم الأبناء السبعة ، فقد كانت تتناول الطعام بالتناوب فى البيوت السبعة لأبنائها. فتقضى كل شهر عند أحد أبنائها. ويقوم الابن عند نهاية الشهر بحملها ووضعها أسفل شجرة السيكومورو (نوع من أشجار التين التى تتميز بالصلابة- المترجم)، وعندما جاء الدور على الابن الثانى، ذهب فى ذلك اليوم وحمل الأم فوق يديه وذهب بها إلى بيته. وبعد انقضاء الشهر عاد بها إلى نفس المكان المعتاد، وتركها به ورحل. ثم يأتى الابن التالى ويحملها من أسفل الشجرة إلى بيته، وهكذا، ظل يفعل كل منهم بالتناوب.

وذات يوم انتهت الفترة التى تقضيها الأم لدى أحد الأبناء. فقام الابن بحملها وذهب بها إلى الشجرة، وتركها أسفلها ورحل. لكن الابن الثانى الذى حل عليه الدور لأخذها، نسى أمرها وخرج إلى الصيد. ولم يتذكر أن عليه إحضار أمه إلا فى اليوم التالى، فاعتراه الخوف وانطلق مسرعا إلى الشجرة.

أما الأم فقد هجمت عليها الضباع فى الليل والتهمتها، ولم يجد الابن منها سوى قدم وذراع. فذهب إلى أشقائه وحكى لهم الأمر قائلا:

ـ لقد التبس على الأمر، وظننت أن دورى هو اليوم وليس بالأمس. ونسيت فخرجت إلى الصيد. وبعد أن تذكرت فجأة، أسرعت راكضا إلى شجرة السيكومورو، فوجدت أمى وقد التهمتها الضباع.

لف الحزن والكرب الجميع لدى سماعهم الخبر المؤسف وقالوا:

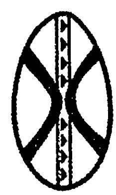
ــ إنه قضاء الله، ولا يمكننا فعل شيء الآن، ولم يعد بوسعنا مساعدتها! فقد أكلت الضباع أمنا. ولم يعد لها وجود فى الدنيا. هيا بنا نأخذ جارتنا العجوز الفقيرة أما لنا، ونقوم على إطعامها ورعايتها، وعندما تموت نتولى دفنها.

قرر الأبناء القيام بذلك الأمر عوضا عن فقدانهم أمهم. وأصبحت المرأة الفقيرة الوحيدة تعيش معهم بالتناوب. وتقيم فى بيت كل منهم لمدة شهر. وبعد ذلك رحلت عن الدنيا.

عندما ماتت المرأة الفقيرة قرر الأشقاء السبعة أن يقيموا لها العزاء والجنازة قبل أن ترقد فى مثواها الأخير. فقاموا بجمع جميع الأقارب والمعارف. وأخذ الجميع يبكونها ويترحمون عليها. وقاموا بالصلاة على روحها يتقدمهم الكاهن. ومضت جميع مراسم الجنازة كما ينبغي. ويقولون إن جنازتها قد اكتظت بأعداد غفيرة من المشيعين الذين قدموا إليها من كافة الأرجاء.

٩٥. مصيدة الفئران.

من يمد يده يقع بداخلها، ومن يمر بجانبها لن تكتب له النجاة أيضا!



عاش رجل مع زوجته ولم يعكر صفو حياتهما شيء سوى الفئران. فقد انتشرت الفئران فى البيت وأتلفت الأغراض والتهمت الحبوب والبذور. فأحضر صاحب البيت مصيدة، ووضعها فى عنبر الطعام. وأتى فأر إلى العنبر فشاهد الشرك المنصوب. وأدرك أن هذه المصيدة قد أحضرها السيد من أجله. وسار ديك بالقرب من الفأر. فقال له الفأر:

ـ أيها الديك، إنك أكبر منى حجما، فاضرب بساقك على هذه المصيدة حتى ينغلق بابها!.

رد الديك قائلا:

ـ وما الذى يعنينى فى هذه المصيدة؟ لقد وضعوها من أجلك.

قال الفأر:

ـ أتظن الأمر هكذا؟ لقد وضعوا هذه المصيدة من أجل أن يكدروك أنت الآخر.

ـ وكيف لك أن تعرف هذا؟

قال الديك قوله ورحل. وجاءت عنزة تسير بالقرب، فقال الفأر لها:

ـ أيتها العنــزة، ســوف أحضر لك شيئــا تأكلينه لو أنــك أغلقــت بــاب هذه المصيدة.

ردت العنزة:

ـ وما الذى يعنينى فى هذه المصيدة؟ لقد وضعوها من أجلك. فأنت الــذى تقــرض كل شىء فــى البيت وتتــلف الأغــراض، أما أنا فــلا آكــل سوى العشب.

عندئذ قال الفأر:

ـ إن هذه المصيدة ليست مصيدة عادية. فكل من يضع حافره عليهــا يقــع بداخلها، ومن يمر بالقرب منها لن ينجو أيضا.

ـ إنى لا أعرف هذا الأمر.

قالت العنزة قولها ومضت فى سبيلها. وجاء الثور فقال الفأر له:

ـ استمع إلىَّ أيها الثور وأغلق باب هذا المصيدة من فضلك، وعندئذ سوف أحصل لك على شىء يؤكل. فهى فى جميع الأحوال سوف تــسبب لــك الأذى أيضا.

رد الثور:

ـ إنها شأنك أنت. فأنت الذى تأكل الحبوب والبذور، أما أنا فلا آكل ســوى العشب، ولا ألتهم الحبوب إلا عندما يقدمونها إلى. وأمر هذه المصيدة لا يعنينى فى شىء.

رحل الثور، ورحل الفأر هو الآخر. وذهب إلى الفئران الأخرى وحـــذرها من السير فى العنبر والتجول به، وذلك لأن هناك مصيدة فى انتظارهم. فى ذلـــك الوقت زحف ثعبان فى العنبر. وكان يصيد الفئران حتى وقع بنفسه فى المـــصيدة. وعندما سمع السيد صوت غلق باب المصيدة، أمسك بعصا وأسرع إلـــى العنبـــر. فقالت له زوجته:

ـــ خذ المصباح معك.

رد الزوج:

ـــ أنا لا أحتاج إلى المصباح كى أقتل الفأر.

دخل الرجل إلى العنبر وضرب المصيدة بالعصا فعضه الثعبـــان. وصـــرخ الرجل من الألم:

ـــ أتعضنى إذا!.

أحضرت الزوجة المصباح وأنارت به المكان قائلة:

ـــ إنه ثعبان وليس فأرا أيها السيد.

لكـــن السيد أخذ يصرخ بصوت أعلى: "إن الألم يشتد أكثـــر فـــأكثر. فمـــا الذى أفعله؟".

نادوا فى طلب الأقارب. لكن الرجل مات قبل وصولهم.

حضر الناس فى المساء لتقديم العزاء فى الميت. وتطلب الأمر تقديم الطعام إليهم فقاموا بذبح الديك. وفى اليوم التالى جاء العديد من الأقارب والمعارف لتوديع المرحوم، فذبحوا العنزة لإطعامهم. وفى اليوم الثالث عندما حل وقت الصلاة قاموا بذبح الثور لإطعام المصلين، وهكذا تحققت نبوءة الفأر: إن المصيدة ليست عاديـــة، فمن يمد يده يقع بداخلها، ومن يمر بجانبها لن تكتب له النجاة.

٩٦. العنكبوت ودودة القز

يحكى أن عنكبوتا صادف دودة القز، وأخذ فى السخرية منها قائلا:

– يا إلهى، يالك من ناسجة بارعة أيتها الدودة! إنك تعملين بسرعة فائقة، حتى إنك سوف تضطرين للعمل مئة عام كى يرتدى أحد ما قطعة من نسيجك! أما أنا فلو أردت لكسوت بخيوطى سورا بأكمله خلال دقيقة واحدة، وغطيته بنسيجى!.

ردت دودة القز على العنكبوت وقالت بثقة:

– إن ما تقوله هو الحقيقة بعينها، وفى استطاعتك بالفعل تغطية سور بأكمله بنسيجك. ولكن انظر إلى. إن نسيجك شفاف كما لو أنه لا يغطى شيئا. فأخبرنى أيها السيد العنكبوت، من الذى يمكنه ارتداء ثياب مصنوعة من نسيجك العنكبوتى؟! أنا بالفعل أعمل ببطء ولا أتعجل فى إخراج خيوطى، وفى المقابل لن يمكنك العثور على نسيج أقوى من نسيجى. وعلى الرغم من أن خيوطى لا تكسو سوى القليل، إلا أن نسيجى يمكنه حماية أى شخص من الحرارة ومن البرد.

من يتعجل أمره دائما يمكنه فعل الكثير، ولكن على نحو ردىء، ومن الأفضل أن تصنع القليل ولكن على نحو جيد ومتين.

٩٧. الخروف الخبيث

كان ياما كان خروف صغير ذو قرنين يعيش بين قطيع من الخرفان. وذات مرة حل الجفاف بالبلاد، فقال السيد صاحب القطيع:

ـ فلنذبح اليوم خروفا من القطيع.

حينئذ، رفع الخروف الصغير رأسه، واختلط متنكرا مع الماعز.

وفى يوم آخر قال صاحب القطيع:

ـ فلنذبح اليوم معزة من الماعز.

سمع الخروف كلمات السيد، فأحنى رأسه لأسفل وانضم إلى جماعة الخرفان.

وهكذا، ظل الخروف الصغير ينتقل تارة إلى الماعز، وتارة أخرى إلى الخرفان حتى مر موسم الجفاف.

الإنسان الحاذق لا يضيع أبدا.

٩٨. حكاية الصداقة التى قامت بين الزلعة النحاسية وزلعة الفخار

حدث ذات مرة أن صادفت الزلعة النحاسية زلعة الفخار. فقالت الزلعة النحاسية لزلعة الفخار:

ـ انظرى كم أننا متشابهتان! أريدك أن تصبحى صديقة حميمة وشقيقة لى. وتظلين واقفة بالقرب منى دائما أيتها الشقيقة الفخارية. وسوف أظل بجوارك أحميك فى الحر وفى البرد. وسوف يصبح لدينا جسم واحد وبيت واحد، ويجمع بيننا حب عظيم. وسوف نتجول معا ونتنفس الهواء معا. ولو هجم علينا أحد الأعداء، فسوف أقوم بحمايتك باعتبارى صديقة حقيقية وشقيقة لك.

وهكذا، تعانقت الزلعة النحاسية مع الفخارية مثل الشقيقتين الحميمتين. وظلت الاثنتان تسيران معا. وأثناء سيرهما على الطريق صادفتا حجرا حادا. فتعثرت الزلعة النحاسية فى الحجر، وسقطت وهى تجلجل برنينها، وتدحرجت فى إحدى الحفر. أما شقيقتها الزلعة الفخارية، فتعثرت هى الأخرى فى الحجر، وسقطت متحطمة إلى شظايا صغيرة.

وهكذا يحكى الراوى أنه كثيرا ما يحدث مثل هذا الأمر مع البشر. فالناس أحيانا لا يقدرون حجم قوتهم وقدراتهم، ويتحدون معا. وعندما يحدث مكروه يصبح الموت من نصيب الضعيف منهم.

٩٩. فى زمن المجاعة

جلس الأب والابن يستعدان لتناول الطعام. وكان الجفاف سائدا والجوع يعصف بالناس فى ذلك الوقت. ودخل عليهم عابر سبيل غريب وجائع. ودعاه الوالد إلى مشاركتهم طعامهم المتواضع. فأمسك الغريب بحفنة كبيرة من الأرز ورفعها إلى فمه. وفجأة تردد صوت الصبى محذرا:

ـ انظر أيها الوالد، إن الغريب يغترف حفنة كبيرة من الأرز!.

قام الوالد بسب ابنه لما قاله، ثم أضاف قائلا:

ـ ومن أين لك أن تعرف أن هذه الحفنة ليست الأخيرة؟.

ويسألون الآن عن المسئول عن طرد الغريب الجائع: الوالد أم الابن؟.

المترجم في سطور:

عبد الرحمن عبد الرحمن الخميسى

ولد في ١٩٥٧/١/١، مصرى.

ليسانس آداب جامعة عين شمس.

ماجستير فى تاريخ الفن بجامعة موسكو.

عضو نقابة المهن السينمائية (شعبة سيناريو).

عضو اتحاد الكتاب المصرى.

مستشار الترجمة لسفارتى أوزبكستان وأذربيجان.

اختير مراقبا دوليا على الانتخابات البرلمانية فى أوزبكستان لعام ٢٠٠٩.

كاتب وسيناريست للعديد من المسلسلات الدرامية التليفزيونية ومسلسلات الأطفال الكارتون ومسلسلات العرائس التى حاز معظمها على الجوائز فى مختلف المهرجانات.

من ترجماته من اللغة الروسية إلى العربية:

ـ محاكمة البريسترويكا (دار الثقافة الجديدة).

ـ أساطير شعبية من أوزبكستان (الجزء الأول) ـ المجلس الأعلى للثقافة.

ـ أساطير شعبية من أوزبكستان (الجزء الثانى) ـ المجلس الأعلى للثقافة.

ـ الحكايات الشعبية الروسية ـ المجلس الأعلى للثقافة.

ـ الخرافة والحكايات الشعبية فى أفريقيا - الجزء الأول- المركز القومى للترجمة.

ـ حيدر علييف ـ من سلسلة سير العظماء.

ـ المصير الأسود للحديقة السوداء.

ـ دراسات فلسفية وجمالية حول فن المقام (تحت الطبع) المركز القومى للترجمة.

التصحيح اللغوى: رجب عبد الوهاب
الإشراف الفنى: حسن كامـــــــل